اهداءات ٢٠٠١

المهندس/ محمد عبد السلام العمرى

الإسكندرية

المشروع القومى للترجمة

الغليان

تأليف

لاورا اسكيبيل

ترجمة

نادية جمال الدين محمد

المجلس الأعلى للثقافة

٢٠٠٠

Estudio critico

de

Como agua para chocolate

Laura Esquivel

"Si Aristóteles hubiera guisado, mucho más hubiera escrito."

Sor Juana Inés de la Cruz.

تقديم

توقفت طويلا متأملة.هذه الرواية بعد مشاهدتها خلال مهرجان القاهرة السينمائى لعام ١٩٩٣ ، وأعترف أنه بدون مشاهدة الرؤية السينمائية لها، والتى لاقت نجاحاً كبيراً فى الولايات المتحدة وبلاد أخرى، لما استطعت استيعابها وتذوقها. أولاً: لأن الرواية كمضمون تتناول موضوعاً مهمًا وهو الامتثال الأعمى لتقليد ما على الرغم من سلبيته وقسوته على الإنسان. وثانياً: للشكل الذى وضعت فيه المؤلفة المكسيكية لاورا إسكيبيل هذا المضمون، والذى يجعل بطلتها (مسلوبة الإرادة)، تتجه إلى صنعة الطبخ لتستطيع، عبر الطعام، مواجهة ذلك التقليد الذى يكبلها.

المضمون والشكل :

تدور الرواية حول " تيتا " الابنة الصغرى التى تتحمل بخضوع ونقمة عدم استطاعة الزواج ممن أحبت امتثالا لتقليد عائلى يقضى بضروة قيام الابنة الصغرى فى الأسرة برعاية أمها حتى وفاتها، وهو ما يترتب عليه عدم زواجها طوال تلك الفترة.

وهكذا تتحول « تيتا »، شيئًا فشيئًا، إلى رمز المجتمع

المكسيكى الجديد الذى تشكل عبر القوى الخارجية للثورة المكسيكية: مجتمع مغلوب على أمره وخاضع.

تنسج عقدة القصة عبر مجموعة من وصفات الطعام التى تؤدى عناصرها الغذائية أحياناً إلى تأثيرات سحرية وهزلية. هذه الوصفات موزعة على اثنى عشر شهراً من يناير إلى ديسمبر، يمثل كل منها فصلاً من فصول الرواية، تصاحبنا خلال أحداثها مشاعر البطلة وهى إحساس بالغضب لزواج شقيقتها الكبرى من حبيبها الذى رفضت أمها أن تزوجه لها وزوّجته من شقيقتها الكبرى، ورغبة جنسية مكبوتة يصاحبها شعور ووضع جاهز للانفجار والافتضاح لا يجد أمامه من متنفس إلا الطهى.

من هنا نكتشف أن الطهى وتأثيراته هو العنصر الأساسى للرواية. فاللذة التى يؤدى إليها الطعام، سواء فى طريقة إعداده أو مذاقه، هو قاعدة المضمون والشكل فى رواية « الغليان ».

الشخصيات:

غالبية شخصيات « الغليان » من النساء، وهى جميعها تدورفى فلك « تيتا » التى تمثل محور الرواية؛ فهى عن طريق الأطعمة التى تعدها، تبرز أهمية المرأة فى حياة الرجل، وبالتالى فى المجتمع، ونجدها فى الرواية تهب نفسها تماماً لإعداد وصفات طعام خاصة بها استمدتها من كتب جداتها. ونجد كل فصل فى الرواية يبدأ بوصفة طعام تبدأ بالمواد المطلوبة والمقادير ثم

الاسترسال، من خلال بقية الفصل، فى وصف طريقة الإعداد التى تتسلل من خلالها لوصف وإطلاق مشاعرها وربطها بنوع الطعام الذى تقدمه لنا. ومن هنا نتعرف على شخصية « تيتا » وأسلوب حياتها ومشاكلها النفسية والاجتماعية، والتى لا تحول دون إبداعتها الخاصة فى صنع أكلة ما. وهكذا يتحول الطعام إلى وسيط مهم للتعبير، وهو ليس أمرًا صعبًا على إنسانة عرفت الحياة عن طريق الطبخ الذى ولدت فيه. لم يكن سهلاً على « تيتا » إدارك العالم الخارجى؛ فقد انحصر عالمها الكبير داخل هذا المصنع الصغير للطعام (للحياة). فإذا كانت قد حرمت من التعرف على الحياة الخارجية، فإنها تسيطر عليها من خلال عالمها الصغير وهو: المطبخ.

لقد حرمتها أمها من الزواج ممن أحبت؛ فكان زواجها الروحى به من خلال الطهى الذى كانت تبثه من خلاله كل مشاعرها كامرأة. ولكن التأثيرات الناتجة عن الطعام الذى تصنعه " تيتا " يصل إلى مستويات تفوق طبيعته مسببة أفعالاً عجيبة ومكتسبة صبغة واقعية سحرية. ولكونها طاهية ماهرة تسيطر تماماً على هذه الصنعة التى لازمتها منذ صفولتها، وشكلت مشاعرها ورغباتها التى تشبهها الكاتبة " بقطع الزلابية عند إلقائها فى الزيت المغلى « أو الإحساس بالوحدة والهوان مثل حبة الفلفل المحشوة بالجوز والمنسية فى صحن بعد وليمة عظيمة ». كانت « تيتا » تعانى من شوق وإحباط شديدين مثل جائع لا يكمل

صحنه استحياءً من إظهار نهمه. ولكنها تصرخ أحياناً يائسة وهى تلعن الحياء والكتب التى تدعو إلى السلوك المهذب؛ فبسببها قدّر على جسدها أن ينزوى، وأن يذبل شيئاً فشيئاً بلا أى ترياق.

وهكذا تبث « تيتا »، عن طريق وصفاتها للطعام، مشاعر امرأة كتبت عليها التقاليد العقيمة أن تكتم مشاعرها، وأن يذبل جسدها.

ويظهر الطهو كوسيلة للتعبير عن ذاتها عند وفاة « روبرتو » ابن أختها من حبيبها، والذى كانت ترعاه، إلا أن أمها قامت بإبعاده عنها مما أدى إلى وفاته، عند ذلك تتمرد « تيتا » وتمتنع عن الطعام والطهى، وهو ما يعنى رفضها للحياة. ونراها فى هذه الحالة تتساءل بيأس: « لو أننى أستطيع أن أتذكر كيف أطهو ولو حتى بيضتين، لو أننى أستطيع تذوق أى أكلة، لو أننى أستطيع... العودة إلى الحياة » ... وتعود « تيتا » إلى الحياة بالفعل عبر حساء « عكاوى الغنم » الذى أعدته لها الخادمة « تشيتشا »، وهنا تؤكد « تيتا » أن الحساء المعد بطريقة جيدة قادر على قهر أى مرض نفسى كان أم عضوى، ويعود البصل الذى صنع منه الحساء والذى بدأت حياة « تيتا » معه فى المطبخ، يعود ليمارس تأثيرة المطهر مزيلاً كل آلامها عبر الدمع الذى ينطلق بمجرد انبعاث رائحته.

إن الطهى يجعل « تيتا » تتقاسم مشاعرها مع الآخرين؛

فطعامها يحرك، بدون إرادة منها، الأحاسيس ذاتها فيمن يتناوله؛ فكل وصفة طعام تعبر عن شعور أو حالة نفسية تعانيها « تيتا » وتعكسها في صنعها. فنرى الدمع، الذى ينساب منها فى كعكة زفاف شقيقتها إلى حبيبها، يؤدى إلى غثيان وشعور قوى بالشجن. . . ودماؤها التى تختلط بتبلات الورد الذى قدمه لها « بيدرو » (حبيبها وزوج شقيقتها والذى يقيم هو وزوجه فى نفس المنزل) يؤدى إلى رغبة جنسية جامحة فى كل أفراد العائلة، كما أن وجبة « المولیه » تفضى إلى حالة من النشوة فى نفس كل من يتناولها. . .

تنسج الكاتبة روايتها بأسلوب بسيط وجمل قصيرة ومتقطعة تعكس الحالة النفسية لأبطالها. ولكن رغم بساطة الأسلوب، إلا أنه تهكمى واستفزازى ومرير يتفق وشخصية « تيتا » الفتاة الريفية المقهورة، والتى لا تستسلم، وتعبر عن رفضها بشكل وإن كان يبدو سلبياً، إلا أنه يمثل، إلى حد ما، تحدياً لامرأة فى ظروفها.

وهكذا نرى أن رواية « الغليان » كانعكاس جوهرى للحياة، تضيف صفحة جديدة فى سجل العذابات التى تعانيها المرأة باسم العادات والتقاليد المتوارثة وهى هنا: الخضوع اللاإرادى والحرمان من أهم حقوق الأنثى وهى الزواج ممن ترغب، والتى نجد موازياتها، وإن كانت بصور مختلفة، فى مجتمعاتنا العربية. كما أنها تلقى الضوء على حقيقة مهمة للغاية نفتقدها حالياً وهى

« الطهو » ونقصد به الطعام المعد بشكل إنسانى وليس كما يحدث الآن، حيث تحولت مجتمعاتنا إلى الوجبات الآلية الجاهزة والسريعة والجامدة، والتى تعد بلا أى تفاعل وجدانى.

إن الطهى يحمل بالنسبة للمؤلفة صفات شبه صوفية (خفية) فهو ينقلنا إلى الماضى، وهو ماضٍ تتضمنه وصفات طعام تحفظ تراثنا حياً، ويحقق هويتنا وتميزنا.

إن بداية « الغليان » تعيد تقييم المطبخ كمكان مقدس، وتستدعى الحنين لطقوسه. فإن الطعام والكيمياء التى تتطلبها عملية الطهى يطلقان قوى داخلية تتفاعل مع قوى خارجية تؤدى إلى التحريض على إقامة عالم متوازن. لعل تلك الكلمات الأخيرة تحمل أسباب عدم توازن عالمنا. لقد فقدنا لذة الاستمتاع بالطهى، وبالتالى بالطعام؛ ففقد جسدنا الشعور بالتذوق والمتعة.

استطاعت الكاتبة ببراعة أن تطعم فصول روايتها ببعض النصائح الخاصة بأسرار الطهى وفن إعداد مائدة الطعام وغيرها من الأفكار التى ابتعدت كثيراً عن اهتماماتنا، والتى كانت تمثل طقوساً مهمة عند أجدادنا.

لاقت رواية « الغليان » نجاحاً عالمياً كبيراً؛ فقد ترجمت إلى ٢٩ لغة، كما احتلت، لأكثر من عام، قائمة الكتب الأكثر مبيعاً فى النيويورك تايمز، وفازت مؤلفتها عام ١٩٩٤ بجائزة ABBY،

وهى جائزة الكتب الأكثر مبيعاً لذلك العام متحولة إلى أول كاتب أجنبى يحصل على هذه الجـائزة وكفيلـم كتـبت السيناريو له نفس المؤلفة، وقام بإخـراجه زوجها السابق ألفونسـو ارّاو، حصل عام ١٩٩٢ على جائزة أريال وسـيلفر هوجو (خلال المهـرجان الدولى للسينمـا فى دورته الثامنة والعـشرين)، وعـام ١٩٩٣ على جائزة مهـرجان هيـوستن السيـنمائى الدولى. وفى يناير من نفس الـعام لقـبت المؤلفة « لاورا إسكـيبـيل » بامرأة عـام ١٩٩٢.

الفصل الأول

يناير

فطائر أعياد الميلاد

المقادير:

علبة سردين – نصف كيلو من السجق – بصلة – زعتر–

علبة فلفل أحمر حار – عشرة أرغفة فينو

طريقة العمل

تخرّط البصلة رفيعاً، وأنصحكم بوضع قطعة صغيرة من البصل على منطقة أم الرأس لتفادى الضيق من الدمعان الذى يصاحب خرط البصل. و السئ فى البكاء عند خرط البصل ليس فى البكاء ذاته، بل فى أنه أحياناً ما أن نبدأ فى تلك العملية حتى نشار، كما يقولون، ولا نستطيع التوقف بعد ذلك. لست أدرى إن كان حدث ذلك لكم. أما أنا ففى الحقيقة قد مررت به مرات لا حصر لها. كانت أمى تقول إن السبب فى ذلك يرجع إلى أننى حساسة للبصل مثل جدتى تيتا.

يقولون إن تيتا كانت حساسة إلى درجة أنها كانت وهى لاتزال فى بطن أم جدتى تبكى مراراً عندما كانت تلك تقوم بخرط البصل ؛ كان بكاؤها قوياً إلى درجة أن ناتشا، طاهية المنزل شبه الصماء، كانت تسمعها بلا مشقة. وحدث ذات يوم أن كانت نهنهات البكاء من الشدة بحيث بكرت بالولادة. وبدون أن تنطق

أم جدتى ببنت شفة جاءت تيتـا إلى هذا العالم قبل موعدها فوق مائدة المطبخ، بين روائح حساء الشعرية فوق النار، والزعتر وورق الغار و الكـزبرة و رائحة الحليب المغلى و الثـوم و البصل طبـعاً. ولكم أن تتصوروا أنه لم يكن هناك داع للعملية المعهودة و الخاصة بضرب المولود على إليته؛ لأن تيتا ولدت وهى تبكى مسبقاً، وربما كان ذلك لاستشفـافها أن الغـيب يلمح لها بأن هذه الحـياة تنكر عليها الزواج. وكانت ناتشا تحكى أن تيـتا قد دفعت دفعاً إلى هذا العالم عبر سيل هائل من الدمـوع التى انسابت فوق مائدة وأرضية المطبخ.

وفى المساء، عندمـا زال القلق و تبخـرت المياه بفعل أشـعة الشمس، قـامت ناتشا بجـرف بقايا الدمـوع التى قد تبـقت فوق البلاط الأحـمر الصغيـر الذى كان يغطى الأرضية. ومـلأت بهذا الملح جوالاً زنة خمسة كيلو جرام استُخدم فى الطهى مدة طويلة. هذا الميـلاد غيـر المألوف يوضح سـبب شعـور تيـتا بحب كـبيـر للمطبخ، وأنها سوف تمضى الجزء الأكـبر من حياتها به. وبشكل محدد منذ مولدها، فبـعد يومين من ميلادها مات أبوها، أو والد جدى، بأزمة قلبية مما أدى إلى انقطاع اللبن من ثدى ماما إيلينا من التأثر. ونتيجة عدم وجـود حليب مجفف فى ذلك الزمان و لا ما يشبهه، ولعدم إمكان العثـور على مرضعة فى أى مكان، وجدت الأسرة نفـسها فـى مأزق حقـيقى من أجل تهدئة جـوع الطفلة.

عرضت ناتشا، التى كانت على علم تام بكل ما يخص المطبخ - و بأشياء أخرى أكثر لا مقام لها الآن - أن تتولى تغذية تيتا. فقد اعتُبرت الأكثر قدرة على "تشكيل معدة المخلوقة البريئة" بالرغم من أنها لم تتزوج ولم تنجب. ولم تكن حتى تقرأ و لا تكتب، ولكن فيما يتعلق بالمطبخ، كانت بالفعل على دراية تامة و فائقة. قبلت ماما إيلينا الاقتراح برضى فكان يكفيها ما تعانى من الحزن والمسئولية الضخمة الخاصة بإدارة المزرعة بحزم لتستطيع توفير الغذاء لأولادها وكذلك التعليم المناسب، حتى يقع عليها أيضاً عبء تغذية المولودة كما يجب.

وعليه فقد نُقلت تيتا منذ ذلك اليوم إلى المطبخ و بين الشاى والأتوليه [1] نمت مليئة بالصحة و الجاذبية. وهنا يمكن تفسير سبب ما نما لديها من حاسة سادسة بكل ما يتعلق بالطعام. فمثلاً كانت مواعيد طعامها ترتبط بمواعيد الطهى فى المطبخ: ففى الصباح عندما كانت تيتا تشم أن الفاصوليا قد نضجت أو فى وقت الظهيرة عندما كانت تشعر أن الماء قد أُعد لتنظيف الدجاج من الريش أو عندما كان الخبز يسوى فى الفرن من أجل العشاء، كانت تشعر أن ساعة طلب غذائها قد حانت.

(١) الأتوليه: شروب سميك يتكون من الذرة المطحونة ودقيق أرز .. الـح، مذاب ومغلى فى ماء أو حليب. يمكن أن يضاف إليه مواد أخرى مثل السكر، القرفة، الشيكولاته، أو عصير الفاكهة ليكتسب طعمًا أكثر (المترجمة).

كانت تبكى أحياناً بلا سبب، مثلاً عندما كانت ناتشا تخرِّط بصلة، ولكن لأن الاثنتين كانتا على علم بسبب تلك الدموع كانتا لا تعبآن بها. بل كانت تتحول إلى سبب للتسلية إلى درجة أن تيتا خلال فترة طفولتها لم تكن تميز جيداً بين دموع الضحك و دموع البكاء. فقد كان الضحك بالنسبة لها طريقة للبكاء.

كانت تخطئ بنفس الشكل لذة العيش بلذة الطعام. لم يكن سهلا على امرأة عرفت الحياة من خلال المطبخ أن تعى العالم الخارجى. ذلك العالم الضخم الذى كان يبدأ من باب المطبخ نحو داخل البيت. لأن العالم الذى كان يتاخم الباب الخلفى للمطبخ و يفضى إلى الفناء ثم الحديقة فالحقل، كان بأكمله ملكاً لها وتحت سيطرتها. على عكس شقيقاتها اللائى كان هذا العالم يفزعهن و كن يجدنه مليئاً بمخاطر خفية. كان اللعب داخل المطبخ يبدو لهن مستحيلاً وفيه مخاطرة و لكن، على الرغم من ذلك، استطاعت تيتا إقناعهن برؤية طريقة تراقص قطرات الماء عند تساقطها فوق قطعة صفيح شديدة السخونة، إنه لمنظر مدهش.

ولكن بينما كانت تيتا تغنى وتهز يديها المبتلتين بشكل إيقاعى لكى تندفع قطرات الماء فوق الصفيح و"تتراقص"، ظلت روساورا فى ركن مذهولة مما تشاهده. وعلى العكس كانت خيرتروديس، مع كل ما يحدث سواء النغم أو الحركة أو الموسقى، مأخوذة بشدة باللعبة و انغمست فيها بحماس. عندئذ

لم يكن أمام روساورا من خيار سوى محاولة عمل نفس الشئ. لم تكن تبلل بديها تقريباً و كانت تقوم بذلك بخوف شديد، لم تحقق النتيجة المأمولة. عندئذ حاولت تيتا مساعدتها بتقريب يديها من قطعة الصفيح. قاومت روساورا و لم يتوقف هذا الصراع حتى قامت تيتا و هى فى شدة الغيظ بإطلاق يديها لتقعا، لكسلها، فوق الصفيح الملتهب. وهكذا وفضلاً عن العلقة الساخنة التى كانت من نصيبها، حُرم على تيتا اللعب مع شقيقتيها داخل عالمهما. عندئذ، تحولت ناتشا إلى رفيقتها فى اللعب. وظلتا تخترعان معاً ألعاباً و أنشطة متعلقة دائماً بالمطبخ. وحدث يوماً أن رأتا فى ساحة القرية رجلاً يكوّن أشكالاً لحيوانات ببالونات طويلة فجال بخاطرهما القيام بنفس العملية ولكن باستخدام قطع من السجق. فكونتا ليس فقط أشكالاً لحيوانات معروفة، وإنما ابتدعتا فوق ذلك بعضها نذكر منها على سبيل المثال أشكالاً برقبة أوز وأرجل كلب وذيل حصان.

كانت المشكلة تنجم عند اضطرارهما إلى حل تلك الأشكال لتحمير السجق. فقد كانت تيتا ترفض ذلك فى أغلب المرات. وكانت الوسيلة التى تقبل فيها ذلك بإرادتها عندما يكون الأمر متعلقاً بصنع فطائر عيد الميلاد. فقد كانت تسعدها. عند ذلك لم تكن تسمح فقط بتبديد شكل أحد حيواناتها بل و كانت تراقبه بسعادة وهو يُقلى.

يجب الحـرص على قلى السجق الخـاص بالفطائر على نار هادئة جداً ليـتم نضجه جـيداً، ولكن بدون الإفراط فى تحمـيره. وعندما ينضج يرفع من على النار و يضـاف إليه السردين الذى تم نزع الشوك و عـظمة الظهر منـه. من الضرورى أيضاً إزالـة البقع السوداء التى تكون بجلد السـردين بسكين. يضاف إلى السردين البصلة و الفلفل الحـار المفرومين والزعتر المطحـون. يترك الخليط ليهدأ قبل حشو الفطائر.

كانت تيـتا تستـمتع إلى حد كبـير بتلك الخطوة، فقـد كان مستحباً جداً التمتع بالرائحـة المنبعثة من الخلطة السابقة أثناء تركها لتترسب. فقـد كان للروائح خاصية إحياء أزمنة مـاضية وأصوات وروائح لا مثـيل لها فى الحـاضر. كان يحلو لتـيتا أن تـستنشق بعمـق وتُبحر مع الأبخـرة و الروائح المميـزة للغاية والتـى كانت تدركها، فى منعطفات ذاكرتها.

وعبـثاً حاولـت أن تستدعى المرة الأولى التى شـمت فيـها رائحة إحدى هذه الفطائر ولكن بلا نتيجة؛ لأن ذلك ربما كان قبل مـولدها. ولعل الخليط الغـريب من السردين والسـجق قد شـد انتباهها بدرجـة جعلتها تُعدل عن البقاء فى أمان السـماء و تختار بطن ماما إيلينا لتكون أمها و تنضم بهذه الطريقة إلى عائلة دي لا جارثا التى كـانت تشتـهر بطعامـها الشهى وبطبق الـسجق بشكل خاص جداً.

كانت عملية إعداد السجق فى مزرعة ماما إيلينا طقساً بمعنى الكلمة. فقبل إعداده بيوم تبدأ عـملية تقشير الثوم و غسل الفلفل الحار و طحن التـوابل. كان على كل نسـاء العائلة المشـاركة فى تلك العمليـة: ماما إيلينا و بناتهـا خيرتروديس وروساورا و تيـتا وناتشا الطبـاخة و تشينتـشا الخادمة. كن يـجلسن فى المساء على مائدة حجـرة الطعام وبين أحاديث و مزاحـات كان الوقت يمر فى لمح البصرحتى يهبط الظلام عندئذ تقول ماما إيلينا:

- كفانا هذا اليوم.

يقولون إن اللبـيب بالإشارة يفهم، وعليـه فإنه بعد سـماع هذه الجملة كان الجـميع يعلم ما يجب عليه القـيام به. أولاً يقمن بجمع الأشياء من فوق المائدة ثم توزع الأعمال فيما بينهن: واحدة تبيت الفراخ و أخرى تجلب الماء من البئر و تجهزه للاستخدام وقت الإفطار وأخرى تتولى أمـر حطب المدفأة. وفى ذلك اليوم لا يتم كى ولا تطريز ولا حيـاكة ملابس. بعد ذلك يذهب الجـميع إلى غرف نومهن للقراءة و الصلاة و النوم. فى إحدى تلك الأمسيات وقبل أن تـذكر مامـا إيلينا أنه حـان وقت جمع ما فـوق المائدة، أخبرتها تيـتا، وكانت آنذاك فى الخامسة عـشر، بصوت مرتعش، بأن بيدرو موثكيث يريد الحضور للتحدث معها...

قالت ماما إيلينا بعد صمت غير منته قبض نفس تيتا.

- وفيم يريد الحضور ليحدثنى ذلك السيد ؟

أجابت بصوت يُسمع بالكاد:

- لا أعلم.

رمقتها ماما إيلينا بنظرة كانت تحمل فى طياتها لتيتا كل سنوات القمع التى كانت تجثم على العائلة وقالت: إذن، من الأفضل أن تخبريه أنه إذا كان من أجل طلب يدك ألا يفعل. فسوف يضيع وقته ووقتى. تعلمين تمام العلم أنك لكونك أصغر البنات يقع على عاتقك رعايتى حتى يوم وفاتى.

نهضت ماما إيلينا ببطء، بعد أن قالت هذا، ووضعت نظارتها فى مرولتها وكررت كأمر نهائى.

- كفانا هذا اليوم!

كانت تيتا تعلم أن الحوار ليس مدرجاً ضمن قواعد التعامل فى البيت. ولكنها بالرغم من ذلك حاولت لأول مرة فى حياتها أن تعترض على أمر لوالدتها.

- لكن أنا أرى أنه. . .

- أنت لاترين شيئاً وانتهى الأمر! عبر أجيال لم يعترض أحد فى العائلة البتة على هذا التقليد و لن تكون إحدى بناتى هى من تقوم بذلك.

نكست تيتـا رأسها و بنفس القـوة التى سالت بها دموعـها فوق المائدة، هوى عليـها قدرها. ومنذ تلك اللـحظة علمت أنها هى و المائدة لـن تقـدرا على أى تعـديل فى اتجـاه هـذه القـوى المجهولة التـى تجبر إحداهما على مـقاسمة تيـتا قدرها باستـقبال دموعهـا المُرة منذ لحظة مولدها، و الأخرى على أن تتـحمل هذا القرار المحال.

لم تكن تيـتـا موافـقـة بلا شك. فقـد كـان هناك كم من الشكوك و القلق يعترى عقلها. مـثلاً، كان يسعدها أن تعرف من الذى بدأ هذا التقليـد العائلى، فقـد كان من المستحـسن أن نجعل هذا الشخص الذكى يفهـم أن فى خطته المحكمة لتأمين شيـخوخة النساء عـيبـاً طفيفـاً. فإذا كانت تيـتا لايمكنهـا الزواج ولا انجاب أطفال، فمن إذن سوف يرعاها عندما تصل إلى سن الشيخوخة ؟ ماهو الحـل الصائب لتلك الحـالات ؟ أو أنه لم يكن من المنتظر للبنات اللائى يقـمن برعاية أمـهاتهن أن يعـشن طويلاً بعـد وفاة أمهـاتهن ؟ وإلى أين سـينتهى الأمـر بالنساء اللائى يتـزوجن ولا ينجبن، من سـيتولى أمـرهن ؟ وأكثر من ذلـك، كانت تريد أن تعلم ماهى الأبحـاث التى أجريت لإثبات أن الابنة الصـغرى هى الأكثر أهليـة للسهر على أمهـا و ليس الابنة الكبرى ؛ هل وُضع في الاعتبار يوماً رأى البنات المتضررات ؟ هل يسمح لها، بما أنها لا تسـتطيع الزواج، أن تـعـرف الحب على الأقل ؟ أم و لاحـتى ذلك ؟

كانت تيتا تعلم جيداً أن كل هذه التساؤلات يجب لا محالة أن تأخذ مكانهـا ضمن أرشيف الأسـئلة التى لاجواب لهـا. ففى عائلة دى لا جارثا تجب الطاعة وانتهى.

خرجت ماما إيلينا غاضبة من المطبخ و متجاهلة تيتا تماماً و طيلة أسبوع لم توجه لها كلمة واحدة. وقـد استؤنف شبه التعامل هذا عندما اكتشفت ماما إيلينا و هى تراجع الملابس التى تقوم كل واحدة من النساء بحياكتها، أنه بالرغم من أن الفستان الذي قامت تيتا بتفصيله كان الأكمل، إلا أنها لم تقم بسراجته قبل الخياطة.

قالت لها:

- أهنئك، الغرز متقنة، ولكنك لم تسرجيه، أليس كذلك؟

- نعم.

- أجابت تيتا وهـي مندهشة لرفع قانون الصمت عنها.

- عليكِ إذن أن تفكيـه و تسرجيـه و تخيطيـه من جديد و تأتى بعد ذلكَ لأراجعه لتتعلمى أن في التأنى السلامة وفى العجلة الندامة.

- لكن ذلك لو كان هناك عـيب وحضرتك ذكـرتِ بنفسك منذ لحظة أن فستانى كان....

- هل سنبدأ في التمرد مـرة ثانية ؟ يكفى أنك تجرأت على الحياكة منتهكة القواعد.

- سامحينى يامامى. لن أعود إلى فعل ذلك.

استطاعت تيتا بتلك الكلمات أن تهدئ من غضب ماما إيلينا. فقد كانت حريصة كل الحرص على أن تنطق كلمة " مامى " في اللحظة وبالأسلوب المناسبين. فقد كانت كلمة ماما في رأى ماما إيلينا ذات وقع تحقيرى، لذلك أجبرت بناتها منذ طفولتهن على استخدام كلمة " مامى " عند الحديث معها. كانت الوحيدة التى تعارض أو تنطق الكلمة بلكنة غير مناسبة هى تيتا، وكان هذا سبباً في الصفعات التى لاحصر لها التى كانت تنهال عليها. وكم أجادت نطقها في تلك اللحظة! لقد شعرت ماما إيلينا بالانتعاش وفكرت في أنها ربما قد استطاعت قهر شخصية أصغر بناتها. ولكنها للأسف احتوت في صدرها هذا الأمل لفترة قصيرة، ففى اليوم التالى جاء بيدرو موثكيث إلى المنزل برفقة السيد والده لطلب يد تيتا. وقد أدى وجودهما في البيت إلى ارتباك كبير. فلم يكنّ في انتظار زيارتهما. فقبل ذلك بأيام أرسلت تيتا إلى بيدرو رسالة شفهية مع أخى ناتشا تطلب منه التخلى عن مقصده. وأقسم لها أخو ناتشا أنه قد أبلغ الرسالة لدون بيدرو، ولكن ما حدث هو أنهما حضرا إلى البيت. استقبلتهما ماما إيلينا في الصالة و عاملتهما بلطف شديد وشرحت لهما سبب عدم استطاعة تيتا الزواج.

- إذا كان بالطبع ما يهمكما هو زواج بيدرو، فإننى أضع

في اعتباركما ابنتى روساورا التى تكبر تيتا بعامين فقط ولكنها مؤهلة تماماً ومعدة للزواج . . .

كادت تشيتتشا، لدى سماعها هذه الكلمات، أن تلقى فوق ماما إيلينا بصينية القهوة و البسكويت التى حملتها إلى الصالة لإكرام وفادة دون باسكوال و ابنه. انسحبت بسرعة و هى تعتذر متجهه إلى المطبخ حيث كانت في انتظارها تيتا وروساورا وخيرترو ديس لإعطائهن تقريرا مفصلاً عن كل ما يجرى في الصالة. دخلت في عجلة وتوقفن جميعهن عن العمل فوراً حتى لا يضيعن كلمة واحدة من كلماتها.

كن جميعاً مجتمعات هناك من أجل إعداد فطائر عيد الميلاد. وهذه الفطائر، كما يشير اسمها، تُصنع في فترة أعياد الميلاد و لكنها هذه المرة كانت تعد من أجل الاحتفال بعيد ميلاد تيتا. ففى الثلاثين من سبتمبر تكمل عامها السادس عشر و كانت تريد الاحتفال بتلك السنوات بتناول أحد أطباقها المفضلة.

- أي نعم، أليس كذلك ؟ تتحدث أمك عن أنك جاهزة للزواج كما لو كنت طبق إنتشيلاداس (٢)! ولاحتى ذلك! فالشكل ليس كالجوهر! فلايمكن بأى حال من الأحوال إبدال أكلة خفيفة بإنتشيلاداس!

(٢) أكلة مكسيكية عبارة عن رغيف من دقيق الذرة المحشو بالملفل وغيره Enchiladas.

لم تتوقف تشنيتشا عن هذا النوع من التعليقات و هى تقص عليهن، بطريقتها بالطبع، الموقف الذي شاهدته توأ. كانت تيتا تعلم كم المبالغة و الكذب الذي دأبت تشينتشا عليه لذا لم تعط الفرصة ليتمكن الكدر منها.

رفضت قبول حقيقه ما سمعته لتوها. استمرت وهى تتظاهر بالهدوء في تقطيع الخبز الفينو لكى تقوم شقيقاتاها و ناتشا بحشوه.

يُفضل أن يُخبز العيش الفينو في المنزل. ولكن إذا لم يكن ذلك ممكناً فمن المناسب طلبه من المخبز على أن يكون الخبز صغير الحجم لأن الكبير لا يصلح لهذه الأكلة. بعد حشو قطع الخبز توضع في الفرن لمدة عشر دقائق وتقدم ساخنة. و للحصول على نتيجة مثلى يمكن تركها في الهواء الطلق ليلة كاملة ملفوفة في قطعة قماش حتى يتشرب الخبز دهن السجق.

وبينما كانت تيتا تنهى تغليف الفطائر التى سيتناولنها في اليوم التالى دخلت ماما إيلينا المطبخ لتخبرهن بأنها قد وافقت على زواج بيدرو ولكن من روساورا.

وما أن سمعت بتأكيد الخبر حتى شعرت تيتا و كأن الشتاء قد تخلل جسدها فجأة: كان بارداً و جافاً إلى درجة أنه لفح وجنتيها و جعلهما حمراوين، حمراوين في مثل لون التفاح الذي

كان أمامها. لقد صاحبها هذا البرد المفاجئ لوقت طويل بدون أن يفلح شئ في تهدئته و لا حتى عندما روت لها ناتشا ما سمعته وهى تصاحب دون باسكوال موثكيث و ابنه حتى مدخل المزرعة. كانت ناتشا تسير أمامهما محاولة تقليل خطوها لتسمع بشكل أفضل الحديث الذي دار بين الأب و الابن. كان دون باسكوال وبيدرو يسيران ببطء و يتحدثان بصوت خفيض و مكبوت من الغضب.

– لماذا فعلت هذا يا بيدرو ؟ لقد كان وضعنا مثيراً للسخرية بقبولنا الزواج من روساورا. أين إذن الحب الذي عاهدت تيتا عليه؟ أليست لك كلمة ؟

– لدى بالطبع، ولكن لو أنهم أبوا عليك بشكل قاطع الزواج من المرأة التي تحبها وكان المخرج الوحيد لتكون بالقرب منها هو الزواج من أختها، ألن تتخذ نفس القرار ؟

لم تستطع ناتشا سماع الرد لأن بولكيه، كلب المزرعة، خرج مسرعاً وهو يعوى خلف أرنب خاله قطاً.

– إذن، ستتزوج بلا حب ؟

– لا يا أبى، سوف أتزوج و أنا أشعر بحب كبير و خالد لتيتا.

كان التقاط صوتهما يزداد صعوبة فقد أخمده صوت وطء

الأقدام بالأوراق الجافـة. كان غريباً أن تقـول ناتشا، و كانت في ذلك الحين أشد صـمماً، إنهـا سمعت الحديث. لـقد أسعد تيـتا بالطبع أن تحكيه لها و لكن هذا لم يغير من موقف التحفظ البارد الذي اتخـذته منذ ذلك الحين حـتى مع بيـدرو. يقـال إن الأصم لايسـمع ولكنه يؤلف. لعل ناتشـا سمـعت فقط الكلمـات التي صمت عنها الجمـيع. كان مستحيلاً علـى تيتا أن تصاحب النوم، لم تكن تستـطيع تفسيـر ما تشعـر به. للأسف لم تكن في ذلك العهد قد اكتشفت بعد الثقوب السوداء في الفضاء لأنه عندئذ كان سيكون سهلاً عليها إدراك أنهـا كانت تشعر بثقب أسود في وسط صدرها يتسرب منه برد لانهاية له.

كانت تسـتطيع كلما أغلقـت عينيهـا أن تستـرجع بوضوح مشاهد ليلـة عيد الميلاد قبل عـام و كان بيدرو و عائلتـه مدعوين فيها لأول مرة لتناول العشاء في بيتها و كان البرد يشتد بها. لكنها بالرغم من الوقت الذي مر كانت تستطيع أن تتذكر تماماً الأصوات والروائح وصوت احتكاك فستانها الجديد بالأرض التي تم تشميعها حـديثاً ؛ و نظرة بـيدرو لكتـفـيهـا. . . تلك النظرة! كـانت هى متوجهة نحو المائدة وهى تحمل صينية بها حلوى من صفار البيض عندما شعـر هو بها، ملتهبة، تحـرق له جلده. أدار رأسه والتقت عيناها بـعينى بيدرو. في تلـك اللحظة شعرت تمامـاً بما يمكن أن يشعر به عجين الزلابية عند تلامـسه بالزيت المغلى. كان شعورها

بالحرارة التي تجتاح كل جسدها حقيقياً إلى درجة أنها خشيت من أنه، كما يحدث لإحدى عجين الزلابية، قد تبدأ الفقاقيع في الانبثاق في كل جسدها - الوجه و البطن و القلب و النهدين - لم تستطع تيتا مجاذبته تلك النظرة وقامت وهى تخفض نظرتها باختراق الصالون بسرعة حتى الطرف المقابل حيث كانت خيرترودیس تدير عبر البيانولا فالس "عيون شابة" . وضعت الصينية فوق منضدة صغيرة وتناولت و هى شاردة الفكر كأساً من شراب نويّو[٣] noyo وجدته في طريقها و جلست بجوار باكيتا لوبو جارتهن في المزرعة. لم يفدها بشئ ابتعادها عن بيدرو، فقد كانت تشعر بالدماء تجرى لافحة في عروقها. كان احمرار شديد يكسو و جنتيها و لم تستطع بالرغم من المجاهدة المتصاعدة أن تجد مكاناً تحط عليه نظرتها. لاحظت باكيتا أن شيئاً غريباً يدور وسألتها وهى تبدى قلقاً كبيراً:

- كم لذيذ هذا الشراب. أليس صحيحاً ؟
- أتأمرين حضرتك بشئ ؟
- أراك شاردة جداً يا تيتا. هل أنت بخير ؟
- نعم، شكراً جزيلاً.
- لست بعد في سن مناسب يسمح لك بتناول بعض

(٣) مشروب كحولى مكون من العرق والسكر واللوز المر.

الشـراب في المناسبـات الخاصـة يا مكارة، ولكن أخبـريني: هل أذنت لك أمك بأن تفـعلى ذلك ؟ لأننى ألاحظ أنك منتـفضـة و مرتعـشة - وأضافت بـشكل مثيـر للشفقـة - من المستـحسن ألا تشربى، فلا تتصرفى تصرفاً غير لائق.

لم ينقصها سوى ذلك! أن تعتـقد باكيتا لوبو أننى ثملة. لم تستطع السماح بأن يكون لديها أدنى شك أو أن تخاطر بأن تذهب لتنقل إشـاعة كـاذبة لأمهـا. أدى الرعب من أمهـا إلى أن تنسى للحظة وجود بيدرو و حاولت بكل الطرق أن تقنع باكيتا بأنها في كامل وعيها ونشاطها الذهنى. تحدثت معها حول بعض الشائعات والتوافـه. بل وأمدتهـا بوصفة شـراب النويو التى كانت تشـغلها للغـاية. يصنع هذا الشـراب بوضع أربع أوقيـات من لوز الدرّاق ونصف رطل من لوز المشمش في حـوالى لترين من الماء لمدة أربع وعشرين سـاعة حتى يطرى جلد اللوز ؛ يقشّـر و يكسّر و يوضع في منقوع لترين من المـاء المغلى لمدة خمسة عشـر يوماً. بعد ذلك نبدأ في تقطـيره. وبعد إذابة رطلين ونصف من الـسكر المطحون في الماء إذابة تامـة يضاف إليه أربعـة لترات من زهر البـرتقال ثم تخلط المقادير كلها ويصفى الخليط. وحتى لا تترك أي شك حول حالتها الطبيـعية ووعيها ذكّرت باكيتا كمـا لو كان أمراً عارضاً بأن المكيال المستخدم للسوائل يعادل ٢,٠١٦ لتراً لا أكثر و لاأقل.

وهكذا عندما اقتربت ماما إيلينا منهما لتسأل باكيتا إذا كانت

حسنة الضيافة أجابتها الأخيرة بحرارة:

- إننى في أحسن حال! لديك بنات رائعات. وحديثهن ساحر!

أمرت ماما إيلينا تيتا بأن تذهب إلى المطبخ لإحضار بعض السندويتشات لتوزيعها على الحاضرين. كان بيدرو بالقرب منها في تلك اللحظة، عن عمد، وعرض مساعدتها. سارت تيتا نحو المطبخ بسرعة دون أن تنبس ببنت شفة. فقد كان قرب بيدرو منها يجعلها عصبية للغاية. دخلت و اتجهت نحو إحدى الصوانى التى بها ساندويتشات لذيذة كانت تنتظر بصبر فوق منضدة المطبخ.

لن تنسى أبداً التلامس العرضى لأيديهما عندما حاولا بارتباك أخذ نفس الصينية في نفس الوقت.

وقتها باح لها بيدرو بحبه.

- آنسة تيتا، أريد انتهاز الفرصة لأتحدث معك على انفراد وإخبارك بأننى أحبك بشدة. أعلم أن هذا التصريح جرئ و متعجل ولكن من الصعب جداً الاقتراب منك وقد اتخذت القرار بأن أفعل ذلك الليلة. أريد فقط أن تقولى لى إذا كنت أطمع في حبك(٤).

- لاأعرف بم أجيبك ؛ أعطنى فرصة لأفكر.

(٤) الحديث هنا يتم بصيغة الاحترام «حضرتك» بين الطرفين وهو ما كان شائعًا فى ذلك الوقت، ولسيولة الترجمة وضعت الحديث بشكل عادى.

- لا ، لن أستطيع، أريد الإجابة تواً: إن الحب لايحتاج إلى تفكير: أنا رجل كلماتى قليلة ولكنها راسخة. أعاهدك بأننى سوف أحبك ألى الأبد. ماذا عنك ؟ هل تشعرين أيضاً بالحب نحوى ؟

- نعم!

نعم، نعم وألف مرة نعم. لقد أحبته منذ تلك الليلة و إلى الأبد. ولكن عليها أن تعدل عن ذلك. فليس من اللائق حب من سيكون زوج شقيقتها. كان عليها محاولة طرده من تفكيرها بأية طريقة حتى تستطيع النوم. حاولت أن تأكل فطيرة الميلاد التى تركتها لها ناتشا فوق المكتب مع كوب الحليب. كان لهذه الوجبة نتائج جيدة في كثير من المناسبات. كانت ناتشا بتجربتها الطويلة تعلم انه بالنسبة لتيتا ليس هناك أي كدر لايمكن إزالته بأكل فطيرة الميلاد اللذيذة. ولكن ليس في هذه المناسبة. فالفراغ الذي تشعر به في معدتها لم يسكن. على العكس، اجتاحها شعور بالغثيان. واكتشفت أن فراغ معدتها لم يكن من الجوع ؛ بالعكس كان الأمر يتعلق بالشعور بحمى برد مؤلمة. كان لابد من التخلص من هذا البرد المزعج و كإجراء أول قامت تيتا بتغطية نفسها بغطاء ثقيل و ملابس صوفية. ظل البرد بلا حراك. عندئذ وضعت حذاء مغزولاً من الصوف وغطاءين آخرين من الصوف. لاشئ. أخيراً أخرجت من سلة الحياكة الخاصة بها غطاء كانت قد بدأت في غزله في

اليوم الـذي تحدث بيدرو مـعهـا عن زواجهـما. غطاء كـهذا من الكروشيه، ينتهى عمله في عام تـقريباً. وهى بالضبط الفترة التى فكر بيدرو و تيتـا انتظارها قبل الزواج. قررت تيتا أن تستـفيد من الغزل بدلاً من تبديده وأخذت بغـيظ تغزل و تبكى وتبكى و تغزل حتى جـاء الفجـر وفد أنهت شغل الغطاء فـوضعـته فوقـها. لم يجـدها في شئ. لم تتمكن تـلك الليلة ولا ليال أخـرى من أن تسيطر على البرد طوال حياتها.

وتستمر الحكاية

الوصفة القادمة

كعكة التشابيلا (للفرح)

الفصل الثانى

فبراير

كعكة التشابيلا

المقادير:

١٧٥ جم من السكر الفاخر الخشن

٣٠٠ جم من الدقيق الفاخر المنخول ثلاث مرات

١٧٠ بيضة

مبشور ليمونة

طريقة العمل

يوضع في كسرولة صفار خمس بيضات وأربع بيضات كاملة والسكر. يضرب الخليط حتى يغلظ قوامه ثم تضاف إليه بيضتان أخريان كاملتان، وتكرر هذه الخطوة حتى ننتهي من البيض كله بواقع بيضتين بيضتين في كل مرة. لصنع كعكة زفاف بيدرو وروساورا كان يتعين على تيتا وناتشا أن تضاعفا مقادير هذه الوصفة عشر مرات، فبدلاً من إعداد كعكة لثمانية عشر شخصاً، كان عليهما إعدادها لمائة وثمانين. وبذا يكون المجموع ١٧٠ بيضة! وهذا يعني أنه كان عليهما الاستعداد لجمع كمية من البيض الجيد لنفس اليوم.

ولتحقيق ذلك قامتا قبل عدة أسابيع بحفظ أفضل أنواع البيض الذي يضعه الدجاج. وكانت طريقة الحفظ هذه تستخدم في المزرعة منذ عهد بعيد جداً للتزود خلال الشتاء من هذا الطعام المغذي والضروري. وأفضل وقت لهذه العملية هما شهرا

أغسطس وسبتمبر. والبيض الذي يخصص للحفظ يجب أن يكون طازجاً جداً. كانت ناتشا تفضل أن يكون من إنتاج نفس اليوم. يوضع البيض في إناء مملوء بعلف الكبش المذاب وشبه البارد بحيث يغطيه تماماً. ويكفي هذا لضمان حفظه في حالة جيدة لعدة أشهر. أما إذا كان المراد حفظه لأكثر من عام فيوضع البيض في إناء من الفخار ويغطى بخليط من الجير والماء بنسبة واحد إلى عشرة، و يغطى بإحكام لمنع تسرب الهواء إليه ثم يحفظ في القبو. وقد أخذت تيتا وناتشا بالطريقة الأولى فما كانتا في حاجة إلى حفظ البيض لشهور كثيرة. وقد كان بجانبهما، أسفل مائدة المطبخ، الإناء الذي وضعتا فيه البيض الذي كانتا تستخدمانه في صنع الكعكة.

كان المجهود العظيم المتمثل في ضرب هذا الكم الهائل من البيض قد بدأ يؤثر على عقل تيتا في أعقاب تخطيهما خفق البيضة المائة. وبدا لهما مستحيلاً أن يصلا إلى البيضة رقم ١٧٠.

كانت تيتا تقوم بخفق البيض بينما تقوم ناتشا بكسره وإضافته. كانت رجفة ما تغزو جسد تيتا، وكما يقال، يقشعر جلدها، مع كل بيضة تكسر. كانت تخلط الدرّاق الأبيض بخصي الديكة التي خصيت قبل شهر. وتلك الأنواع من الديكة تخصى لتسمينها. وقد اختير هذا الطبق لتقديمه في حفل زفاف بيدرو وروساورا لأنه من أشهر الأطباق في الولائم الكبرى وذلك

لما يبـذل من مجـهود في إعـداده وكذلك لمذاق الديكة المخـصيـة الرائع.

ومنذ أن تم تحديد موعد الزفـاف في الثاني عشر من يناير، أُرسل في طلب شـراء اثني عـشر ديكـاً تم خصـيـها والبـدء في تسمينها مباشرة.

كانت تيتا وناتشا هما المكلفتـان بهذه المهمة. ناتشا لخبرتها وتيتا عقـاباً لها لعدم موافقتهـا على الحضور يوم جاءوا لطلب يد أختها روساورا متعللة بصداع.

- لن أسـمح بعقـوقك -قـالت لها مـامـا إيلينا- ولا بأن تفسدي عـلى أختك حفل زفافهـا بأن تجعلي من نفسك ضـحيةً. سوف تتـولين من الآن الإعداد للـوليمة، واحـذري أن أرى منك وجهاً عابساً أو دمعة، أسمعتني؟

كانت تيـتا تحاول ألا تنسى هذا التـحذير وهي تستعـد لبدء أول مهـمة. وكـانت عملية الخـصاء تتلخص في عـمل شق في الموضع الذي يغطي خصـيتي الديك: يتم إدخال الإصـبع للبحث عنهمـا ثم تُنزعان. بعد ذلك الإجراء يخـاط الجرح ويدعك بزبد طازج أو بشحم الطيـور. كانت تيتـا على وشك أن تفقد وعيـها وهي تضع أصبـعها وتجذب خصـيتي أول ديك. كانت أصـابعها ترتعد وكانت تتصبب عرقاً غزيراً وتتقلب معدتها عليها مثل طائرة

ورقية في الهواء. رمقتها ماما إيلينا بنظرة ثاقبة وقالت لها: ماذا دهاك؟ لماذا ترتعدين؟ هل سنبدأ بمشاكل؟ رفعت تيتا بصرها ونظرت إليها. كانت تريد أن تصرخ فيها بنعم، هناك مشاكل، إنها أخطأت في اختيار من هو أنسب لعملية الخصاء، كانت هي الأنسب لها لأنها بهذه الطريقة كان يمكنها على الاقل أن تجد مبرراً حقيقياً لرفض زواجها وإحلال روساورا مكانها بجوار الرجل الذي كانت تحبه هي. أصاب ماما إيلينا الحنق وهي تقرأ نظرة تيتا وناولتها صفعة قوية أسقطتها على الأرض بجوار الديك الذي نفق نتيجة سوء إجراء العملية.

كانت تيتا تضرب وتضرب البيض بهياج، كما لو كانت تريد التخلص من عذابها مرة واحدة. لم يكن تبقى سوى خفق بيضتين ليصبح عجين الكعكة جاهزاً. فيما عدا ذلك كان كل شيء أعد للوليمة حتى الأطباق الصغيرة المعدة لإطعام عشرين فرداً والشطائر التي تسبق الوجبة الرئيسية. كانت تيتا وناتشا وماما إيلينا وحدهن في المطبخ. وكانت تشينتشا وخيرتروديس وروساورا يضعن اللمسات الأخيرة لفستان العروس. تناولت ناتشا بارتياح كبير البيضة قبل الأخيرة لتكسرها. لكن تيتا، بصيحة منها، منعتها من فعل ذلك.

- لا !

أوقفت تيتا خفق البيض وأخذت البيضة بين يديها. كانت

تسمع بوضوح صُئيّ فرخ داخل البيضة. قرَّبت البيضة من أذنها وسمعت صُـئيّ الفرخ على نحو أشد. أوقفت مامـا إيلينا عملها وسألت بصوت متسلط:

- ماذا يجري؟ لماذا هذه الصيحة؟

- ثمة فرخ بداخل هذه البـيضة ! لاتستطيع ناتشا بالتـأكيد سماعه، أما أنا فنعم.

- فرخ؟ أنت مجنـونة! لم يقع أمر كهذا البتـة مع البيض المحفوظ.

وبخطوتين واسعتين وصلت مكان تيتـا وانتزعت البيضة من يديها وكسرتها. أغلقت تيتا عينيها بقوة.

- افتحي عينيكِ وانظري إلى فرخك!

فتحت تيتا عينيها ببطء، ورأت في دهشة ما كانت تعتقد أنه فرخ، لم يكن سوى بيضة طازجة جداً بالطبع.

- اسمعيني جيداً يا تيتـا، إنك تفقدينني صبري، لن أسمح لك بأية حمـاقات. فهـذه أول وآخر مرة! وإلا فـإنني أؤكد لك أنك ستندمين!

لم تستطع تيتا إيجاد تفسير لما حدث في تلك الليلة، هل ما سمـعته كان نتـيجة إجـهاد أم هي أوهام عقلهـا. وكان الأنسب

بشكل مؤقت أن تعود إلى ضرب البيض، فلم تكن ترغب في اختبار حدود صبر أمها.

بعد ضرب البيضتين الأخيرتين يضاف مبشور الليمونة، وعندما يغلظ العجين تماماً، توقف عملية الضرب ويضاف الدقيق المنخول بخلطه قليلاً قليلاً بملعقة خشبية حتى ننتهي من إضافته كاملاً. وأخيراً تدهن صينية بالزبد وترش بالدقيق ويقلب بها العجين. يخبز في فرن لمدة ثلاثين دقيقة.

وجدت ناتشا نفسها، بعد إعداد عشرين طبقاً مختلفاً في ثلاثة أيام، جد متعبة وكانت تنتظر بفارغ الصبر ساعة وضع عجين الكعكة في الفرن لتتمكن أخيراً من الذهاب للراحة. لا يمكننا اعتبار تيتا هذه المرة مساعدة جيدة. لم تستطع في أي لحظة أن تتذمر، ربما لأن نظرة أمها النافذة لم تكن تسمح لها بذلك، ولكنها ما أن رأت ماما إيلينا تخرج من المطبخ متوجهةً إلى حجرتها حتى أطلقت زفرة طويلة. وقامت ناتشا التي كانت بجوارها بجذب الملعقة الخشبية من يدها بلطف وعانقتها وقالت لها:

– لم يعد أحد في المطبخ يا بنتي، ابكي الآن، لأنني لا أريد أن يراك أحد تبكين غداً، خاصةً روساورا.

أوقفت ناتشا عملية خفق البيض لشعورها بأن تيتا كانت

على وشك الإصابة بانهيار عـصبي، لم تكن بالطبع تعرف ما هو الانهيار العصبي لكنها بحكمتها الواسعة أدركت أن تيتا لن تتحمل أكثر من ذلك. ولا هي في الحقيقة. لم تكن بين روساورا وناتشا معـاملة طيبـة. فقد كـانت ناتشا جد مـستـاءة من روساورا منذ طفولتها لأنها كانت مدللة جداً في طعامها. اعتادت أن تتركه في الطبق دون أن تمسـه، أو كانـت تعطيه خـفيـةً إلى تيكيـلا، والد بولكيه(كلب المزرعة). كـانت ناتشا تتخذ من تيتا مـثلاً لروساورا في أنهـا تأكل على نحو طـيب جداً وتأكل من كل شيء. كـان هنالك بالطبع طعام واحد لاتحبه تيتا، البيض نصف المسلوق الذي كانت مامـا أيلينا تجبرها على تناوله. ومن ثم، وبما أن نـاتشا قد تولت تعليمها أصول الطهي، فإن تـيتا لم تكن تأكل الطعام المعتاد فقط، بل كانت تأكل، فضلاً عنه، ديدان الصـبّار وبرغوث البحر والبـاكـا والمدرع... إلخ، وذلك إزاء هلع روســاورا. من هنا تولدت كراهية ناتشا لروساورا والمنافسـة بين الشقيقتين التي بلغت ذروتها بهـذا الزواج الذي ستتـزوج روساورا بمقتـضاه من الرجل الذي أحبته تيتا. وما لم تكن تعلمه روساورا، رغم ارتيابها منه، هو أن بيدرو كان يحب تيتا حباً لا حد له. ومن ثم كان منطقياً أن تنحاز ناتشا إلى جانب تيتـا وأن تحاول بشتى الوسائل أن تجنبها المعاناة. كانت ناتشا تجفف بمرولتها الدموع التي تنساب على وجه تيتا وتقول لها:

- ها يابنتي، ها سوف ننتهي.

بيد أنهما تأخرتا أكثر من المعتاد فلم يتمكن العجين من التخمر نتيجة دموع تيتا. وهكذا، متعانقتين، واصلتا البكاء حتى جفت مقلتا تيتا. عندئذ بكت بلا دموع ويقال إن ذلك أشد إيلاماً، مثل الولادة بلا ماء، ولكنها على الأقل لم تعد تبلل عجين الكعكة مما يسمح بالانتقال إلى الخطوة التالية، وهي الحشو.

الحشو

المقادير:

١٥٠ جرامًا من مربى التشاباكونا (٥)

١٥٠ جرامًا من السكر الخشن

طريقة العمل

توضع ثمرات التشاباكانو على النار مع قليل من الماء، تترك لتغلى. وتصفى بقطعة شاش واسعة الثقوب أو منخل، واذا لم يتوفر يمكن استخدام مصفاة عادية. يوضع هذا العجين فى كسرولة

(٥) نوع من الثمار يشبه الخوخ، تصنع منه مربى.

و يضاف اليـه السكر و توضع على النار بدون التوقف عن تقليـبه حتى يعقـد و يصير مربى. ترفع من على النار ويترك ليـبرد قليلاً قبل وضعه فى وسط الكعكة التى تم بالطبع شطرها من قبل.

كانت ناتـشا وتيتـا لحسن الحظ قـد اعدتا قبـل يوم الزفاف بشهر عـدة برطمانات محفـوظة من التشاباكانو و التين وكـمبوت الأناناس. وبفضل ذلك تفادتيا مهمة إعداد المربى فى نفس اليوم.

كانتا متعودتين على إعداد كميات كبيرة من المربى فى وعاء كبيـر بمغرفة يوضع فى صحـن الدار و ذلك للإستفادة من فـاكهة الموسم. كـانتا تضـعان اناء المربـى فوق النار فى الهـواء الطلق و لتقليب المربى كانتا تغطيان ذراعيـهما بملاءات قديمة. فقد كان هذا يحميهما من تطاير بعض رذاذ الفوران وحرق جلدهما.

عندما فـتحت تيتـا الوعاء اعادتهـا رائحة التشـاباكانوا إلى الأمسية التى اعدتا فيها المربى. كانت تيتا عائدة من البستان حاملة الفاكهـة فى جونلتها لأنهـا كانت قد نسيت السلة. كـانت تحملها وهى ترفع الجونلة وعندمـا دخلت المنزل كم كانت دهشتهـا عندما التقت مع بيدرو فـى المطبخ. كان بيدرو متجـهاً إلى الفناء الخلفى لإعـداد الكارته. كان عليـهم الذهاب إلى القـرية لتـسليم بعض الدعوات و لما لم يأت السـايس فى ذلك اليوم إلى المزرعـة، كان عليه هو نفســه القيام بتلك المهمة. عندما رأته ناتشـا خرجت شبه

عدواً متعللة بالذهاب لاحضار ايباثوتيه [٦] للفاصوليا. أما تيتا فقد أدت الدهشة إلى وقوع بعض ثمرات التشاباكانوا منها على الأرض. اسرع بيدرو إلى مساعدتها فى جمعها. وعند إنحنائه استطاع رؤية جزءاً من سيقان تيتا التى كانت مكشوفة. قامت تيتا و هى تحاول تفادى أن يراها بيدرو، بانزال جونلتها. عندئذ انزلقت ثمرات التشاباكانوا الباقية فوق رأس بيدرو.

- معذرة يابيدرو. هل آلمتك ؟

- ليس بالدرجة التى آلمتك انا بها، دعينى اخبرك بأن غرضى...

- لم أطلب منك اى تفسير.

- من الضرورى ان تسمحى لى بأن أوجه لك بعض الكلمات...

- فعلت ذلك مرة ووجدت انها كانت كذبة، لاأريد سماع كلمات أخرى...

أسرعت تيتا وهى تقول هذا، خارج المطبخ، من الباب الآخر، نحو الصالة حيث كانت تشينتشا وخيرتروديس تطرزان ملاءة الزفاف. كانت ملاءة من الحرير الأبيض و كانتا تطرزانها

(٦) نبات شيطانى ينمو فى كل أنحاء المكسيك ،له زهرة شوكية صغيرة ذات رائحة وطعم قوى يستخدم كتوابل وعشب طبى.

تطريزاً رفيع الذوق فى وسطها. كـان الغرض من هذا التطريز هو الدلالة فقط على نبل شأن العروس فى اللحظات الخاصة جداً من الزواج. وفى الحقيـقة أن الحظ قد حالفهن بالحـصول على الحرير الفرنسى فى تلك الفترة من عدم الاسـتقرار السياسى. فلم تسمح الثورة لأى فرد بالسفر بأمـان عبر البلاد ؛ وهكذا فإنه لو لم يكن عبر مـواطن صينى، كان يعمل فى التهـريب، لما امكنهن الحصول على القمـاش حيث أن ماما إيلينا لم تكن تسـمح لأي واحدة من بناتهـا بمخاطرة الذهاب إلى العـاصمة لشـراء لوازم صنع فسـتان وجهاز روساورا. كان هذا الصيني عـلى قدر كبير من الدهاء: كان يزاول البيع في المدينة ويقبل الأوراق المالية الخاصة بالجيش الثوري الشمالي والتي كـانت بلا قيمة هناك وغير صـالحة للتداول. كان يقبلهـا بأسعار زهيدة بالطبـع ثم يسافر بتلك الأموال إلى الشـمال حيث كانت تكتسب قيمتها الحقيقية ويشتري بها بضاعة.

وفي الشمـال كان يقـبل بالطبع الاوراق المالية الـرائجة في العاصمة بأسعار متـدنية وهكذا كان أمره طوال الثورة إلى أن صار مليـونيراً. ولكـن المهم أن بفضله اسـتطاعت روسـاورا أن تحظى بأفخر وأروع الأقمشة لزفافها.

ظلت تيتا كالمنومة مغناطيسياً وهي تراقب بياض الملاءة؛ كان ذلك للحظات فقط، ولكنها كانت كافـية لكي تسبب لها نوعاً من الغشاوة. كانت حين تثـبت بصرها في أي مكان لا تميز إلا اللون

الأبيض فــقط. أمـا روسـاورا، وكـانت تكتب بيــدها بعض الدعوات، فكانت تلمـحها كشـبح ناصع البياض. كـانت تخفي جيداً ما يحدث لها فلم يلحظه أحد.

لم تكن تريد أن تتسبب في توبيخ آخر من ماما إيلينا؛ لذا، حين حـضرت عـائلة "لوبو" لتـقدم هـدية الزفاف، حـاولت أن ترهف حواسها لتلتفت إلى من كانت تصافحه، فقد كانوا لها مثل مشهد من خيـال الظل المغطى بملاءة بيضاء. ومن حسن الحظ أن صوت باكيتا الصارخ حل لها المشكلة واستطاعت أن تصافحهم بلا مشقة.

فيما بعد، وهي تصـحبهم إلى مدخل المزرعة، لاحظت أنه حتى الليل لاح لها بشكل لم تكن رأته قط: مشعاً بضوء الفجر.

خشيت من أن يحدث لها نفس الشيء في تلك اللحظات، وعندمـا لم يكن أمامـها سوى التـركيـز بشدة في صنع الـفوندام لتغطيـة الكعكة لم تستطـع. كان بياض السكر الخـشن يفزعـها، كانت تشعر بأن اللون الأبيض سوف يسيطر بين لحظة وأخرى على عقلهـا دون أن تتمكن من تفادي ذلك، مسـتدعياً بصـعوبة صور طفولتها الناصعة بالبراءة عندما كانوا يحملونها في شهر مايو وهي ترتدي الملابس البيـضاء لتـقدم الزهور البيـضاء للسيـدة العذراء. كانت تدخل سائرة بين صف من البنات بملابسهـن البيضاء، حتى

تبلغ الهيكل المليء بالشموع والزهور البيضاء والمضيء بضوء سماوي أبيض صادر من زجاج نوافذ الكنيسة البيضاء. لم يفتها مرة وهي تدخل الكنيسة أن تحلم بأنها يوماً ما ستدخلها متأبطة ذراع رجل. كان عليها أن تكبح ليس هذه الذكرى وحدها بل كل تلك الذكريات التي تؤلمها: كان عليها أن تنتهي من صنع فوندام كعكة زفاف أختها. وبدأت بمجهود كبير في إعداده.

مقادير الفوندام

٨٠٠ جم سكر خشن

٦٠ قطرة ليمونًا وماء كاف لإذابة السكر

طريقة العمل

يوضع السكر و الماء فى كسرولة و ترفع على النار دون التوقف عن التقليب حتى يبدأ فى الغليان. يصفى فى كسرولة أخرى ويرفع على النار مرة أخرى و يضاف إلية الليمون حتى يغلظ قوامه، مع تنظيف حواف الكسرولة من حين لآخر بقطعة قماش مبللة حتى لا يتسكر الشراب ؛ وبعد أن يغلظ قوام الخليط ينقل إلى كسرولة أخرى رطبة، يندى من أعلاه ويترك ليبرد قليلاً. بعد ذلك يضرب بمعلقة خشبية حتى يتجانس.

ولإستعماله يضاف إليــه ملعقة كبيرة من الحليب ويرفع على النار مرة أخرى حتيــينحل، ثم يضاف اليه بعد ذلك قطرة من ماء الورد وتغطى به المنطقة العليا من التورته فقط.

انتبهت ناتشا إلى أن تيتا ليست على ما يرام، عندما سألتها الأخيرة عما إذا كانت ستضيف ماء الورد.

– إبنتى، لقد اضفته لتوى – ألا ترين اللون الوردى به ؟

– لا . . .

– اذهبى للنوم يابنتى، سأكمل أنا التوررون (٧).

لا يشعر بالنار إلا قابضــها، ولكننى أدرك مابك، كف عن البكاء انك تبللين لى الفوندام ولن يصلح، هيا، اذهبى.

غمرت ناتشا تيتا بالقبــلات ودفعتها خارج المطبخ. لم يفهم من أين أخرجت دموع جــديدة ولكنها أخرجتها ومزجــتها بخلطة التوررون. الآن سنحتاج إلى مجهود مضاعف لإعادتها إلى درجة انضباطها. تولت هى مهمــة إكمال التوررون فى أسرع وقت ممكن

(٧) نوع من الحلوى (المقصود به هنا الفوندام).

لتذهب للنوم. ويتم صنع التورورون بضرب عشر بيضات مع ٥٠٠ جم سكر ضرباً قوياً.

وعندما انتهت جاء بفكرها أن تتذوق بطرف أصبعها الفوندام لترى ما اذا كانت دموع تيتا قد غيرت طعمه. لا، لم تغير طعمه بشكل واضح، ولكن دون أن تعرف السبب سيطر على ناتشا فجأة حنين كبير. تذكرت حفلات الزفاف كلاً على حدا والتى كانت قد أعدتها لعائلة دى لا جارثا مع الأمل بأن يكون الحفل القادم حفلها. لم يكن البكاء مجدياً وهى فى الخامسة والثمانين ولا الندم على عدم مقدم الحفل المنتظر و لا الزفاف المأمول، على الرغم من أن العريس نعم جاء، يا لفرحة انه جاء! الإ أن ماما إيلينا قد تكفلت بتطفيشه. منذ ذلك الوقت اكتفت بالتمتع بحفلات زفاف الغير و ظلت هكذا لسنوات كثيرة دون ضجر. لكنها لم تكن تعرف لماذا تفعل ذلك الأن. كانت تشعر أنها مراهقة متأخرة ولكنها لم تكن تستطيع الإقلاع عن فعل ذلك. غطت الكعكة بالتورورون بأفضل ما أمكنها وذهبت إلى حجرتها وهى تشعر بألم شديد فى صدرها. بكت طوال الليل وفى اليوم التالى لم يكن لديها حماس، لحضور العرس.

كانت تيتا تتمنى التضحية بأى شئ لتكون مكان ناتشا، فلم يكن عليها أن تحضر فى الكنيسة فقط، مهما كانت حالتها، بل كان عليها أيضاً أن تحافظ على ألا يظهر على وجهها أى انفعال.

اعتـقدت انها يمكن أن تحـقق ذلك طالما لا تلتقى نظـراتها بنظرات بيدرو. لأن ذلك لو حـدث فإنه يمكن أن يفسد السـلام و الهدوء اللذين كانت تتظاهر بهما.

كـانت تعلم أنها ستكون مـحط الأنظار اكـثر من اخـتهـا روساورا. وكانت تـشعر بوضوح كيف تـخترق ظهرها تهـامسات الحاضرين عند مرورها.

- هل شاهدت تيتا ؟ مسكينة، ستتزوج أختها من خطيبها. لقد رأيتهما مرة فى ميدان القرية، وهما ممسكى اليدين. كم كانت تبدو السعادة عليهما!

- حقـاً ؟ إن باكيتـا تقول إنها رأت بيـدرو فى يوم ما وهو يعطى لتيتا خلسة أثناء القداس خطاباً غرامياً معطراً!

- يقولون إنهمـا سيعيشـان فى نفس البيت! لو كنت مكان إيلينا ما سمحت بذلك!

- لا أعتـقد انهـا ستسـمح بذلك. فأنت تريـن كيف يدور القيل و القال!

لم تعجبها تلك التعليقات بالمرة. إن دور الخاسرة لم يُكتب لها. كان عليها أن تتخذ موقفـاً واضحاً للإنتصار! وكممثلة قديرة قامت بدورها بجدارة محاولة ألا ينشغل فكرها بعرض الزفاف ولا

فى كلام القس ولا العقد ودبلتى الزواج.

انتقلت بفكـرها إلى اليوم الذى كانت فـيه فى التاسـعة من عمرها وذهبت مـتنكرة مع الأولاد إلى القرية. كان محـرم عليها اللعب مع الذكـور، ولكنها قـد ملَّت من اللعب مع شقـيقـاتها. ذهبوا إلى شاطئ النهـر الكبير ليروا من سيكون باستطاعـته عبوره سابحـاً فى أقل وقت ممكن. وكم كانت سـعادتهـا فى ذلك اليوم لكونها الفائزة.

ومن انتصاراتها ذلك الذى وقع فى يوم أحد هادئ بالقرية. كانت فى الرابعة عشرة من عـمرها،وأثناء ما كانت تتنزه فى عربة بمصاحبة شقيقاتها أطلق أحد الأولاد صاروخاً. فانطلقت الأحصنة بسرعة و هى مفزوعة ونفرت خـارج القرية وفقد الحوذى السيطرة على العربة. فقامت تيـتا بتنحيته جانباً بدفـعة شديدة و استطاعت هى وحدها السيطرة على الأحصـنة الأربعة. وعندما أسرع بعض رجال القرية ولحقوا بهن لمساعدتهن أعجبوا بعمل تيتا البطولى.

واستقبلوها فى القرية استقبال بطلة.

كانت تلك الذكريات وكثير غـيرها مثلها تحتل فكرها خلال حفل الزفاف وتجـعلها تضئ وجههـا بابتسامة قطة وديعـة راضية، حتى حانت ساعة العناق وكان عليها أن تهيئ شـقيقتها. فقال لها بيدرو الذى كان بجوارها.

- وأنا ألن تهنئينني ؟

- بلى، وكيف لا. أتمنى لك كل السعادة.

قام بيدرو بعناقها مقترباً منها اكثر مما تسمح به القواعد الاجتماعية ومستغلاً الفرصة الوحيدة له ليستطيع أن يقول لها شيئاً فى أذنها:

- كنت واثقاً من أن الأمور ستسير هكذا، فقد استطعت بهذا الزواج الحصول على ماكنت أتوق للغاية اليه: أن أكون بجانبك، المرأة التى أحبها حباً حقيقياً...

وقعت كلمات بيدرو التى نطقها لتوه عند تيتا مثل الجذوة التى اتقدت فاشعلت باقى الرماد الذى كان على وشك أن ينطفئ. وبدا على وجهها الذى ظل لشهور مجبراً على عدم اظهار مشاعرها، تغيير لا يمكن السيطرة عليه، كان وجهها يعكس راحة وسعادة كبيرين كانت كما لو كان كل ذلك الغليان الداخلى المتقد قد نشط فجأة عبر انفاس بيدرو الحارة فوق عنقها ويديه المتقدتين فوق ظهرها وصدره القوى فوق نهديها... كان يمكنها البقاء هكذا إلى الأبد لولا النظرة التى رمقتها بها ماما إيلينا وجعلتها تنفصل عنه بسرعة. إقتربت ماما إيلينا من تيتا وسألتها:

- ماذا قال لك بيدرو ؟

- لاشئ يامامى.

- لن تخادعينى، فإن كنت انت ذكية قيراطاً فأنا أربعة وعشرين. فلا تتصنعى الضعف. الويل لك لو رأيتك مرة أخرى بالقرب من بيدرو.

حاولت تيتا، بعد هذه الكلمات المهددة لماما إيلينا، أن تكون بعيدة بقدر استطاعتها عن بيدرو. أما الذى كان مستحيلاً بالنسبة لها فهو أن تمحو من على وجهها ابتسامة رضا واضحة. ومنذ تلك اللحظة أصبح لحفل الزواج معنى آخر بالنسبة لها.

لم يعد يضايقها فى شئ رؤية بيدرو وروساورا وهما ينتقلان من مائدة لأخرى لشرب نخبهما مع المدعوين ولا وهما يرقصان الفالس ولا قيامهما بعد ذلك بقطع كعكة الفرح. لقد تأكدت الأن: أن بيدرو يحبها.

كانت ترغب رغبة قاتلة فى أن تنتهى الوليمة لتجرى إلى ناتشا وتحكى لها كل شئ. وانتظرت بلا صبر أن ينتهى الجميع من أكل الكعكة التى صنعتها حتى تستطيع الذهاب. كان كتيب كاررينيو(٨) يمنعها من الذهاب قبل إتمام ذلك، ولكنه لم يكن يمنعها من أن تحلق بين السحب و هى تأكل شريحتها بصعوبة كانت غارقة فى أفكارها إلى حد لم يسمح لها بأن تلاحظ أن شيئاً غريباً يحدث حولها. فقد تملك كل الحاضرين حنين شديد بمجرد

(٨) كتيب لتعليم فن وآداب السلوك (الإتيكيت).

تناول أول قضمة من الكعكة. حتى بيدرو، المتماسك دائماً، كان يبذل مجهوداً هائلاً من أجل احتواء الدموع. حتى ماما إيلينا والتى حتى عندما توفى زوجها لم تزرف دمعة حزن، كانت تبكى بصمت. ولم يقتصر الأمر على ذلك فقط، فقد كان البكاء العرض الأول لتسمم نادر كان السبب بعض الشئ فى حالة الكآبة الشديدة والإحباط التى سيطرت على كل المدعوين وجعلتهم ينفذون إلى الفناء وإلى الحظائر والحمامات و كل منهم متشوق إلى حبه الوحيد. لم يسلم واحد منهم من سحر الكعكة و المحظوظون منهم فقط هم الذين وصلوا فى الوقت المناسب إلى دورات المياه، أما الذين لم يستطيعوا فقد اشتركوا فى حالة تقيؤ جماعى تمت فى كل انحاء الفناء. و الحقيقة أن الوحيدة التى لم يؤثر فيها طعم الكعكة كانت تيتا. فما أن انتهت من تناول نصيبها منها حتى غادرت الحفل. كانت ترغب فى أن تخبر ناتشا بأسرع ما يمكن انها كانت على حق عندما كانت تقول إن بيدرو لم يكن يحب سواها. ولأنها كانت تتخيل السعادة المرتسمة على وجه ناتشا لم تتنبه الى التعاسة التى كانت تنمو مع خطواتها إلى أن وصلت إلى مستويات مقلقة بشكل مؤثر. وكان على روساورا أن تغادر مائدة الشرف بين انحناءات.

كانت تحاول بكل الوسائل السيطرة على الغثيان ولكن الأخير كان أكثر تمكن منها! كان هدفها هو انقاذ فستان زفافها من

فضلات قيء الأهل و الأصدقاء، و لكنها انزلقت عند محاولتها عبور الفناء ولم تسلم و لا قطعة واحدة من فستانها من القئ. التحف بها نهر ضخم و حزين وجذبها بعض الأمتار مؤدياً، لعدم مقدرتها على التحمل أكثر، إلى أن تطلق كبركان ثائر جرعات مدوية من القئ أمام نظرات بيدرو المذعورة. ناحت روساورا كثيراً لهذا الحادث الذى افسد زفافها ولم يكن هناك قوة على الأرض يمكن أن تمحو من عقلها أن تيتا قد خلطت مادة ما بالكعكة.

أمضت الليل كله بين الأنات و الألم الذى كان يثير لديها خاطر التبرز على الملاءات التى امضت وقتاً طويلاً فى تطريزها. اقترح بيدرو عليها مسبقاً أن تترك ليوم آخر إتمام ليلة الزفاف. ولكن مرت أشهر قبل أن يشعر بيدرو بضرورة إتمام ذلك وبأن تتجرأ روساورا و تقول له إنها أصبحت فى صحة جيدة. كان بيدرو حتى تلك اللحظة يدرك انه لايستطيع أن يمتنع عن القيام بدوره كرجل اكثر من ذلك فى تلك الليلة ذاتها ومستخدماً ملاءة الزواج، ركع أمام سريره وعلى شكل صلاة قال:

- إلهى، ليس بهدف الرذيلة و لاالفسق و انما لمولد إبن لخدمتك.

لم تكن تيتا تتخيل أن يمر وقت بهذا القدر حتى يكتمل

العـرس المذكور. لم يكن يهـمـها كـيف تم ولا ما اذا كـان يوم الإحتفال الدينى للزواج أو أى يوم آخر.

كانت مـشغـولة بأن تنفذ بجـلدها أكثر مـن أى شئ آخر. كانت ليلة الزفـاف قد تلقت على يد ماما إيلينا علقـة ساخنة، لم تتلقـاها من قبل ولن تتلقـاها من بعد. ظلت أسـبوعين مـلازمة الفراش حـتى تتعافى من الـضربات. وكان سـبب هذا القدر من العقاب القاسى هو تأكد ماما إيلينا من أن تيتا بالتواطوء مع ناتشا، قد خططت متـعمدة إفساد حفل زفـاف روساورا بأن خلطت مادة مقـيئة بالكعكة. لم تسـتطع تيتـا بالمرة اقناعها بأن المادة الوحـيدة الغريبـة التى كانت بالكعكة هى الدمـوع التى كانت تذرفـها وهى تعدها. ولا إستطاعت ناتشا الشهادة لصالحـها، فعندما جاءت تيتا تبـحث عنهـا يوم الزفاف وجـدتهـا قد فـارقت الحـياة و عـيناها مفتوحـتان وواضعة على صدغيـها دارات الصداع (٩). وبين يديها صورة لأحد خطَّابها السابقين.

(٩) دارات من الورق المشرب بالسمن يعـالج بها الصداع فى المكسيك،وتسـمى تشيكيا دوريس Chiqueeadores . .

الفصل الثالث

مارس

سمان ببتلات الورد

المقادير:

١٢ وردة، يفضل أن تكون حمراء – ١٢ ثمرة أبو فروة – ملعقتان كبيرتان من الزبد – ملعقتان كبيرتان من ماء الزهر – ملعقتان كبيرتان من اليانسون – ملعقتان كبيرتان من العسل – فصان من الثوم – ٦ وحدات من السمان – فصان من الثوم – ٦ وحدات من السمان – ١ حبة من صبار السيريوس

طريقة العمل

تقطف بتلات الورد بحرص شديد مع محاولة عدم وخز الأصابع، فبالإضافة إلى أن الوخزة تكون مؤلمة للغاية، فإن البتلات يمكن أن تتشرب الدماء، وبصرف النظر عن أن هذا يغير من طعم الأكلة، فإنه يمكن أن يؤدى إلى تفاعلات كيميائية تكون خطيرة للغاية.

لكن تيتا كانت غير قادرة على تذكر هذا التفصيل البسيط أمام التأثر الشديد الذى شعرت به عندما تلقت فرع ورد من يدى بيدرو. كان أول تأثر عميق تشعر به منذ ليلة زفاف شقيقتها، عندما سمعت تصريح الحب الذى يكنه لها بيدرو والذى كان يحاول أن يخفيه عن أعين الآخرين. كانت ماما إيلينا بتلك السرعة و الحدة فى التفكير التى تمتلكهما تشك فيما يمكن أن يحدث إذا ما أتيحت الفرصة لبيدرو وتيتا ليختليابعضهما ببعض. وعليه فقداستطاعت حتى الآن، عبر تباهيها بمعرفة فنون عجيبة

من الشـعوذة، أن تجـد سبيـلاً رائعاً لإخـفاء أحـدهما عن عـينى الآخر. ولكن أمراً بسيطاً فاتها: فبـموت ناتشا كانت تيتا هى اكفأ امرأة بين نسـاء البيت جمـيعاً لاحـتلال المكان الشـاغر فى المطبخ وهناك كانت تنفذ من تحت مـراقبتها الصـارمة المذاقات و الروائح والمكونات وما يمكن أن تسببه الأخيرة.

كانت تيتـا الحلقة الأخيرة لسلسـة من الطاهيات اللاتى منذ العهد قـبل الإسبانى قد تناقلن أسرار المطـبخ من جيل إلى جيل. وكانـت تعتبـر أفضل ممثـلة لهذا الفن الرائع، فن الطهى. وعلـيه استُقبل قرار تعـيينها الطاهية الرسمية للمزرعة اسـتقبالاً حسناً من الجميع. استقبلت تيتا المنصب بسرور بالرغم من الحزن الذى كانت تشعر به لغياب ناتشا.

جعلت وفاة ناتشا المؤسفة تيتا فى حالة اكتئاب شديدة. فقد تركتها ناتشـا بوفاتها وحيدة للغاية. كـأن أمها الحقيقـية قد ماتت وفى محاولة منه لتشجيعها على النجاح فكر بيدرو فى أنه سيكون تصرفاً طيبـاً منه لو حمل لها فرعاً من الورد بمناسبة إتمامـها عامها الأول كطاهيـة للمـزرعـة. ولكن روسـاورا - التى كـانت تنتظر مولودها الأول - لم ترتأى نـفس الشئ، وعندما رأته قادمـاً وفرع الورد فى يديه ويعطيه لتيتا بدلاً منهـا، غادرت الصالة وهى أسيرة نوبة من البكاء.

أمرت مـاما إيلينا تـيتا، بنظـرة واحدة منها، بـالخروج من الصالة والتخلص من الورد. انتبه بيدرو لجرأته متأخراً جداً. لكن مامـا إيلينا رمقتـه بالنظرة المناسبـة، التى جعلته يعـرف انه مازال بإمكانه إصلاح الضرر الذى سببه. وهكذا و بعد أن استأذن خرج بحثاً عن روسـاورا. كانت تيتا تضم الورد إلى صـدرها بقوة إلى درجة انها عندمـا وصلت إلى المطبخ تحول الورد و الذى كان لونه فى البداية وردياً إلى اللون الأحمر من دماء يدى وصدر تيتا. كان عليها أن تفكر بسـرعة ماذا تفعل به. كان جمـيلاً للغاية! لم يكن في وسعهـا القاؤه في القمامـة، أولاً لأنها لـم تتلق قط زهوراً من قبل وثانياً؛ لأن بيدرو هو الذى أعطاها لها. فجأة سمعت صوت ناتشا بوضوح وهى تمليها فى أذنيها وصفة من العهد قبل الإسبانى عندما كانت تُستـخدم بتلات الزهور. كانت تيتا شـبه ناسية تلك الوصـفة لأنهـا كانت تحـتاج فى صنعـها إلى الديوك البـرية وفى المزرعـة لـم يوجهـوا جـهودهـم البتـة في تربيـة ذلك النوع من الطيور.

كان الشيء الوحـيد الموجود فى ذلك الوقت هو السـمَّان، وهكذا قررت أن تحدث تغـييراً بسيطاً فى الوصفة بهـدف استخدام الزهور.

وبدون إطالة التـفكير في ذلك خرجت إلـى الفناء وركزت اهتـمامهـا فى ملاحـقة السـمَّان. وبعـد أن امسكت بسـتة منـها

ووضعتها فى المطبخ و تهيـأت لذبحها وهو ما لم يكن سهلاً بالمرة عليها بعد أن قامت برعايتها و إطعامها لوقت طويل.

وبعد أن أخـذت نفسـاً طويلاً أمسكت بأول سـمانة ولوت عنقها كـما رأت ناتشا تفعل عدة مرات ولكن ليس بالقـوة الكافية فلم تمت السمَّانة المسكينة بل جـابت المطبخ كله وهى تتألم بشكل يثير الشفقة ورأسها مدلى على جانبها. أرعبها هذا المنظر! أدركت انه لايجب أن تكون ضعيفة فيما يتعلق بأمر الذبح: إما أن تقوم به بثبات وإلا ستتسـبب فى ألم كبير. فكرت فى تلك اللحظة فى أنه كم يكون طيباً لـو امتلكت قوة ماما إيلينا، فـهي تذبح بحدة وبلا رحمة. ولكن إذا تفكرت في الأمر جيـداً، كلا، كان ثمة استثناء في حالتهـا، فقدت بدأت تذبح منذ طفولتهـا، قليلاً قليلاً، ومع ذلك مازالت لا تقـوى على الإجهاز النهائي. لقـد أصابها زواج بيدرو وروساورا بما أصاب السمَّانة، حطم قلبها ونفسها، وقبل أن تسـمح بأن تشعـر السمَّـانة بنفس الآلام التي تشـعر بهـا وبدافع الرحمة وبتصميم أجهزت عليها في الحال. وكان الأمر أسهل مع البقـية. فما كـان عليها إلا أن تتـخيل أن كل سمَّانة قـد سدت حوصلتها ببيضة نصف مسلوقة وبأنها، رحمةً منها، ستحررها من العذاب بلي رقبـة خاطف. ففي طفولتـها كم تمنت الموت قبل أن تأكل البيض نصف المسلوق المقـرر والإجباري. كانت مـاما إيلينا تجبـرها على تناوله. كانت تشـعر أن مريئـها يغلق بشـدة، ببالغ

الشدة بحيث يغدو غير قادر على ابتلاع أي غذاء، إلى أن عاجلتها أمها بضـربة قوية على الرأس كان لها فعل السحـر في حل عقدة حلقها؛ ومنذ ذلك الحين كانت البيضة تنزلق منه بلا أدنى مشكلة. الآن أصبحت أكثر هدوءاً وقامت بالخطوات التالية بمهارة شديدة.

كانت تبدو كأنها ناتشا ذاتها في جسد تيتا فقامت بكل تلك الأعمـال: نتف ريش السّمان وهو جـاف وتفريغ أحشـائه وقليه. بعد نتف ريش السمّـان وتفريغ أحشائه توثق أرجله حـتى يحتفظ بشكل جميل بينما يوضع للقلي في الزبد بعـد تتبيله بالفلفل الحار والملح حسب الذوق.

مهم جداً نتف ريش السمان جافاً؛ لأن غمره في الماء المغلي يغـير طعم لحـمه. وهذا واحـد من أسرار المطبخ التي لاتحـصى والتي لاتكتـسب إلا بالممـارسـة. ولأن روسـاورا لم ترغب في المشاركة في أعـمال الطهي منذ أن احترقت يداها من صينيـة الخبز فإنها كانت تجهل هذا بالطبع وتجهل معلومات أخرى كثيرة عن فن الطهو. ومع ذلك حاولت في مرة أن تطهو، ولا ندري هل كان ذلك رغبة منها في أسـر زوجها بيدرو أم لمنافسة تيتـا في مجالها. وحين حاولت تيتا بلطف إعطاءها بعض النصائح غضبت روساورا بشدة وطلبت منها أن تتركها وحدها في المطبخ.

وبالطبع فـسـد الأرز منهـا، أمـا اللحم فكان ملحـه زائداً

واحتـرق الحلو. لم يجرؤ أحد على المائدة على إبداء أي شـعور بالكدر. علقت ماما إيلينا بشكل فيه إيعاز قائلة:

- إنها المـرة الأولى التي تطبخ فيـها روسـاورا، وأرى أنها قامت بذلك على نحو لا بأس به. ما رأيك يا بيدرو؟

أجاب بيدرو وهو يبذل مجهوداً كبيراً، بدون رغبة في أيلام زوجته:

- نعم، لكونها المرة الأولى لا بأس به.

وبالطبع أصـيبـت الأسرة كلهـا مسـاء ذلك اليـوم بألم في معدتها.

كانت مـأساة حـقيقـية، ولكنهـا لم تكن بالطبع على نفس درجة المأساة الأخرى التي وقعت فـي المزرعة في ذلك اليوم. فقد كان امتزاج دم تيتا ببتلات الورد الذي أهداه لها بيدرو الأمر الأكثر تفجراً.

عندما جلسوا إلى المائدة خيم جـو يشوبه بعض التوتر، بيد أن التوتر لم يزدد إلا حين قُـدّم طبق السمّان. لم يتمـالك بيدرو الذي لم يكن سعيـداً لأنه أثار أحاسيس زوجه، لم يتمـالك نفسه بمجرد أن تذوق أول قضمة من الطبق فصاح وهو يغلق عينيه بشبق حقيقي:

- إن هذه لمتعة إلهية!

على الرغم من اعترافها بأنها طبخة لذيدة حقاً، قالت ماما إيلينا وهي مستاءة من تعليقه:

- ملحها زائد.

لم تستطع روساورا، متعللة بإغماءات ودوار، تناول أكثر من ثلاث قضمات. أما خيرترودیس، في المقابل، فقد حدث لها أمر غريب.

يبدو أن الطعام الذي كانت تأكله قد أحدث بها تأثيراً أفروديتياً إذ بدأت تشعر بحرارة شديدة تغزو ساقيها ودغدغة في أغوار جسدها لم تجعلها تجلس براحة على مقعدها. راحت تتصبب عرقاً وهي تتخيل أنها تمتطي صهوة جواد ويضمها إليه أحد ثوار بيا[10]، أحد أولئك الذين رأتهم قبل أسبوع قادماً إلى ساحة القرية تفوح منه رائحة عرق وطين ونذر خطر وريبة، رائحة حياة أو موت. كانت هي ذاهبة إلى السوق بصحبة تشينتشا الخادمة عندما رأته مقبلاً من شارع بييدراس نِجراس الرئيسي، جاء متقدماً الجميع يقود بجلاء فرقة الجند. التقت نظرتاهما وما رأته في عينيه جعلها ترتعد. رأته ليالي كثيرة

(١٠) PANCHO VILLA: الثائر المكسيكي (١٨٨٧ - ١٩٢٣).

بجانب النار يرغب في مصاحبة امرأة يستطيع أن يقبّلها، امرأة يستطيع أن يعانقها، امرأة... مثلها. أخرجت منديلها وحاولت أن تزيل من رأسها، إلى جانب العرق، كل تلك الأفكار الآثمة.

لكن بلا جدوى، كان يحدث لها أمر غريب. التمست معاونة تيتا لكنها كانت غائبة، كان جسدها جالساً على المقعد، وفي منتهى الانضباط بالتأكيد، لكن لم يكن في عينيها أي علامة حياة. كانت تبدو كأن ظاهرةٍ كيميائية غريبة قد أذابت كيانها في صلصة الورد وفي لحم السمّان وفي النبيذ وفي كل رائحة من روائح الطعام. وبنفس الطريقة نفذت إلى أعماق جسد بيدرو شهوانية زكية الرائحة ودافئة وحسية تماماً.

لاح الأمر وكأنهم اكتشفوا شفرة جديدة للمعاشرة كانت تيتا مبعثها وبيدرو متلقيها وخيرتروديس المحظوظة هي التي اصطنعت فيها هذه العلاقة الجنسية الفريدة عبر الطعام.

لم يبدِ بيدرو أية مقاومة، جعلها تنفذ حتى الركن الأخير من ذاته دونَ أن يستطيع أحدهما رفع عينيه عن الآخر، قال لها:

- لم أذق قط شيئاً بهذه اللذة. شكراً جزيلاً.

والحق أن هذا الطبق لذيذ. فالورد يكسبه مذاقاً خاصاً جداً. بعد الحصول على البتلات، تسحق في مدق مع الينسون. وتوضع ثمرات "أبو فروة" لتحمص على حدة في الفرن ثم

تقشر وتسلق في مـاء. ثم تهرس تماماً ؛ يفرم الثوم رفيـعاً ويحمر في الزبد؛ وعندمـا يسوى يضـاف إليه مـهروس أبو فـروة وحبـة الصبَّار المطحونة والعـسل وبتلات الورد وملح حسب الذوق لعمل صلصـة سـمـيـكة بعض الشيء، ويمكن أن تضـــاف إلى الخليط ملعقتان من نشا الذرة. وفي النهايـة تصفى وتضاف إليها نقطتان فقط من ماء الورد لا أكثـر خشية أن تصبح رائحتها نفـاذة ويتغير طعمهـا. وعند نضجها ترفع من فوق النار. يغمـر السمَّان لمدة عشر دقائق فقط في هذه الصلصة لكي يتشرب الطعم ثم يُرفع.

إن رائحة خلاصـة الورد الزكية شديدة النـفاذ إلى درجة أن المدق الذي استخدم لطحن البتلات ظل محتفظاً بها لعدة أيام.

كانـت خيـرترويس هي المُكلفة بغـسل المدق وبقيـة أواني المطبخ. كـانت تقوم بهذا العـمل بعد تناول الطعـام، في الفناء، فقد كانت تستغل وجودها بالمكان لإلقاء بقايا الطعام التي بالأواني للحيـوانات. ولأن أواني المطبخ كانت كـبيرة إلـى حد ما فـإنها كانت تنظفـها بشكل أفضل فـي حوض الغسيـل. لكنها في يوم أكلة السمان لم تفعل وطلبت من تيتا أن تسدي لها معروف القيام بذلك عنها. كـانت خيـرترويس تشعر بالفـعل بأنها مـتوعكة، كانت كافة أنحـاء جسدها تنضح عرقاً، وكان لحـبات العرق التي تتصبب منها لون وردي ورائحة عرق نفـاذة. كانت تشعر بحاجة مُلِحة إلى حمام وأسرعت إلى إعداده.

كانت ماما إيلينا أمرت بإنشاء منضحة بدائية في الجانب الخلفي من الفناء بجوار الحظائر ومخزن الغلال. عبارة عن غرفة صغيرة مبنية من ألواح خشب متجاورة، وبين كل لوح وآخر منفرجات كبيرة تسمح برؤية من يستحم بداخلها بلا مجهود كبير. على أي الأحوال، كانت تلك أول منضحة عرفتها القرية وكان قد اخترعها أحد أبناء عمومة ماما إيلينا كان يعيش في سان أنطونيو بتكساس. كان بالغرفة خزان بارتفاع حوالي المترين وبسعة أربعين لتراً، وكانت تخزن المياه فيه مسبقاً باستخدام قوة الجاذبية. وكان يحتاج إلى مجهود للصعود بدلاء مملوءة بالماء فوق سلم خشبي، لكن يلي ذلك الشعور باللذة ما أن يفتح صنبور والشعور بالماء وهو يسيل فوق الجسم كله مرة واحدة وليس على دفعات كما كان يحدث لدى الاستحمام في الطست الخشبي. بعد سنوات قام الجرينجوس[١١] بدفع مبلغ كبير من المال لابن العم لقاء اختراعه وقاموا على تحسينه وصنعوا ألوف المناضح دون الحاجة إلى الخزان المذكور فقد استخدموا مواسير لتشغيلها.

لو كانت خيرتروديس علمت! المسكينة صعدت وهبطت مايربو على العشر مرات وهي تحمل الدلاء. كانت على وشك أن يغشى عليها فقد كان هذا التمرين القاسي يكثف ما كانت تشعر به من حرارة محرقة.

(١١) لقب احتقار يطلق فى أمريكا اللاتينية على غير الناطقين بالإسبانية وعلى لغتهم.

كان الشيء الوحيد الذي يشجعها هو تخيل الحمام المنعش الذي ينتظرها ولكنها للأسف لم تستطع أن تستمتع به فلم تكن قطرات الماء التي تسقط من المنضحة تصل إلى جسدها: كانت تتبخر قبل حتى أن تحتك بها. كانت الحرارة التي تنبعث من جسدها من الشدة بحيث راح الخشب يرعد ويضطرم. وأمام الذعر من الموت حرقاً من اللهب خرجت مسرعة من الغرفة الخشبية وهي على حالها، عارية تماماً.

عندئذ كان شذى الزهور المنبعث من جسدها قد وصل إلى بعيد جداً جداً، إلى ضواحي القرية حيث كان ثوار واتحاديون يتقاتلون في معركة شرسة، وبرز من بينهم لشجاعته ذلك الثائر الموالي لبيّا الذي كان دخل قبل اسبوع شارع بييدراس نِجراس ورآها في الساحة.

بلغته سحابة وردية، احتوته وحثته على الاتجاه مسرعاً نحو مزرعة ماما إيلينا. غادر خوان، وهذا اسمه، ميدان المعركة مخلفاً وراءه عدواً نصف هالك دون معرفة السبب. كانت هناك قوة عليا تسيطر على أفعاله، وتحركة ضرورة قوية للوصول في أسرع وقت ممكن للقاء شيء مجهول في مكان غير محدد. لم يكن الأمر صعباً عليه. كان يرشده عبق جسد خيرترودیس. وصل في الوقت المحدد ليجدها وهي تجري وسط الحقول. عندئذ عرف لمَ وصل حتى هناك. كانت هذه المرأة في حاجة سريعة إلى

رجل يطفيء النار المحرقة المتولدة داخل أحشائها.

رجل في حاجة إلى الحب بقدر حاجتها إليه، رجل مثله. توقفت خيرترودیس عن العدو عندما رأته قادماً نحوها. كانت وهي عارية وشعرها مسترسل ومتهدل حتى خصرها وتشع طاقة مشرقة، تمثل ما يمكن أن يكون تركيبة بين امرأة ملائكية وأخرى جهنمية. كانت رقة ملامحها وكمال جسدها الطاهر والعذري يتناقضان مع الولع والشبق المنبعثين من عينيها ومسامها. أدت هذه العناصر، بتوحدها مع الرغبة الجنسية التي كان خوان يكبتها زمناً طويلاً وهو يكافح في الجبال، إلى أن يكون اللقاء بينهما مثيراً.

قام هو، بدون التوقف عن العدو بحصانه حتى لايضيع الوقت، بالإنحناء والتقطها من خصرها ورفعها فوق الحصان امامه ولكن بوضعها وجهاً لوجه وانطلق بها. أما الحصان الذى كان على ما يبدو يتبع ايضاً أوامر عليا، فقد استمر فى عدوه كما لوكان على علم تام بنهاية مساره بالرغم من أن خوان كان قد أرخى له اللجام ليستطيع عناق وتقبيل خيرترودیس بحرارة. كانت حركة الحصان تعوق حركة جسديهما و هما يقومان بأول اتصال جنسى فى سرعة شديدة و بصعوبة بالغة.

مر كل شيء بسرعة كبيرة لدرجة أن الحرس الذى كان يتبع خوان لمحاولة اللحاق به وإعادته لم يوفق فى ذلك بالمرة. فعاد

يائسـاً ،و كان الخـبر الذى نقله هو أن القـائد قد أصـيب بالجنون فجأة خلال الحرب، وأنه - بسبب ذلك - قد هجر الجيش.

عامـة تلك هى الصورة التى تروى بها الحكاية عـبر روايات شهود العيان والتى لا تنتمى دائماً إلى الحقيقة. أما وجهة نظر تيتا فيما حدث فكانت مغايرة تماماً لوجهة نظر الثوار. فقد راقبت كل شئ من الفناء حيـث كانت تغسل الأوانى. لم يفـتها أى تفـصيل بالرغم من أن سـحابة من البـخـار الوردى و ألسنة لهب حجـرة الاستحمام كانت تعوق رؤيتها. وكان بجوارها بيدرو هو الآخر و الذى حظى بمتابعة المشـهد حيث كان قد خـرج إلى الفناء بدراجته للتنزه.

ومثل شاهدين صامتين لفـيلم تأثر بيدرو و تيتا حتى البكاء لدى رؤية بطلين فى حـالة جماع وهو مـا كان محـرماً عليهـما. وكانت لحظة، لحظة واحدة كان بإمكان بيدرو أن يغير فيها مجرى القـصـة. فـقـــد اسـتطاع و هو يمسك بيـد تـيـتـا أن يقـول:- تيتـا... فقط. لم يكن هناك وقـت ليقول أكـثر من ذلك. فـقد حالت الحقـيقة القذرة دون ذلك. فقـد سُمعت صيحـة ماما إيلينا وهى تسأل عما كان يجرى فى الفناء. لو كان بيدرو قد طلب من تيتا الهـروب معه لما فكرت فى الأمر لحـيظة، لكنه لم يفعل، بل صعد إلى دراجتـه بسرعة و هو يبدِّل غضبـه. لم يستطع أن يمحو من عقله صورة خيرتروديس وهى تجرى فى الحقل... عارية تماماً!

أما حركة نهديها الكبيرين وهمـا يتأرجحان من جانب لآخر فقد تركته منوّمـاً. انه لـم يرَ زوجته عارية قط. ففى علاقـته الجنسية مع روساورا لـم يشعـر برغبة فى رؤية جسدها ولا مداعـبته. ففى هذه الحالة كانا يستخـدمان دائماً ملاءة الزواج التى لـم تكن تسمح برؤية شئ سوى الأماكن البـارزة من زوجته. وبعد انتهـاء الجماع كان يغادر غرفة النوم قبل أن تنكشف هى. و الآن،على العكس، استـيقـظ لديه الفـضول لـرؤية تيـتا لوقـت طويل هكذا بلا أى ملابس.

فاحصاً ومتشمماً ومتقـصياً عن نكهته حتى آخر سنتيمتر من ملمس جـسـدها الهـائل و الجـذاب. مـؤكد أنـه يشبـه جـسـد خيرترو ديس فليستا هباءً شقيقتان.

كان الجزء الوحـيد الذى يعرفه تمـام المعرفة من جسـد تيتا، بخلاف الوجه و اليدين، هو الجزء الملفوف من بطن الساق و الذى استطاع أن يراه ذات مـرة. تلك الذكرى كانت تؤرقه ليـاليه. كم كان يشعر بالرغبة فى وضع يده على ذلك الجزء من البشرة ثم يمر بعد ذلك بكل أنحـاء جسدها تماماً مثلمـا رأى الرجل الذى حمل خيرترو ديس يفعل: بولع وبتفجّر وبشبق!

حاولت تيتـا، من جانبها، أن تصـرخ فى بيدرو لينتظرها، ليحملها بعيداً، إلى حيث يتركانهما يتحابان، إلى حيث لم تخترع بعـد قواعـد لتـتبّع وتحـتـرم، إلى حيث لا تـكون أمهـا، ولكن

حنجرتـها لم تصدر أى صـوت. فقـد انعقدت الكلـمات و خنق بعضها بعضاً قبل أن تخرج.

كانت تشعـر بأنها وحيدة وجد مهجـورة! كانت أسوأ من فلفلة حارة فى صلصة الجوز بالتوابل المنسيـة فى صينية بعد وليمة عظيمة. كم من المرات كان عليها وهى وحدها فى المطبخ أن تأكل إحدى هذه الأكـلات اللذيذة قبل تركهـا لتفسد. و مـسألة أن لا أحد يأكل آخر فلفلة حارة فى الصينيـة تحدث عامة عندما لايرغب الناس فى إظهار نهمـهم بالرغم من أنهم كان سيسعدهم التـهامها غير أن أحـداً لا يجرؤ. وهكذا يكون رفض فلفلة حارة مـحشوة تحوى كل المذاقات التـى يمكن أن نتخيلها، حلاوة الـسكر المعقود بالليمون و حرارة الفلفل وخفة صلصة الجوز وبرودة الرمانة.

فلفلة حـارة رائعة فى صلصة الجـوز! تحتـوى داخلها كل اسرار الحب و لكن لاأحد يستطيع نزع أحشائها بسبب اللياقة.

اللعنة على اللياقة! اللعنة على كتيب كارينيو! فبسببه ظل جسدها معرضاً للذبول شيـئاً فشيئاً بدون أى علاج، واللعنة على بيـدرو المهـذب للغـاية... المسـتـقيـم للغايـــة... الرجــل للغايةو المحبوب للغاية... للغاية!

لو كانت تيتا تعلم حينئذ أنه لن يمر وقت طويل حتى يعرف جسدها الحب لما يئست بهذا القدر فى تلك اللحظة.

أدت الصيحة الثانية لماما إيلينا إلى اخراجها من تفكيرها العميق فى أمرها وجعلتها تفكر بسرعة فى إجابة. لم تكن تعلم ماذا سوف تقول لأمها، هل تقول لها أولاً إن الجزء الخلفى من الفناء يحترق، أو أن خيرتروديس قد ذهبت مع أحد اتباع بيّا على ظهر جواد. . . وعارية.

قررت أن تنسج رواية تذكر فيها أن الفيدراليين، الذين كانت تيتا تمقتهم، قد دخلوا أفواجاً و أشعلوا النيران فى الحمامات و اختطفوا خيرتروديس. صدقت ماما إيلينا القصة كلها ومرضت من الأسى ولكنها كانت على وشك الموت لدى علمها بعد أسبوع على لسان الأب اجناثيو راعى كنيسة القرية - والذى لا يعرف أحد كيف علم - أن خيرتروديس كانت تعمل فى بيت دعارة على الجبهة، فحرّمت ذكر اسم ابنتها و أمرت بإحراق صورها وشهادة ميلادها.

وبالرغم من ذلك، لا النيران و لا مرور السنين استطاعت محو رائحة الورد النفاذة التى كانت تفوح فى المكان الذى كان حماماً سابقاً، والذى يشغل حالياً موقف سيارات مبنى دواوين. لم يستطع أيضاً أن يمحو من عقل بيدرو و تيتا المناظر التى رأياها و التى أثرت فيهما إلى الأبد. منذ ذلك اليوم تحول السّمّان المصنوع ببتلات الورد إلى ذكرى صامتة لهذه التجربة الساحرة.

كانت تيتــا تعد الوجبة كل عــام كقربان للحرية التــى نالتها شقيقتها وكانت تولى عناية خاصة لتزيين السّمَّان.

يوضع السّمَّان فى طبق كبير و تصب الصلصة فوقه و يزين بوردة كاملة فى وسطه و ببتلات على الأطراف أو يمكن تقديمه كل واحدة على حدة فى طبق فردى بدلاً من استخدام الطبق الكبير. كانت تيتــا تفضله هكذا لأنه بهذه الطريقة لا يتعــرض لخطر فقدان شكل زينته عند توزيعــه. وهكذا بالضبط أفردته فى كـتاب الطهى الذى بدأت فى كتابتــه تلك الليلة ذاتها بعد أن غزلت جزءاً كــبيراً من مفرش سريرها. كما كانت تفـعل يومياً. وبينما كانت تغزل. كــانت تدور برأسهــا وتدور صور خــيرتروديس و هى تجــرى فى الحقل بجانب صــور أخرى تخيلتها هى عما قــد يكون حدث بعد ذلك، بعد أن غابت أخــتها عن بصرها. وكان خــيالها بالطبع فى هذا الصدد محدوداً للغاية نظراً لعدم خبرتها.

كان لديهــا فضول لمعرفــة هل تدثرت بشيء من الملابس أم أنها مازالت هكذا عا. . . غير مستورة! كان يشغلها أنها قد تشعر بالبرد، مثلها، ولكنها انتهت إلى نتيجة تنفي ذلك. الاكثر احتمالاً هو أن تكون قريبــة من النار بين ذراعى رجلها وذلك لابد أنه يمنح قطعاً الدفء.

فجــأة اختــرقت فكرة ما عــقلها وجعلــتها تقــوم لتنظر إلى السمــاء المليئــة بالنجوم. كــانت تعرف القــوة التى يمكن أن تكون

عليها النار المنبعثة من نظرة فقد شعرت بها بلحمها و دمها.

إنها قادرة على إشعال الشمس ذاتها. تساءلت و هى تضع هذا الإعتبار، ماذا يمكن أن يحدث لو أن خيرتروديس تنظر لنجمة؟ من المؤكد أن حرارة جسدها، المشتعل منذ الحب، ستسافر ببصرها عبر الفضاء اللانهائى بدون أن تفقد طاقتها حتى ترسب فى بريق استقطابها. هذه النجوم العظيمة قد بقيت لملايين السنين بفضل حفاظها الجيد على ذاتها بعدم امتصاصها للإشعاعات الملتهبة التى يطلقها المحبون فى كل الدنيا ليلة بعد ليلة؛ لأنها لو فعلت ذلك لتولدت فى داخلها حرارة كبيرة ولتفجرت إلى ألف قطعة. لذلك فإنها عند استقبالها لأى نظرة فإنها ترفضها مباشرة وتعكسها نحو الأرض كما يحدث فى مجموعة من المرايا. لهذا تلمع كثيراً فى الليل. ولذلك خالج تيتا الأمل فى أنها لو استطاعت أن تكتشف بين كل نجوم السماء أيها كان الذى تنظر إليه شقيقتها فى تلك اللحظة فإنها ستستقبل عبر الانعكاس قليلاً من الدفء الذى فاض عنها.

حسنٌ، كان ذلك أملها ولكن بالرغم من مراقبتها لكل نجم من نجوم السماء على حدة لم تشعر مطلقاً بأى حرارة، و إنما كان على العكس تماماً حقاً. عادت إلى سريرها مرتعدة ومقتنعة تماماً بأن خيرتروديس تنام فى هدوء و النوم ملء جفنيها وأنه لذلك لم تؤد التجربة عملها. وضعت عندئذ فوقها غطاء سريرها الذى كان

فى ذلك الوقت يطوى ثلاثاً، راجعت الوصفة التى كتبتها لترى ما اذا كانت قد نسيت تســجيل شىء، و أضافت: " اليوم لأننا أكلنا هذا الطبق، هربت خيرترويس من البيت. . .

الفصل الرابع

إبريل

موليه(١٢) الديك الرومى باللوز والسمسم

المقادير:

ربع كيلو من الفلفل الأحمر - ٣ وحدات من الفلفل البلدى - ٣ وحدات من الفلف الرومى - قبضة من السمسم - حساء ديك رومى - بقسماط (من نوع كونتشا) - فول سودانى - نصف كيلو من البصل - نبيذ - ٢ لوح من الشيكولاته - ينسون - سمن - كبش قرنفل - قرفة - فلفل اسود - سكر - بذور فلفل حامى - ٥ فصوص من الثوم

(١٢) موليه. أكلة مكسيكية قوامهـا اللحم والفلفل الحار والسمسم . الخ وهى ككلمة عامة تطلق على أى خليط أو عجين أو مكبوس أى طعام

طريقة العمل

بعـد يومين من ذبح الديك الرومى ينظـف ويوضع لينضج مع ملح. يصبح لحم الـديكة الرومى ممتعاً بل ولذيذاً إذا مـا سمن بعناية. وهذا يكون بوضع الطيور فى حظائر نظيفة ومدها بالحبوب والماء بوفرة.

وقبل خمسة عشر يومـاً من ذبح الديكة تتم تغذيتها بحبات جوز صـغيـرة. نبدأ اليـوم الأول بحبـة واحدة وفى اليوم الـثانى توضع فى منقارها اثنتان و هكذا يتم تباعـاً زيادة الكمية حتى ليلة ذبحـها بدون إغـفـال الذرة التى تأكلهـا حسب إرادتهـا فى ذلك الوقت.

أولت تيتا عـناية كبيرة بتسـمين الديكة كما يجب فـقد كان يهمها للغاية أن توفق فى الاحتفال الهام جداً الذى سيقام بالمزرعة وهو: تعمـيد ابن أختـها، أول ابن لبـيدرو وروسـاورا. كان هذا الحدث يستحق وليـمة كبيرة بصلصة الموليـه. ولهذه المناسبة أُرسل

فى طلب عمل طاقم أطباق خاص من الفخار يحمل اسم روبرتو، وهو اسم الطفل المحظوظ، الذى لم يتوقف عن تلقى رعاية وهدايا الأهل والأصدقاء، وخاصة من جانب تيتا التى، على عكس المتوقع، كانت تشعر بعاطفة قوية نحو هذا الطفل ناسية تماماً انه كان نتاج زواج أختها من بيدرو، حب حياتها.

واستعدت بحماس حقيقى لإعداد وجبة المولية الخاصة بالتعميد قبل الموعد بيوم. كان بيدرو يسمعها من الصالة وهى تمارس تأثيراً جديداً عليه. فصوت الأوانى وبعضها يتخبط فى بعض ورائحة اللوز وهو يحمص فى الفرن وصوت تيتا الرخيم التى كانت تغنى وهى تطبخ، قد أيقظ فيه غريزته الجنسية. وكما يشعر المحبون بدنو لحظة علاقة جنسية فإنه، أمام قرب ورائحة المحبوب أو المداعبات المتبادلة فى علاقة حب سابقة، فإن هذه الأصوات و الروائح وخاصة رائحة السمسم المحمص، قد أنبأت بيدرو بقرب حدوث لذة حسية حقيقية.

يتم تحميص اللوز و السمسم فى محمصة. ويتم أيضا تحميص الفلفل العريض بعد إزالة بذوره ولكن ليس بدرجة كبيرة حتى لا يصبح طعمه مراً ويتم هذا فى مقلاة على حدة حيث يضاف إليه قليل من الشحم. بعد ذلك يتم طحنه فى رحى إضافة إلى اللوز والسمسم.

كانت تيتا جاثية على ركبتيها فوق الرحى، كانت تتحرك بشكل إيقاعي ومنسجم وهى تطحن اللوز و السمسم. كان نهداها

يهتزان تحت بلوزتهــا بحرية فلم تستخدم قط أى حــمالة للصدر. وكانت تســيل من رقبــتها قــطرات العرق التى كانت تــنساب إلى أسفل باتجاه الثنايا التى بين نهديها المكورين و المشدودين.

ولعدم قدرته على مقاومة الروائح المنبعثة من المطبخ، توجه بيدرو نحــوه ووقف جامــداً بالباب أمــام الوضع المثيــر الذى وجد عليه تيتا.

رفعت تيتا بصرها دون التــوقف عن الحركة و التقت عيناها بعينى بيدرو. ذابت نظراتهما مباشرة فى نظرة واحدة إلى درجة أن من كان يراهمــا ما كــان ليلحظ إلا نظرة واحدة وحــركة إيقاعــية وحسية واحدة وتنفساً منتفضاً واحداً ورغبة واحدة.

مكثا فى حالة نشوة عاطفيــة حتى أخفض بيدرو بصره وثبته على نهــدى تيتــا. توقــفت هي عن الطحن واعــتدلت و نصــبت صدرها لكى يتــفحصــها بيدرو بشكل تام. غــيَّر الاختــبار، الذى استــهــدفــه، العــلاقة بين الاثنين إلــى الأبد. فبــعــد تلك النظرة المتفحصة التى كانت تخترق ثيابها لن يصبح الأمر بالمرة كما كان. أدركت تيتا بنفــسها لماذا تتغير العناصر لدى تلامــسها بالنار. لماذا تتحول قــطعة العجين إلى عجــة ولماذا يكون النهد الذى لا يكوى بنار الحب نهداً خامداً، قطعة من عجين بلا أية فائدة. لقد استطاع بيدرو فى لحظات فقط أن يحوِّل نهدى تيــتا من نهدين عفيفين إلى نهدين شهوانيين دون الحاجة إلى لمسهما.

ولولا عودة تشينتشا من السوق حيث كانت تشترى الفلفل العريض، من يدرى ماذا كان سيقع بين بيدرو و تيتا ؛ ربما انتهى الأمر ببيدرو بعجن النهدين اللذين تقدمهما إليه تيتا ولكن لسوء الحظ لم يحدث هذا، تظاهر بيدرو بأنه ذهب إلى المطبخ فى طلب كوب من ماء الليمون بالتشيا (١٣) تناوله بسرعة ثم خرج منه.

أما تيتا فقد حاولت، بيدين مرتعدتين، مواصلة عملية الطحن كما لو لم يحدث شئ.

بعد طحن اللوز و السمسم جيداً، يخلطان بمرق الديك الحبشى ويضاف إلى الخليط الملح المناسب. ويتم طحن القرنفل فى هون (من الحجر) والقرفة و الينسون والفلفل ثم يضاف فى النهاية البقسماط الذى تم قليه فى السمن مع البصل و الثوم المفرى. يخلط كل ذلك مباشرة بالنبيذ ويضاف إلى ماسبق.

عبثاً حاولت تشينتشا أن تلفت انتباه تيتا وهى تطحن التوابل. فبالرغم من المبالغة لها فى الأحداث التى رأتها فى الميدان و التفاصيل الكاملة التى روت بها عنف المعارك التى وقعت فى القرية لم تلفت انتباه تيتا إلا للحظات قصيرة فقط.

ففي ذلك اليوم لم يكن يشغل بال الأخيرة شئ آخر سوى الإحساس الذى شعرت به لتوها. إضافة إلى أن تيتا كانت تعلم

(١٣) chia : نوع من بذور القويسة يصنع منه مشروبا منعشا.

تماماً ما يدفع تشنيـتشا إلى إخبارها بتلك الأشيـاء. فلأنها لم تكن الطفلة التى تخاف من حكايات البكّاءة و الساحرة الشريرة مصاصة دماء الأطفال وقصة أمنا الغول وغيرها من الحكايات المرعبة، فإن تشنيتشا كانت تحـاول الآن إرعابها بحكايات المشنوقين والمغتالين و المقطوعة أوصالهم و المذبوحين و بشكل خاص المضحين بأنفسهم، الذين كانت تقتلع قلوبهم فى أوج المعـركة! فى أوقات أخرى كان يمكن أن يحلو لها الاستسلام لسحر حكايات تشنيتشا الظريفة وأن ينتهى بهـا الأمر بتصديق أكـاذيبها بما فى ذلك القـصة التى تروى فيـها أن بانتـشو بيـّا كانت تُحمل لـه قلوب أعدائه الدامـية لكى يأكلها، أما الآن فلا.

لقد جعـلتها نظرة بيدرو تسـتعيد الثقـة فى الحب الذى كان يعتـرف لها به. لقد عـاشت شهوراً وهى مـسممـة بفكرة إما أن بيدرو قـد ضحك منهـا يوم الزفاف باعـترافـه لها بحـبه لكى لا تتـعذب فـقط أو أنه مع الوقت قد أحب روسـاورا بالفعل. وقـد تولّد عـدم الأمان هذا عندمـا توقف هو عن التغـزّل بأطباقـها بلا تفسير. فقد كانت تيتا شديدة الاعتناء بطهيها يوماً بعد يوم. كانت فى الليل وهى يائسـة وبعد بالطبع أن تقـوم بغزل جـزء طيب من غطاء سريرها، تبتكر وصفـة طعام جديدة بغية أن تستعـيد العلاقة التى نشأت بينهـا وبين بيدرو عن طريق الطعام. وفى تلك الفـترة من العذاب ولدت أفضل وصفاتها.

وهكذا، ومثلما يلعب الشاعر بالكلمات، كانت هي تلعب حسب هواها بالمكونات والمقادير محققة نتائج هائلة. ولكن بلا فائدة، راحت كل مجهوداتها هباء. لم تنجح في نزع كلمة استحسان واحدة من شفتي بيدرو. ومالم تكن تعلمه هو أن ماما إيلينا قد طلبت من بيدرو الامتناع عن الثناء على الطعام فقد كان يكفى روساورا ما تعانى من عدم الثقة لبدانتها وتشوه قوامها بسبب حملها، حتى يكون عليها فوق ذلك تحمل المجاملات التى كان يثنى بها على تيتا بحجة طهيها الشهى.

كم شعرت تيتا بالوحدة فى تلك الفترة. استوحشت للغاية ناتشا! كانت تكره الجميع بما فيهم بيدرو. كانت مقتنعة بأنها لن تعود أبداً إلى حب أحد طوال حياتها. كل هذه القناعات تلاشت بالطبع بمجرد أن استقبلت بيديها طفل روساورا.

كان صباحاً بارداً من مارس، كانت هى فى حظيرة الدجاج تجمع البيض الذى وضعته الدجاجات لتوها لاستخدامه فى وجبة الإفطار. كان بعضه مازال دافئاً، ولهذا كانت تضعه أسفل بلوزتها و تلصقه بصدرها لتخفف البرد المزمن الذى كانت تعانى منه والذى اشتد عليها مؤخراً. كانت قد استيقظت كالعادة قبل الجميع.

لكنها اليوم استيقظت قبل موعدها المعتاد بنصف ساعة لكى تعبئ ملابس خيرترودیس فى حقيبة. كانت تريد أن تستغل ذهاب

نيكولاس للسفر مـن أجل استلام ماشية، لـتطلب منه معروف أن يوصلها إلى شقيـقتها. كانت تفعل ذلك خفـية عن أمها بالطبع. وقد قررت تيتا إرسال حـقيبة الملابس تلك لأنه لم يكن يغيب عن عقلها فكرة أن خيرترودیس مـازالت عارية. وواضح أن تيتا كانت ترفض قبول حقيقة أن ذلك كان بسـبب ما يتطلبه عمل أختها فى بيت دعـارة على الحدود بل لأن السـبب، في الأغلب، هو أنهـا ليس لديها ما ترتديه.

أعطت نيكولاس حـقيبـة الملابس بسرعة و مظـروفاً بعنوان الوكر الذى يمكنه أن يجد خيرترودیس فيه وعادت لتتولى أعمالها.

فجأة سمعت بيـدرو يُعد الكارته. استغربت أن يكون ذلك فى ساعـة مبكرة هكذا، ولكنهـا ما أن رأت ضوء الشـمس حتى أدركت أن الوقت أضـحى مـتـأخـراً جداً وأن إرسـال جـزءاً من ماضيها إلى خـيرترودیس بجانب ملابسها أخذ منهـا وقتاً أكثر مما كانت تتصور. لـم يكن سهلاً عليها أن تضع فى الحقـيبة ذكريات يوم أول مناولة لهن الثلاث معـاً. فقد وجدت الشمـعة و الكتاب وصورتهـن خارج الكنيسـة مكانها بشـكل جيد جـداً ولكن طعم التماليس والأتوليه الذى أعـدته لهن ناتشا و الذى أكلنه بعد ذلك مع أصـدقائهن والأقـارب لم يجد مكاناً له. وجـدت عظيـمات التشـاباكانو الملـونة مكانها ولم تجـد الضحكات التى كن يطلقـنها وهن يلعبن مـعـهم فـى فناء المدرسـة ولا خـوبيـتـا المعلمـة ولا

الأرجوحـة ولا رائحة حـجرة نومـهن ولا الشيـكولاتة المخفـوقة الطازجة. والأمر الطيـب أن الحقيبة لم تسع أيضـاً ضرب و زجر ماما إيلينا؛ لأن تيتا قامت بإغلاقها بقوة قبل أن تتسلل.

خـرجت إلى الفناء بالضـبط فى اللحظة التى كـان بيـدرو يصيح باحثاً عنها بيـأس. كان عليه أن يصل إلى ايجل باس بحثاً عن دكتور براون، طبيب العائلة، ولم يكن يجدها فى اى مكان. فقد كانت روساورا قد بدأت تشعر بآلام الوضع.

سألهـا بيدرو أن تعـتني بها إلى أن يعـود. كانت تيـتا هى الوحيدة التى يمكنها فعل ذلك. لم يكن أحـد بالبيت. كانت ماما إيلينا و تشيتـشا قد ذهبـتا الى السوق من أجل إعـداد خزين من الطعام لأنهما كـانتا فى انتظار الولادة بين لحظة و أخرى ولم تشأ أن يخلو البـيت من أى سلعـة ضـرورية فـى هذه الظروف. لم تستطعيا القـيام بذلك قبلاً فقد حال وصـول الفيدراليين ووجودهم الخطر فى القرية دون ذلك. لم تتخيلا، عند خروجهما، أن قدوم الطفل سيقع فى أسرع ممـاكانتا تتصوران، فبمـجرد أن ذهبتا بدأت روساورا فى عملية الولادة.

لم يكن أمام تـيتا عندئذ إلا الذهاب لتكـون بجوار أختـها على أمل أن يكون الأمر لوقت قصير.

لم يكن لدى تيتا أى اهتمـام بالتعرف على الطفل أو الطفلة أو أى من كان.

ولكن مـالم يكن منتظرًا البـتـة هو أن يقـوم الفيـدراليـون بالقبض على بيدرو ظلماً ومنعـه من إحضار الطبيب و ألا تستطيع ماما إيلينا و لا تشينتشا العودة بسبب معركة بالرصاص اندلعت فى القرية اضطرتهـما إلى اللجوء لبـيت عائلة لوبو، وبهـذه الطريقة أصبـحت الوحيدة التى حضـرت ميلاد ابن شـقيقتـها هى، وهى بالذات!

تعلمت فى الساعات التى أمضـتها بجوار شقيقتـها أكثر مما تعلمته فى كل السـنوات التى درستها فى مدرسـة القرية. كرهت أكثر من أى وقت مضى معلميها و أمها لأنهم لم يخبروها فى أى مناسبـة ما يجب القيام به فى حـالة ولادة، ففيمَ تنفعـها فى تلك اللحظة معرفة أسماء الكواكب و كتاب كارينيو من الألف إلى الياء وأختهـا كانت قد زاد وزنها ٣٠ كيلو خـلال الحمل، مما كان يزيد من صعـوبة عملية الولادة كـبكرية. فإلى جانب بدانة شـقيقتـها المفرطة، لاحظت تيتا أن جسم روسـاورا ينتفخ بشكل غير عادى. بدأ بقدمـيها ثم الوجه و اليـدين بعد ذلك. كانت تيتـا تمسح لها عرق جبـهتها و تحاول تشـجيعها، ولكن روسـاورا بدت كأنها لا تسمعها.

كانت تـيتا قـد رأت ميـلاد بعض الحيـوانات، ولكن تلك الخبـرات لن تنفعها فى شئ فى هـذه اللحظات فقد كانت تحـضر تلك الحالات كـمتفرجـة فقط. كانت الحـيوانات تعرف جيـداً ما

عليها أن تفـعل. وعلى العكس، لم تكن تعرف هى أى شىء عن أى شىء. أعدت ملاءات وماء ساخناً ومقصاً معقماً. كانت تعلم أن عليهـا أن تقص الحبل السرى ولكنهـا لم تكن تعلم كيف و لا متى و لا بأى طول. كـانت تعلم أن عليها تنبيـه الطفل بخبطات وقت خـروجه إلى الدنيـا ولكن لم تكن تعـرف ما هي. كل مـا كانـت تعرفـه هو أنه يجب أولاً أن يولد، ولم تكن تعرف مـتى! كانت تيتا تطل بين فخذى أختها بكثرة ولا شئ. نفق مظلم فقط، صامت عميق. طلبت تيتا من ناتشا و هى جاثية على ركبتيها أمام روساورا، يائسة، إلهامها فى هذه اللحظات.

فإذا كان ممكناً أن تملى عليها بـعض وصفات الطعام، يمكنها أيضـاً مـساعـدتهـا فى هذا الموقف الحـرج! كـان يجب أن يأتى روساورا أحد من أعلى لأن أهل الدنيا لاحيلة لهم.

لـم تعرف كم من الوقت صلّت وهى جاثيـة، ولكنها عندما فتحت عينيها تحول النفق المظلم بين لحظة و أخرى إلى نهر أحمر، إلى بركان مـندفع، إلى شق من ورق. كان لحم شـقيقـتهـا يفتح لإعطاء فرصة للحياة. لن تنـسى تيتا أبداً ذلك الصوت ولا صورة رأس ابن شقـيقتـها و هى تخرج منتـصرة فى صراعـها من أجل الحياة. لـم تكن رأساً جميلة، كانت تشبه على الأكثر هاوناً صغيراً نتيجة الـضغط الذى خضعت له عظامها لسـاعات طويلة. ولكنها بدت لتيتا أجمل من كل الرؤوس التى رأتها فى حياتها.

غزا بكاء الطفل كل المساحات الخالية داخل قلب تيتا. عند ذلك عرفت أنها أحبت من جديد: الحياة وهذا الطفل و بيدرو وبمن فى ذلك أختها، والتى كانت تكرهها منذ زمن طويل. أخذت الطفل بين يديها وحملته إلى روساورا وبكت كلتاهما لبرهة وهما تضمانه. بعد ذلك، وتبعاً للتعليمات التى كانت تعطيها لها ناتشا فى أذنيها، عرفت تماماً كل الخطوات التى يجب عليها إتباعها: قطع الحبل السرى فى المكان والوقت المناسب، تنظيف جسم الطفل بزيت اللوز الحلو، تقميط السرة و إلباسه. وبدون أى مشكلة عرفت كيف تضع له أولاً الفانلة و القميص ثم القماط على السرة ثم الحفاض من القطن الناعم ثم آخر اكثر سمكاً ثم بعده فانلة طويلة لتغطية الساقين ثم القميص والشراب و الحذاء ثم أخيراً، وضعت يديه فوق صدره وربطتهما بواسطة طرحة ناعمة الملمس حتى لايخدش وجهه. وعندما عادت فى الليل ماما إيلينا و تشينتشا ومعهما أسرة لوبو أعجبوا بالعمل المتقن الذى قامت به تيتا. وكان الطفل نائماً فى هدوء وهو ملفوف مثل قطعة خشب.

عاد بيدرو مع دكتور براون فى اليوم التالى بعد أن أطلقوا سراحه، أراحت عودتهما الجميع.

كانوا يخشون على حياته. أما الآن فلم يعد أمامهم سوى القلق على صحة روساورا، التى كانت ماتزال متوعكة و متورمة.

كشف عليها دكتور براون بدقة. وعند ذلك شعروا بمدى خطورة عملية الولادة. وحسب الطبيب فإن روساورا عانت من تشنج نفاسي كان سيودي بحياتها. ولقد أبدى دهشته لأن تيتا استطاعت إسعافها بهذا القدر من رباطة الجأش والعزيمة في ظروف غير مواتية إلى حد ما. حسنٌ، ولكن مَن يعلم ما الذي لفت نظره أكثر، هل أن تيتا قد أعانت أختها وحدها وبدون أن تكون لديها أية خبرة أم أنه اكتشف فجأة أن تيتا، تلك الطفلة التي كان يتذكرها بأسنانها الكبيرة، قد تحولت إلى امرأة جميلة دون أن يلحظ ذلك؟

فمنذ وفاة زوجته قبل خمس سنوات، لم يشعر بميل إلى أية امرأة. فألم فقدان زوجته الذي وقع وهما حديثا الزواج جعله يفقد الإحساس بالحب طيلة تلك السنين. أي شعور غريب انتابه حين رأى تيتا. سرت في جسده قشعريرة موقظة ومنبهة لحواسه النائمة. كان يتأملها وكأنه يراها لأول مرة. كم تبدو له أسنانها الآن مناسبة؛ إذ بلغت حجمها الحقيقي الملائم للإنسجام التام لقسمات وجهها الدقيقة والرقيقة.

قطع صوت ماما إيلينا أفكاره:

- دكتور، هل يضايقك الحضور مرتين في اليوم حتى تجاوز ابنتي الخطر؟

- بالطبع لا! أولاً لأنه واجبي، وثانياً لأنه يسرني التردد على منزلكم.

كان من حسن الحظ حقيقةً أن تنشغل ماما إيلينا بصحة روساورا وألا تلاحظ بريق الإعجاب في نظرة جون وهو يتأمل تيتا، فلو كانت فعلت لما فتحت له أبواب بيتها بثقة.

لم يكن الدكتور آنذاك يمثل أي مشكلة لماما إيلينا، فكل ما كان يشغلها بشدة هو خلو ثدي روساورا من اللبن.

من يمن الطالع أنهم وجدوا في القرية مرضعة تولت إرضاع الطفل. كانت من قريبات ناتشا، وقد رزقت طفلها الثامن وقبلت برضى شرف تغذية حفيد ماما إيلينا. قامت بذلك على نحو رائع لمدة شهر، إلى أن جاء ذلك الصباح وكانت متجهة إلى القرية لزيارة أسرتها فأصابتها رصاصة طائشة انطلقت من تراشق النيران بين المتمردين والفيدراليين وأصابتها في مقتل. قدم أحد أقاربها ينعيها إلى المزرعة فيما كانت تيتا وتشينتشا تخلطان في إناء كبير من الفخار مكونات المولية.

وهذه هي الخطوة الأخيرة، وتتم بعد طحن كل المكونات تماماً كما أُشير آنفاً. تخلط المواد في إناء وتضاف إليها قطع الديك الرومي والشيكولاتة والسكر حسب الطلب. وبعد أن تترسب ترفع على النار.

انتهت تيتا من إعداد المولية وحدها، لأن تشينتشا ذهبت من فورها وبمجرد أن سمعت الخبر، إلى القرية لمحاولة إيجاد مرضعة أخرى لابن أختها. لم تعد إلا ليلاً ودون أن تحقق ذلك. كان

الطفل يبكي في حنق. حاولن إعطاءه لبناً بقرياً فرفضه. حاولت تيتا عندئذ إعطاءه شاياً كما كانت ناتشا قد فعلت معها لكن بلا طائل: رفضه الطفل تماماً. فجال بخاطرها أن تضع اللثام الذي كانت نسيته لوبيتا المرضعة، معتقدة أن الطفل قد يهدأ عندما يشم الرائحة المألوفة المنبعثة منه، لكن حدث العكس، بكى الطفل على نحو أشد لأن تلك الرائحة كانت تبشره بقرب حصوله على غذائه دون أن يفهم سبباً لتأخره. كان يبحث في يأس عن لبنه بين ثديي تيتا. والشيء الوحيد الذي لم تكن تيتا تتحمله أن ترى جوعان يطلب طعاماً ولا تستطيع منحه له. كان ذلك يسبب لها ضيقاً شديداً. وحين فاق الأمر احتمالها فتحت تيتا بلوزتها وقدمت ثديها للطفل. كانت تعلم أنه جاف تماماً، ولكنه على الأقل كان سيفيده كحلمة ويشغله فيما تقرر هي ما سوف تفعله لكي تهدىء من جوعه.

التقط الطفل الحلمة بيأس وامتص وامتص بقوة خارقة حتى استطاع استخراج لبناً من تيتا. عندما رأت هي الطفل يستعيد هدوء محياه شيئاً فشيئاً وسمعته يبتلع، ارتابت من حدوث شيء غريب. أمِن الممكن أن يرضع الطفل منها؟ للتأكد من ذلك، أبعدت الطفل عن ثديها ورأت كيف ينبع منها سرسوب لبن. لم تستطع تيتا إدراك ما يحدث. فلا يمكن لفتاة لم تتزوج أن تدر لبناً. كان بالفعل أمراً خارقاً وبلا تفسير في ذلك الوقت. حين

شعر الرضيع بأنهم يبعدونه عن غذائه راح يبكي من جديد. وسرعان ما تركته تيتا يمتصها إلى أن أشبع جوعه تماماً. ونام في دعة كقديس. كانت مستغرقة في تأمل الطفل فلم تنتبه لدخول بيدرو المطبخ. في تلك اللحظة كانت تيتا تجسد تماماً صورة ثيريس، إلهة الغذاء.

لم يندهش بيدرو البتة، ولم يحتج إلى تفسير. اقترب منها وهو مفتون ومبتسم، .ومال على تيتا وقبّلها في جبهتها. جذبت تيتا ثديها من فم الطفل بعد أن أشبع جوعه، حينئذ رمقت عينا بيدرو بشكل فعلي ما كانتا رأتاه من قبل تحت الملابس: نهدي تيتا.

حاولت تيتا أن تغطي نفسها بالبلوزة وساعدها بيدرو في صمت وبحنان شديد. عند القيام بذلك تمكنت منهما مجموعة من المشاعر المتلاقية: حب ورغبة وحنان وشهوة وحياء... ورعب من أن يُكتشَف أمرهما. فوقع خطوات ماما إيلينا فوق الأرضية الخشبية حذرهما في الوقت المناسب من الخطر. تمكنت تيتا من أن تصلح جيداً من بلوزتها وابتعد بيدرو عنها قبل أن تدخل ماما إيلينا المطبخ بحيث إنها عندما فتحت الباب لم تجد ما يقلقها من حيث ما تسمح به المعايير الاجتماعية. تظاهر بيدرو وتيتا برباطة جأش كبيرة. ولا ريب من أنها اشتمت في الجو شيئاً جعلها ترهف كل حواسها وتحاول اكتشاف ما كان يثير قلقها.

- تيتا، ماذا يحدث لهذا الطفل؟ هل نجحت في إطعامه؟

- أجل يا مامي، شرب شايه ونام.

- تبارك الله! ماذا تنتظر إذن يا بيدرو لحمل الطفل إلى امرأتك؟ لا يجب أن يظل الأطفال بعيداً عن أمهاتهم.

خرج بيدرو حاملاً الطفل بين ذراعيه؛ ولم تتوقف ماما أيلينا عن مراقبة تيتا بدقة فقد كان في عينيها وميض اضطراب لم يكن يعجبها بالمرة.

- هل مشروب[١٤] أختك معدٌّ؟

- أجل يا مامي.

- أعطيني إياه لكي أحمله إليها، فهي في حاجة إلى تناوله ليل نهار لكي يدر لبنها. فبالرغم من كم المشروب الذي تناولته لم تدر لبناً بعد.

في المقابل، كان بثدي تيتا في ذلك اليوم لبن كافٍ لتغذية ليس روبرتو وحده بل وطفلين آخرين، إن شاءت. ولّما امتد وهن روساورا لعدة أيام لم يتعجب أحد لأن تيتا تتولى إطعام ابن اختها؛ وما لم يكتشفوه قط هي الطريقة التي كانت تنتهجها في

(١٤) ذكر اسم مشروب التشامورادو EL CHAMPURRADO، وهو مزيج من المشروبات الروحية.

ذلك، إذ كانت تيتا، بمساعدة بيدرو، تحترس تماماً من أن يراها أحد.

وبذلك عزز الطفل ارتباطهما بدل أن يكون سبب فرقتهما فبدت تيتا هي أم الطفل وليس روساورا. كانت هي تشعر بذلك وتبديه. ففي يوم تعميده كم كانت فخورة وهي تحمل ابن شقيقتها وتريه لكل المدعوين! لم تستطع روساورا الحضور إلا إلى الكنيسة لأنها كانت لاتزال تشعر بالإعياء. لذا، احتلت تيتا مكانها في المأدبة.

كان الدكتور جون براون ينظر إلى تيتا مفتوناً. لم يكن يستطيع أن يرفع عينيه عنها. لقد حضر جون حفل التعميد فقط لكي يرى هل سيتمكن من التحدث معها على انفراد. فبالرغم من أن كلاً منهما كان يرى الآخر يومياً أثناء الزيارات العلاجية التي كان جون يقوم بها لروساورا، لم تسنح لهما فرصة الحديث بحرية وبدون وجود شخص آخر. نهض مستغلاً أن تيتا كانت تسير بالقرب من المائدة التي كان يجلس إليها، واقترب منها بحجة رؤية الطفل.

- كم يبدو هذا الطفل جميلاً بجوار خالة بهذا الجمال!

- شكراً يا دكتور.

- إذا كان ذلك والطفل ليس ابنك فإنني أتخيل الجمال الذي سأراه عندما يكون الطفل الذي تحملينه ابنك.

مرت سحابة حزن على وجه تيتا. اكتشفها جون وقال:

- معذرة، يبدو أنني قلت شيئاً غير مناسب.

- لا، ليس كذلك. كل ما في الأمر هو أنني لا أستطيع الزواج ولا أن يكون لي أولاد، لأن عليّ أن أرعى أمي حتى وفاتها.

- لكن كيف! إن ذلك حمق.

- ولكنه هكذا. والآن أرجو المعذرة، سأذهب لأهتم بضيوفي.

ابتعدت تيتا مسرعة، تاركة جون مرتبكاً تماماً. كانت هي أيضاً كذلك، ولكنها أفاقت في الحال عندما شعرت بروبرتو بين ذراعيها، ففيمَ يهمها قدرها طالما وجدت ذلك الطفل قريباً منها، وكان ملكاً لها قبل غيرها. لقد كانت تمارس بالفعل دور الأم بدون اللقب الرسمي. إن بيدرو وروبرتو ينتميان إليها، وهي لم تكن تحتاج في حياتها إلى أكثر من ذلك.

ومن فرط سعادتها لم تنتبه تيتا إلى أنها لم تغب لحظة واحدة عن بصر أمها أو بصر جون وإن اختلف السبب. كانت الأم موقنة من أن شيئاً ما يشغل أمر تيتا وبيدرو. وفي محاولة استكناهه لم تذق الطعام وصرفت اهتمامها إلى مهمة المراقبة مما حال دون انتباهها إلى نجاح الحفل. كان الجميع متفقاً على أن

الفضل في جانب كبير من ذلك النجاح يعود لتيتا، فقد كان المولية الذي أعدته لذيذاً! ولم تتوقف هي عن تلقي التهاني على جدارتها كطاهية، وكان الجميع يرغبون في معرفة السر. كان من المؤسف حقاً أنه في اللحظة التي كانت تيتا تجيب فيها بأن السر هو أنها أعدت المولية بحب عميق، كان بيدرو على مقربة ونظر كل منهما إلى اللآخر متذكرين معاً اللحظة التي كانت فيها تيتا تطحن مكونات المولية في المدق ولكن حدة بصر ماما إيلينا، والتي كانت كحدة الصقر، اكتشفت من مسافة عشرين متراً ذلك البريق وضايقها للغاية.

من بين جميع الحضور، كانت هي المستاءة الوحيدة، فبعد تناول المولية انتابت الجميع حالة من الانتعاش فجاءت ردود أفعالهم على شكل شعور بسعادة غير عادية. كانوا يضحكون ويضجون بصخب لم يعهدوه من قبل، وقد يمر وقت طويل قبل أن يتكرر. كان الكفاح الثوري يهدد بالجوع والموت أينما حل لكن، في تلك اللحظات، لاح الجميع كأنهم يجتهدون لنسيان وجود تراشق النيران في القرية.

والوحيدة التي لم تفقد هدوءها هي ماما إيلينا التي كانت جد منشغلة بالبحث عن حل لحرقتها، قالت مستغلة لحظة كانت فيها تيتا على مقربة منها بحيث لن تفوتها كلمة مما يقال، قالت للأب إجنائيو بصوت عال:

- نظراً لما يستجد من أمور يا أبانا، يساورني قلق من أن تحتاج ابنتي روساورا يوماً إلى الطبيب فلا نستطيع إحضاره، مثلما حدث يوم أن وضعت. أعتقد أنه من الأنسب أن تذهب عندما تقوى مع زوجها وطفلها لتعيش في سان أنطونيو بتكساس، مع ابن أخي. فهناك ستحصل على رعاية طبية أفضل.

- أنا لا أرى ما ترينه يا دونيا إيلينا، وبالأخص لما هو عليه الموقف السياسي، أنت في حاجة إلى رجل في البيت لحمايتك.

- لم أحتجه بالمرة في شيء، لقد رعيت وحدي المزرعة وبناتي. لا أهمية للرجال في الحياة إلى هذه الدرجة يا أبانا - ودعمت قولها- كما أن الثورة ليست خطيرة كما يصفونها. فالفلفل الحار يكون أسوأ في غياب الماء!

- نعم، ذلك حق! -أجاب ضاحكاً- آه، يالها من امرأة دونيا أيلينا! دائماً سريعة البديهة جداً. وأخبريني، هل فكرت بعد أين سيعمل بيدرو في سان أنطونيو؟

- يمكنه العمل كمحاسب في شركة ابن أخي، لن تكون لديه مشكلة فهو يتحدث الإنجليزية بإتقان.

دوت الكلمات التي سمعتها تيتا في رأسها كطلقات مدفع. لم يكن في وسعها أن تسمح بذلك. لا يمكنهم أن ينتزعوا الطفل منها. كان عليها أن تمنع ذلك بكل السبل. فجأة، نجحت ماما إيلينا في أن تفسد عليها الحفل، أول حفل تستمتع به في حياتها.

الفصل الخامس

مايو

سجق من الشمال

المقادير:

٨ كجم من لحم [١٥] الفلتو - ٢ كيلو من قطع لحم الفلتو أو أطرافه - كيلو جرام واحد من الفلفل الأحمر الرومى - ٦٠ جم من الكمون - ٦٠ جم من الزعتر - ٣٠ جم من حبات القرنفل - كوبان من الثوم - لتران من خل التفاح - ١/٤ كجم من الملح أمعاء غنم[١٦]

(١٥) ذكر لحم خنزير.
(١٦) لم تذكرها المؤلفة فى الكتاب

طريقة الصنع

يوضع الخل فـوق النار ويضاف إليـه الفلفل الأحمـر الحار العريض بعـد أن تنزع منه البذور. وعندما يبـدأ في الغليان يرفع من فوق النار ويوضع غطاء فوق الإناء لكي يطرى الفلفل.

وضعت تشينتـشا الغطاء وأسرعت إلى الحديقة لمساعـدة تيتا في البحث عن ديدان الأرض. فـبين لحظة وأخرى ستصل مـاما إيلينا إلى المطبخ لمراجعة عـمل السجق وإعداد الماء لحمامهـا وكانتا متـأخرتين في الأمرين. ومـرد ذلك أن تيتـا منذ أن ذهب بيدرو وروساورا والطفل لـلعيش في سان أنطونيـو تكساس فـقدت كل رغبة في الحياة ماعدا تلك التي كان يوقظهـا فيها فرخ حمام أعزل كانت هي تطعمـه ديدان الأرض. فيما خلا ذلك لم يكن يهـمها حتى لو انهدم البيت.

لم تكن تشينتـشا تريد تخيل مـا يمكن أن يحدث لو علمت ماما إيلينا أن تيـتا لاتريد المشاركة في عـمل السجق. وكن قررن

إعداده لكونه أفضل وسيلة لاستخدام لحم الخنزير بطريقة اقتصادية اذكان يؤمن لهن غذاء جيداً لمدة طويلة بدون خطر أن يفسد. وأعددن أيضاً كمية كبيرة من اللحم المقدد وفخذ الخنزير المملح وشحم الخنزير والسمن. كان عليهن الإفادة بقدر المستطاع من هذا الخنزير وهو من الحيوانات القليلة التي نجت من زيارة الجيش الثوري لهن قبل أيام.

ففي اليوم الذي وصل فيه الثوار، لم يكن بالمزرعة سوى ماما إيلينا وتيتا وتشيتشا وعاملين: روساليو وجوادالوبي. أما نيكولاس الخولي فإنه لم يكن عاد بعد بالماشية، وكان نظراً إلى الحاجة الماسة قد ذهب لشرائها، فإزاء نقص الغذاء اضطروا إلى قتل الحيوانات التي لديهم واحداً تلو الآخر ولزم تعويضها. وكان اصطحب معه اثنين من أكثر العمال أمانة لمساعدته. وترك ابنه فيليبيه لحراسة المزرعة لكن ماما إيلينا أعفته من المهمة وتولتها هي عنه ليتمكن فيليبيه من الذهاب إلى سان أنطونيو تكساس بحثاً عن أخبار حول بيدرو وأسرته. فقد كانوا يخشون من أن يكون قد أصابهم مكروه لعدم الاتصال منذ ذهابهم.

جاء روساليو مسرعاً ليبلغهم بأن قوة من العسكر تقترب من المزرعة، فحملت ماما إيلينا بندقيتها في الحال وبينما كانت تنظفها فكرت في إخفاء أكثر الأشياء التي تمتلكها قيمة عن جشع وشهوة هؤلاء الرجال. فلم تكن الشواهد التي أبلغت بها عن الثوار طيبة

بالمرة. ولم تكن بالطبع جديرة بأية ثقة؛ لأنها كانت صادرة من الأب إجناثيو ورئيس بلدية بييدراس نجراس. فقد عرفت عن طريقهما كيف كانوا يدخلون البيوت ويخربون كل شيء وكيف كانوا يغتصبون الفتيات اللائي كن يجدونهن في طريقهم. لهذا إذن أمرت بأن تبقى تيتا وتشيتشا والخنزير في البدروم.

وعندما وصل الثوار وجدوا ماما إيلينا عند مدخل البيت. كانت تخفي بندقيتها تحت تنورتها وإلى جوارها روساليو وجوادالوبي. التقت نظرتها بنظرة الضابط الذي يتولى القيادة والذي فطن في الحال، من شراسة تلك النظرة، إلى أنهم أمام امرأة ينبغي الحذر منها.

- مساء الخير يا سيدتي، هل سيادتك صاحبة هذه المزرعة؟

- أجل. ماذا تريدون؟

- جئنا نطلب من سيادتك تعاونك، عن طيب خاطر، من أجل القضية.

- وأنا أقول لكم، عن طيب خاطر، أن تحملوا ما تشاءون من المؤن التي تجدونها في الشونة وفي الحظائر. ولكن ما بداخل بيتي لا تلمسوه، مفهوم؟ فذلك يخص قضيتي الشخصية.

أدى لها القائد التحية مازحاً وأجابها:

- مفهوم يا سيادة القائد.

وقعت المزحة موقعاً حسناً من الجنود جميعاً وتغزلوها ولكن

القائد انتبه إلى أن المزاح لايفيد مع ماما إيلينا، فقد كانت تتحدث بجدية، بجدية صارمة.

وفي محاولة للتصدي لنظرتها المتسلطة والحادة أمر بتفتيش المزرعة. لم يجدوا شيئاً ذا قيمة، قليل من الذرة بدون درس وثماني دجاجات. اقترب أحد العسكر، ببالغ الضيق، من القائد وقال له:

- لابد أن هذه العجوز تخفي كل شيء داخل المنزل، دعني أدخل لمراجعة ذلك!

أجابت ماما إيلينا وهي تضع إصبعها على الزناد:

- أنا لا أمزح وقلت لن يدخل أحد بيتي!

حاول الرقيب وهو يضحك ويؤرجح بعض الدجاجات التي كان يحملها في يده أن يتجه نحو المدخل. رفعت ماما إيلينا البندقية واستندت إلى الحائط حتى لا تسقط على الأرض من الدفعة التي كانت ستتلقاها وأطلقت النار على الدجاجات. انتشرت في كل الأنحاء قطع من اللحم ورائحة ريش محترق.

أخرج روساليو وجوادالوبي بندقيتيهما مرتعدين ومقتنعين تمام الاقتناع بأن ذلك كان آخر يوم لهما على الأرض. حاول الجندي الذي كان بجوار القائد إطلاق النار على ماما إيلينا، لكن القائد منعه بإشارة منه. كان الجميع في انتظار أمر منه بالهجوم.

- أنا ماهرة جـداً في الرماية وسيـئة الطبع جـداً يا كابتن. الطلقـة القادمـة ستكون من نـصيـبك، وأؤكد لك أنني أسـتطيع إطلاق النار عليك قبل أن يقتلوني، وعليه فمن الأفضل أن يحترم كل منا الآخر، لأننا لو قُـتلنا فلن يحتاجني أحـد، لكن المؤكد أن الأمة سوف تأسف كثيراً لفقدك. أوليس كذلك؟

كان من الصـعب حقيقـةً تحمل نظرة مامـا إيلينا حتى على القائد. كان بها شيء يثير الرعب. وكان الأثر الذي تخلفه فيمن يتلقاها هو خـوف يفوق الوصف: كانوا يشـعرون بأنهم حوكـموا وصدر ضـدهم حكم لجرائم ارتكبـوها. وكان الواحـد منهم يقع فريسة لخوف صبياني من سلطة الأم.

- أجل، مـعك حق. لكن لا تقلقي، لن يقتلـك أحد أو يفقدك احـترامك. لم يبقَ سوى ذلك! إن امرأة بهذه الشـجاعة تحوز دائماً إعجابي.

وقال متوجهاً إلى جنوده:

- لن يدخل أحد هذا البيت، انـظروا ما يمكن أن تجدوه هنا وهيا بنا.

كان ما اكتشفـوه هو برج الحمام الذي يحتل سطح واجهتي المنزل الضخم. وللوصول إليه كان عليهم أن يتسلقوا سلماً طوله سبعة أمتار. صعد ثلاثة من الثوار وظلوا مذهولين لمدة طويلة قبل أن يسـتطيعـوا الحركة. هالـهم حجـمه وظلمـته وهديل الحـمام

المجتمع هناك والذي كان يدخل ويخرج من كوات صغيرة جانبية. أغلقوا الباب والكوات حتى لا تستطيع أية حمامة الهروب وبدأوا في الإمساك بصغار الفرخ وبالحمام.

جمعوا كمية كبيرة تكفي لأطعام الكتيبة لمدة أسبوع. وقبل الانسحاب تفقد القائد وهو يمتطي جواده الفناء الخلفي واستنشق بعمق أريج الورد الذي لا ينمحي والذي كان لا يزال في المكان. أغمض عينيه ولبث على ذلك لبرهة طيبة. ولدى عودته إلى ماما إيلينا سألها:

- أعلم أن لديك ثلاث بنات، فأين هن؟

- الكبرى والصغرى تعيشان في الولايات المتحدة والأخرى ماتت.

بدا على القائد التأثر للخبر، فأردف بصوت لا يكاد يسمع:

- شيء مؤسف، مؤسف حقاً.

ودّع ماما إيلينا بانحناءة. وذهبوا بهدوء مثلما قدموا تماماً ولبثت ماما إيلينا في حيرة إزاء السلوك الذي اتبعوه معها والذي لم يكن ينتمي إلى سلوك السفاحين العتاة الذين كانت تنتظرهم. منذ ذلك اليوم، فضلت ألا تظن السوء بالثوار. وما لم تكن تعلمه مطلقاً هو أن ذلك القائد كان خوان أليخاندريس ذاته الذي أخذ قبل ذلك بشهور ابنتها خيرتروديس.

وما لم يكن القائد يعلمه بدوره أن ماما إيلينا دفنت في رماد الجهة الخلفية من البيت كمية كبيرة من الدجاج كانت في متناول يدهم. فقد استطعن ذبح عشرين دجاجة قبل وصولهم. يحشى الدجاج بحبوب القمح أو الشوفان وتوضع الدجاجة بأكملها وبريشها في إناء من الفخار المطلي. يغطى الإناء جيداً بقطعة قماش وبهذه الطريقة يمكن حفظ اللحم في حالة جيدة لأكثر من أسبوع. كانت هذه الطريقة معروفة في المزرعة منذ زمن بعيد ومتبعة عند الحاجة إلى حفظ الطيور بعد عملية قنص.

كان أول ما استوحشته تيتا عند خروجها من مخبئها هديل الحمام المستمر وكان منذ أن ولدت يمثل جانباً من حياتها اليومية. ذلك الصمت المباغت جعلها تشعر فجأةً بالوحدة. كانت تلك اللحظة التي شعرت فيها تيتا بوطأة رحيل بيدرو وروساورا وروبرتو عن المزرعة. صعدت بسرعة درجات السلم الكبير الذي كان ينتهي إلى برج الحمام وكان الشيء الوحيد الذي وجدته كمظهر للمكان بساطاً من الريش والقذارة.

كانت الريح تتسلل من الباب المفتوح، وتطيِّر بعض الريش فيقع فوق بساط من الصمت. فجأةً سمعت صوتاً خافتاً: كان فرخاً صغيراً فقس حديثاً ونجا من المذبحة. أخذته تيتا واستعدت للنزول ولكنها توقفت قبل ذلك لتشاهد لوهلة غيمة الغبار التي خلفتها جياد الجنود عند رحيلهم. وتساءلت متعجبة عن سبب

عدم تعرض أمها لأي أذى. فقد كانت تصلي في مخبئها حتى لا يقع مكروه لماما إيلينا، ولكنها بلا وعي منها كانت تأمل أن تجدها لدى خروجها ميتة.

في خجل من تلك الأفكار، وضعت فرخ الحمام بين صدرها لكي تحرر يديها وتمسك جيداً بالسلم الخطير، ثم هبطت برج الحمام. ومنذ ذلك اليوم وشاغلها الأكبر إطعام الفرخ الهزيل. بهذه الطريقة فقط كان للحياة معنى. وهي لا تقارن بالمتعة التي كانت تشعر بها عند إرضاع طفل لكنها، بشكل ما، كانت تشبهها.

كان ثدياها قد جفا بين يوم وآخر من جراء الألم الذي سببه لها إبعاد ابن شقيقتها عنها. لم تكن تستطيع وهي تبحث عن الديدان التوقف عن التفكير فيمن وكيف تراه يطعم روبرتو. كان هذا التفكير يعذبها ليلاً ونهاراً. خلال شهر كامل، لم تستطع مصالحة النوم ولو للحظة. كان كل ما حققته خلال تلك الفترة هو مضاعفة حجم مفرش سريرها الكبير خمس مرات. جاءت تشينتشا لتخرجها من أفكارها المثيرة للشفقة ودفعتها دفعاً إلى المطبخ. أجلستها أمام المدق وجعلتها تطحن التوابل مع الفلفل الأحمر الحار. ولتسهيل هذه العملية من المستحسن أن نضع من حين لآخر قليلاً من الخل ونحن نقوم بالطحن. وأخيراً يخلط اللحم المفروم جيداً أو المهروس مع الفلفل والبهارات ويترك

ليترسب مدة طويلة وليكن طوال الليل.

كانت عملية إعداد حمّام ماما إيلينا مثل الإعداد لاحتفالية. إذ كان يلزم وضع الماء ليغلي مع زهور خيري البر وهي الرائحة المفضلة لماما إيلينا. تلي ذلك مرحلة استخلاصها بقطعة قماش نظيفة ثم تضاف إليها قطرات من الروم. وأخيراً يحمل هذا الماء الساخن في إجانات خشبية واحدة تلو الأخرى حتى الحجرة المظلمة وهي حجرة صغيرة تقع في نهاية البيت بجوار المطبخ. وهذه الحجرة، كما يشير اسمها، لا تستقبل أي شعاع ضوء لأنها بلا نوافذ. كان لها باب ضيق فقط. وبالداخل، في وسط الحجرة، كان ثمة حوض خشبي كبير يوضع فيه الماء. وإلى جانبه، في إناء من القصدير، يصب الماء مضافاً إليه "تشي تشي"[(١٧)] لغسيل شعر ماما إيلينا.

كانت تيتا فقط، ومهمتها خدمة أمها حتى مماتها، هي الوحيدة التي تستطيع حضور ذلك الطقس ورؤية أمها عارية. ولا أحد غيرها. من أجل ذلك صنعت تلك الحجرة للتصدي لمحبي الاستطلاع. كان على تيتا أن تغسل أولاً جسم أمها ثم شعرها وأخيراً تتركها للحظات للراحة مستمتعة بالماء، بينما تقوم هي بكيّ الملابس التي سترتديها ماما إيلينا عند خروجها من الحوض الخشبي.

(١٧) صنف من الصابون.

وبأمر من أمها تساعدها تيتا في تجفيف جسدها وفي ارتداء ملابسها الدافئة تماماً في أسرع وقت ممكن تفادياً لنزلات البرد. بعد ذلك كانت تفتح الباب مليمتراً واحداً حتى تبرد الحجرة تدريجياً فلا يتأثر جسم ماما إيلينا لأي تغيير مفاجيء في درجة الحرارة؛ فيما تمشط تيتا لها شعرها وهي لا ترى سوى على ضوء الشعاع الخافت الذي يتسرب من فتحة الباب الضيفة والذي كان يخلق جواً من السحر بإظهاره الأشكال الوهمية لبخار الماء. كانت تمشط لها شعرها إلى أن يجف تماماً، عندئذ كانت تصنع لها ضفيرة وينتهي الطقس. كانت تيتا تشكر الله دائماً لأن ماما إيلينا لم تكن تستحم سوى مرة واحدة في الأسبوع وإلا لكانت حياتها عذاباً حقيقياً.

وكانت ماما إيلينا ترى أن مايحدث في الاستحمام يحدث في الطعام، فكلما اجتهدت تيتا ارتكبت عدداً لانهائياً من الأخطاء. فإما أن تكون بالقميص تجعيدة صغيرة أو لا يكون الماء ساخناً بالقدر الكافي أو أن خط الضفيرة ليس مستقيماً؛ عموماً، يبدو أن فضيلة ماما إيلينا الوحيدة هي إيجاد العيوب. غير أنها لم تجد في حياتها كماً مثل ذلك اليوم. والحق أن تيتا كانت قد أهملت بالفعل كل تفاصيل تلك الطقوس. فكان الماء شديد السخونة فتحرّقت قدما ماما إيلينا عندما وضعتهما فيه، كما أنها نسيت إحضار ال"تشي تشي" لغسل الشعر وأحرقت البطانة

والقميص الداخلي وفتحت الباب أكثر من اللازم، وفي النهاية، وصلت بالفعل إلى درجة أن ماما إيلينا قامت بزجرها وطردها من حجرة الحمام.

اتجهت تيتا بسرعة نحو المطبخ وهي تحمل تحت ذراعها الملابس المتسخة وتنتحب بسبب الزجر وإخفاقاتها الجسيمة. كان أشد ما يؤلمها هو العمل الإضافي الذي يستتبع إحراقها للملابس. كانت المرة الثانية في حياتها التي يقع لها فيها هذا النوع من سوء الحظ. فالآن عليها أن تبلل البقع الضاربة للحمرة بمحلول كلورات البوتاسا والماء المقطر ومحلول قلوي مخفف ويتم الدعك المتكرر حتى تزول البقعة، وعليها أيضاً أن تضيف إلى هذا العمل الشاق غسل الملابس السوداء التي كانت ترتديها أمها، وللقيام بذلك كان عليها إذابة مرارة بقرة في كمية صغيرة من الماء المغلي وتغمر إسفنجة ناعمة في هذا الماء وتبلل بها الملابس كلها، ثم تشطف الملابس مباشرة بالماء النظيف. كانت تيتا تدعك وتدعك الملابس كما كانت تفعل من قبل مع غيارات روبرتو لإزالة البقع منها. كانت تفعل ذلك بغلي كمية من البول و تغمر فيها البقعة للحظة ثم تشطفها بالماء. وهكذا بكل بساطة كانت تختفي البقع.

ولكنها الآن بالرغم من كثرة ما غمرت الغيارات في البول لم تستطع إزالة ذلك اللون الأسود الفظيع، ولكنها سرعان ما انتبهت إلى أنها ليست حفاضات روبرتو وإنما ملابس أمها. لقد ظلت

تغمرها في المبولة التي نستهـا منذ الصباح بجانب حوض الغسيل دون أن تنظفها. بدأت في تصحيح خطئها وهي مغمومة.

زمت تيتا، عندما أقامت أسباب مـعيشتها في المطبخ، على الاهتمام أكثر بما تقوم به. كان عليها أن تضع حداً للذكريات التي كانت تعذبها أو لشدة غضب مـاما إيلينا التي كان يمكن أن تنفجر بين لحظة وأخرى.

كانت تيـتا قد تركت خلطة السجق لتـترسب منذ أن بدأت في إعداد حمّـام ماما إيلينا لذا كان قد مـر وقت كافٍ لأجل البدء في حشو الأمعاء.

يجب أن تكون أمـعاء الـغنم نظيفـة ومملحـة. ولحشـوها يستخـدم قمع. تُربط جيداً على أبعاد أربعـة أصابع وتوخز بأبرة لإخراج الهـواء لأنه يمكن أن يفـسد السجـق. مهم جداً ضـغطه جيداً أثناء الحشو حتى لا يبقى فراغ.

بالرغم من إصـرار تيتا على تفـادي أن تحضـرها الذكريات وتجعلها ترتكب أخطاء أخرى، لم تستطع تجنبها، وفي يدها قطعة كبيرة من السـجق، وتذكرت ليلة الصيف التي خرج فيـها الجميع للنوم في صحن البيت. ففي أيام القيظ، كانوا يعلقون في صحن البيت شبـكات كبيرة للنوم، إذ كان الحـر لا يطاق، ويوضع فوق منضدة دن مليء بالثـلج وبداخله بطيخة مـقطعة حتى إذا مـا قام أحد في منتصف الليل وهو حران وأراد أن ينتـعش فبوسعه تناول

شريحة. كانت مـاما إيلينا خبيرة بتقطيع البطـيخة: كانت تدخل طرف سكين مسنون في البطيخة بحيث يولج فقط إلى حيث ينتهي الجزء الأخضر من قشرتها تاركة قلب البطيخة دون أن يُمس.

كانت تحدث عدة قطوع في القشـرة بإتقان محسوب بحيث أنها مـا إن تنتهي كـانت تحمل البطيخـة في يدها وتخبطهـا خبطة واحـدة فـوق قطعـة حجـر ولكن فـي المكان المناسب بالضـبط، وبطريقة سحرية كانت قشرة البطيخة تتفتح مثل بتلات زهرة تاركة قلبـها سليـماً على المنضـدة. ومما لا شك فيـه أنه فيـما يتـعلق بالتقطيع والهدم وقطع الأوصال والتدمير والفطام والعقر والتحطيم وعزل أي حيوان عن أمه كانت ماما إيلينا أستاذة. فمنذ أن ماتت مـاما إيليـنا لم يستطع أحـد أن يعـود إلى فـعل تلك المأثرة (مع البطيخ).

سمعت تيتا من أعلى شبكة نومها كما لو أن أحداً قد نهض ليتـناول شريحة مـن البطيخ. أما هي فـقد أيقظتـها الرغـبة في الذهاب إلى دورة المياه. كـانت احتست بيـرة طوال النهار، ليس للتخفيف من الحر وإنما لتدر لبناً أكثر لإرضاع ابن أختها.

كـان هذا ينام في هدوء بجوار أختـها. نهـضت تتلمس الطريق أمامها، لم تكن تستطيع تمييز أي شيء، كانت ليلة مظلمة تماماً. سارت باتجاه الحمّام محاولة أن تتذكر موضع الشبكات فلم تكن ترغب في أن تتعثر بأحد.

كان بيدرو جالساً في شبكته يتناول شريحة البطيخ ويفكر في تيتا. فقد كان قربها يصيبه ببالغ الاهتياج. لم يكن يستطيع النوم وهو يتخيلها هناك على بعد خطوات منه... ومن ماما إيلينا، بالطبع. توقف تنفسه للحظات لدى سماعه وقع خطوات في الظلام، لابد أنها تيتا، فالعبق الخاص الذي شاع في الجو ما بين ياسمين وروائح المطبخ لايمكن أن ينتمي إلا إليها فقط. اعتقد لبرهة أن تيتا قامت تلتمسه. امتزج وقع خطواتها وهي تقترب منه بدقات قلبه الذي كان ينبض بشدة. لكن لا، إن الخطوات لتبتعد الآن صوب الحمّام. نهض بيدرو مثل قط وبدون أن يحدث أي صوت لحق بها.

فوجئت تيتا عندما شعرت بأن أحداً يجذبها ويغطي فمها ولكنها تنبهت بسرعة إلى من تنتمي تلك اليد وسمحت لها بلا أدنى مقاومة أن تنساب أولاً عبر رقبتها حتى نهديها ثم بامتنان كامل عبر كل جسدها. وبينما كانت تتلقى قبلة في فمها أخذت يد بيدرو يدها ودعتها إلى تعرف جسده. تلمست تيتا بخجل عضلات ذراعي وصدر بيدرو القوية. ثم، إلى أسفل أكثر، كانت جذوة مشتعلة تخفق تحت الملابس. جذبت يدها منزعجة ليس بسبب الاكتشاف بل لصيحة من ماما إيلينا.

- تيتا، أين أنت؟

- هنا يا مامي، جئت إلى الحمّام.

وخشية أن تشك أمها في شيء، عادت تيتا بسرعة وأمضت ليلة من العذاب متحملة الرغبة في التبول المصحوبة بشعور آخر متشابه. ولكن تضحيتها لم تفدها في شيء. ففي اليوم التالي قامت ماما إيلينا، التي اعتُقد لفترة أنها غيرت رأيها فيما يتعلق بذهاب بيدرو وروساورا للعيش في سان أنطونيو بتكساس، بالإسراع من الرحيل وخلال ثلاثة أيام نجحت في أن يرحلوا عن المزرعة.

طرد دخول ماما إيلينا المطبخ الذكريات. وتركت تيتا السجق يسقط من يدها. كانت ترتاب من قدرة أمها على قراءة أفكارها. دخلت خلفها تشينتشا وهي تبكي بحزن.

– لا تبكي يا بنتي! تؤلمني رؤيتك تبكين. ما الذي جرى؟

– لقد جاء فيليبيه وقال إنه مات.

– ماذا تقولين؟ من الذي مات؟

– الطفل!

– أي طفل؟

– من سيكون؟ حفيدك. كان كل ما يأكله يؤلمه. وعليه فقد مات.

شعرت تيتا بضربة فوق رأسها وسقطت. وبعد الخبطة، صوت أطباق تتكسر إلى ألف قطعة كالمدفوعة من زنبرك.

- اجلسي للعمل ولا أريد دموعاً. مسكين يا صغيري، عسى الله يشمله في جنته، ولكننا لا يجب أن نجعل الحزن ينتصر علينا، فأمامنا الكثير من العمل. انتهي أولاً منه ثم افعلي ما تشائين إلا البكاء، أسمعتني؟

شعرت تيتا بهياج شديد يسيطر على كيانها. واجهت بثبات نظرة أمها و هى تربت على السجق وبعد ذلك، بدلاً من أن تطيعها، حملت السجق الذى كان أمامها ومزقته إرباً وهى تصيح بجنون.

- انظرى ما أفعل بأوامرك! لقد سئمت! لقد سئمت من طاعتك!

اقتربت ماما إيلينا والتقطت ملعقة خشبية ولطمت بها وجهها.

- أنت المسئولة عن موت روبرتو! صرخت فيها تيتا وهى خارج وعيها وخرجت وهى تجرى، مجففة الدماء التى كانت تسيل من أنفها ؛ اخذت فرخ الحمام ووعاء الديدان وصعدت إلى برج الحمام.

أمرت ماما إيلينا برفع السلم وبتركها تمضى طوال الليل هناك. وأكملت ماما إيلينا وتشينتشا حشو السجق فى صمت وبرغم درجة اتقان ماما إيلينا و الاهتمام الذى كانت توليه دائماً

حتى لا يتبق هـواء داخل السجق، كان أمراً بلا تفسـير بحق لدى الجميع عندمـا وجدوا بعد اسبوع أن الديدان قـد غزت السجق فى مخزن المؤن حيث وضع ليجف.

وفى اليوم التالى أمـرت ماما إيلينا تشينتشـا بإنزال تيتا. لم تكن مامـا إيلينا تستطيع القيـام بذلك فالشئ الوحيـد الذى كانت ماما إيلينا تخشاه فى حيـاتها هو الخوف من الإرتفاعات. لم تكن تتحمل حتى التـفكير فى أن عليها الصعود على سـلم طوله سبعة أمتـار، وأن تفتح للخارج الباب الصـغير لكى تسـتطيع الدخول. وكانت عليها بالطبع أن تتظاهر بالكبرياء أكثر مما تمتلك،وأن ترسل شخصـاً آخر لإنزال تيتا بالرغم من أنـها كانت تقتلهـا الرغبة فى الصعود بنفسها وانزالها جراً من شعرها.

وجدتها تشينتـشا وفرخ الحمام بين يديها. كـان يبدو أن تيتا لـم تنتبه إلى انه قـد مات. كانت تحاول اطعامه ديداناً اكـثر. يبدو أن المسكين قد مات من التـخمة لأن تيتا أطعمـته اكثر من اللازم. كانت نظرة تيتا تائهة وكانت تنـظر إلى تشينتشا وكأنها تراها لأول مرة فى حياتها.

هبطت تشـينتشا وهى تقـول إن تيتـا تبدو كالمجنـونة وأنها لاتريد مغادرة برج الحمام.

- حسناً جـداً، إذا كانت مجنونة فـسوف تنتهى بمستـشفى المجانين. فلا مكان فى هذا البيت لمخابيل!

وبالفعل قـامت فوراً بإرسال فـيليبيــه ليحضر دكـتور بروان ليحمل تيتـا إلى مستشفى للأمراض العقلية. جـاء الدكتور وسمع الرواية حسب رؤية ماما إيلينا و استعد لصعود البرج.

وجـد تيتـا عـارية وانفهـا مكسـور وكل جـسدها مـغطى بقاذورات الحـمام. وقد التصق بعض الريش بجلدها و شـعرها. ومـا أن رأت الدكـتـور حـتـى جـرت إلى ركن وأخـذت وضع القرفصاء.

لم يعرف أحد كم ما قاله لهـا دكتور بروان خلال الساعات التى أمضـاها معـها ولكنه هبط بتـيتـا فى المساء و هى بملابسـها ووضعها فى عربته و ذهب بها.

استطاعت تشيتشا بالكاد و هى تجرى وتبكى بجوارهما، أن تضع لتيتا على اكتافهــا المفرش الهائل الذى غزلته فى ليالى الأرق التي كانت بلا نهاية. كان كبيراً وثقيلاً لدرجة أن العربة لم تكفيه. تشبثت تيتا به بقـوة بحيث لم يكن هناك أى وسيلة إلا حمله جراً مثل ذيل فستان عروس ضخم مـتغير الألوان غطى طوله كيلومتراً كاملاً. ولأن تيتا كانت تستخدم فى غزل مفرشها ما يقع بين يديها من صوف دون أن يهمهـا اللون، فإن المفرش كان يمثل خليطاً من الألوان والنسج والأشكال التى كانت تـظهر وتختفى بشكل يشـبه الفن السحرى، بين غيمة الغبار الهائلة التى كان يثيرها فى طريقه.

الفصل السادس

يونيو

عجينة لصنع أعواد الثقاب

المقادير:

أوقية من ملح البارود المطحون - ١/٢ أوقية من أكسيد الرصاص الأحمر (سلاقون) - ١/٢ أوقية من الصمغ العربى المطحون - درهم واحد من الفسفور - زعفران - كرتون

طريقة الصنع

أذب الصمغ العربي في ماء ساخن حتى يصير عجينة لينة، يضاف إليها بعد ذلك الفوسفور ويذاب فيها كذلك ملح البارود المطحون. ثم يضاف السلاقون بالقدر الذي يعطيها لوناً.

كانت تيتا تراقب في صمت الدكتور براون وهو يقوم بهذه الخطوات. كانت تجلس بجانب نافذة معمل صغير للدكتور يقع في الجانب الخلفي من صحن البيت. كان الضوء المتسرب من النافذة يسقط على ظهرها وينفحها شعوراً بالدفء. كان خابياً ولا يكاد يُحس به. كان شعورها المزمن بالبرد لا يسمح لها بالدفء بالرغم من أنها تتدثر بغطائها الصوفي الثقيل. كانت تتابع الغزل من أحد طرفيه بصوف أحضره لها جون.

من بين أرجاء المنزل، كان ذلك المكان المفضل لكليهما. وكانت تيتا اكتشفته بعد أسبوع من وصولها إلى بيت الدكتور جون براون. وكان جون، بدل أن يودعها مصحة عقلية، قد أخذها

لتعيش معه. لم تكف تيتا قط عن شكره لذلك. إد كان محتملاً أن تنتهي في المصحة العقلية إلى الجنون بالفعل. غير أنها، بكلمات جون الدافئة وسلوكه معها، راحت تشعر بتحسن يوماً بعد يوم. وكانت تتذكر وصولها إلى البيت. كالحلم. كانت تحتفظ في ذاكرتها بصور مطموسة للألم الشديد الذي شعرت به عندما أعاد الدكتور أنفها إلى مكانه. ثم يدي جون، الكبيرتين والحانيتين، وهما تخلعان ملابسها وتحمِّيانها؛ ثم تزيلان بكل الحرص عن جسدها قاذورات الحمام لتصبح نظيفة ومعطرة. كما أنهما، في النهاية، صففتا شعرها في لين وأنامتاها في سرير بملاءات منشاة.

إن هاتين اليدين أنقذتاها من الرعب وهي لن تنسى ذلك أبداً.

يوماً ما، عندما تصبح لديها الرغبة في الكلام، فإنها تفضل الإفصاح لجون عن ذلك؛ أما الآن فتفضل الصمت. كان لديها الكثير من الأمور التي عليها أن ترتبها في ذهنها ولا تجد الكلمات للتعبير عما كان يختمر في داخلها منذ أن تركت المزرعة. كانت تشعر بأنها مشوشة. ففي الأيام الأولى لم ترد حتى الخروج من حجرتها؛ وكانت تحمل إليها الطعام إلى هناك كاتي، وهي سيدة أمريكية في السبعين من عمرها، كانت إضافة إلى تولي أمور المطبخ تسهر على رعاية أليكس، الابن الصغير للدكتور. فقد

ماتت أمه عند ولادته. كانت تيتا تسمع أليكس يضحك ويجوب الفناء ركضاً ولا ترغب في التعرف عليه.

أحياناً، لم تكن تيتا حتى تذوق الطعام، كان ماسخاً ولا يعجبها. كانت تفضل على الأكل قضاء ساعات طويلة تنظر إلى يديها. كانت تتأملهما كطفل وتسلم بأنهما يداها. كانت تستطيع تحريكهما كما تشاء ولكنها لم تكن تعرف بعد ماذا تفعل بهما، فضلاً عن الغزل. لم يكن أمامها وقت من قبل للتوقف والتفكير في مثل هذه الأشياء. فبجوار أمها كان ما على يديها أن تفعله محدداً بجفاء، بلا أدنى شكوى. كان عليها الاستيقاظ وارتداء ملابسها وإشعال النار في المدفأة وإعداد الإفطار وإطعام البهائم وغسل الأواني وترتيب الأسرّة وإعداد الغداء وغسل الأواني وكي الملابس وإعداد العشاء وغسل الأواني، يوماً بعد يوم، عاماً بعد عام. دون التوقف لحظة ودون التفكير فيما إذا كان ذلك يناسبهما. وعند رؤيتهما الآن متحررتين من أوامر أمها لم تكن تعرف ماذا تطلب منهما أن تفعلاه، فلم تكن هي قد قررت ذلك قط. كانتا تستطيعان القيام بأي شيء أو التحول إلى أي شيء. لو تستطيعان التحول إلى طائر وتحلِّقان! كانت تريد أن تحملاها بعيداً، إلى أعلى ارتفاع ممكن. اقتربت من النافذة المطلة على الفناء ورفعت يديها إلى السماء، كانت تريد الهروب من نفسها، لم تكن ترغب في العودة إلى الكلام. لم تكن ترغب في أن تصرخ كلماتها بألمها.

رغبت من كل قلبها أن تعلو يداها. ظلت فترة طويلة هكذا وهي ترى الخلفية الزرقاء للسماء من خلف يديها الساكنتين. اعتقدت تيتا أن المعجزة تتحول إلى حقيقة عندما لاحظت أن أصابعها بدأت في التحول إلى بخار خفيف يرتفع في السماء. تأهبت للصعود تجذبها قوة عليا، ولكن لا شيء من ذلك حدث. اكتشفت، يائسة، أن الدخان لم يكن يخصها.

كان الدخان صادراً من حجرة صغيرة في نهاية الفناء. كانت مدخنة تنثر في الجو رائحة زكية للغاية ومألوفة في نفس الوقت جعلتها تفتح النافذة حتى تتمكن من استنشاقها بعمق. رأت نفسها وهي مغمضة العينين جالسة بجوار ناتشا في حجرة المطبخ وهما تصنعان عجة الذرة: رأت الإناء؛ حيث كان يطهى به أكلة من أزكى الروائح وكانت بجانبها الفاصوليا تطلق أول غليان لها. . . وبلا تردد قررت الذهاب للبحث عمن كان يطهو. لم يكن الأمر يتعلق بكاتي. فالشخص الذي كانت تنبعث من طهوه تلك الرائحة كان يجيد الطهو بالفعل. كانت تيتا تشعر بأنها وجدت نفسها في ذلك الشخص دون أن تراه، أياً كان.

عبرت الفناء بعزم، فتحت الباب فوجدت امرأة لطيفة في حوالي الثمانين من عمرها. كانت شديدة الشبه بناتشا، وتغطي رأسها ضفيرة هجين طويلة وتمسح عرق جبهتها بمرولتها. كان لوجهها ملامح واضحة لأهل البلد الأصليين. كانت تغلي شاياً في إناء من الفخار.

رفعت بصرها وابتسمت لها بلطف داعية إياها للجلوس بجوارها. فعلت تيتا ما طلبت. قدمت لها في الحال فنجاناً من ذلك الشاي اللذيذ.

احتسته تيتا على مهل، مستمتعة إلى أقصى حد بمذاق تلك الأعشاب المجهولة والمعروفة في نفس الوقت. يا للإحساس الشديد بالمتعة الناشيء عن حرارة وطعم هذا المنقوع.

لبثت وقتاً طويلاً بجوار هذه السيدة. لم تكن هي الأخرى تتحدث، بيد أن ذلك لم يكن ضرورياً. فمنذ البداية قام بينهما اتصال مداه أبعد من الكلمات.

كانت تزورها يومياً منذ ذلك اليوم. ولكن، شيئاً فشيئاً، بدأ الدكتور براون يظهر بدلاً منها. تعجبت لذلك في المرة الأولى. فلم تكن تنتظر أن تجده هناك ولا التغييرات التي أحدثها في ديكور المكان.

توجد الآن أجهزة علمية كثيرة، أنابيب اختبار، مصابيح، ترمومترات، إلخ. فقدت المدفأة مكانها المعتاد لتحتل حيزاً صغيراً في ركن من الحجرة. شعرت بأن إهمال المدفأة على ذلك النحو لم يكن من الصواب في شيء لكنها، لعدم رغبتها في أن تحدث شفتاها أدنى صوت، احتفظت برأيها في هذا الأمر إلى ما بعد بجانب السؤال عن مكان وهوية هذه المرأة. وكان عليها أيضاً أن تعترف بأنها كانت تستمتع كثيراً برفقة جون. كان الفارق الوحيد

أنه كان بالفعل يتكلم، وبدلاً من الطهي كان يجرب نظرياته علمياً.

كان قد ورث هواية إجراء التجارب هذه عن جدته، وهي هندية من كيكابو كان جده اختطفها وحملها للعيش معه بعيداً عن قبيلتها. وبالرغم من كل شيء ومن أنه تزوج منها، لم تقبلها قط عائلة الجدالأمريكية الخالصة والمتغطرسة كزوجة شرعية. عندئذ بنى لها الجد هذه الحجرة في الجانب الخلفي من البيت حيث كان بمستطاع الجدة أن تمضي معظم فترة النهار في القيام بالنشاط الذي يشغل اهتمامها أكثر: إجراء التجارب على الخواص العلاجية للنباتات.

كما كانت هذه الحجرة ملجأً لها من إهانات أسرته. وفي مقدمة هذه الإهانات أنهم أطلقوا عليها لقب "الكيكابو" بدلاً من أن ينادوها باسمها الحقيقي، معتقدين بذلك أنهم سوف يضايقونها بشدة. وبالنسبة إلى عائلة براون، كانت كلمة "كيكابو" تشمل كل ما هو كريه في هذا العالم، ولكنها لم تكن كذلك عند "ضوء الفجر". كانت تعني لها العكس تماماً وكانت مدعاة لبالغ الفخر.

كان هذا مثلاً بسيطاً للاختلاف الكبير في الآراء والمفاهيم بين ممثلي ثقافتين على درجه كبيرة من التباين كانت تحول دون شعور عائلة براون بالرغبة في مقاربة عادات وتقاليد "ضوء

الفجر". كـان يجب أن تمر سنوات قبل أن يولجوا قليـلاً في ثقافة الـ"كيـكابو". وكان ذلك حين أصـيب بيتـر، جد جـون لأبيه، بمرض شديد في الشعب الهوائية. كانت نوبات السعال تحيل لونه دائمـاً إلى البنفـسجي. لم يكن الـهواء يدخل رئتـيـه بسهـولة. وكانت زوجتـه ماري، الملمة بالمعارف الطبيـة لكونها ابنة طبيب، تعلم أن جسم المريض في مـثل هذه الحالات ينتج أكبـر قدر ممكن من كرات الدم الحمـراء؛ ولمقاومة هذا القصور كـان يُنصح بفصد الدم للحـيلولة دون الإصابة بذبحـة أو جلطة؛ لأن أياً منهمـا قد تودي بحياة المريض.

عندئذ، بدأت ماري جدة جون في إعداد العلق الذي ستقوم به بعمل بذلٍ لزوجهـا. كانت تشعر وهي تقوم بذلك بزهو كـبير لكونها ملمة بأفضل المعارف العلمية والتي تسمح لها برعاية صحة أسـرتهـا بطريقـة حـديثـة ومناسـبـة، وليس بالأعـشـاب مـثل الـ"كيكابو"!

يوضع العلق في كوب مع ٩ مم٣ ماء لمدة ساعة. وتغسل منطقة الجسم التي سوف يبذل منها الدم بماء فاتر مسكر. في أثناء ذلك يوضع العلق في قطعـة قـماش نظيـفة من الكتـان أو القطن وتلف به. ثم توضع فـوق المنطقة التي سـوف يعلقون منـها مع سندها جيـداً بقطعة القماش ومـحاولة ضبطهـا حتى لا تلدغ في مكان آخر. وإذا كانت هنالـك رغبة بعد نزعهـا في سحب دماء

أخرى فـيتم ذلـك عن طريق التدليك بماء سـاخن. ولوقف الدم والتئـام الشقوق فـإنها تغطى بصوفـان الحَوَر أو بقطعة قـماش ثم توضع لبـخة من لبابة الخـبز والحليب ولا ترفع إلا بـعد أن تكون التشققات قد التأمت تماماً.

فعلت ماري كل ذلك حرفياً ولكنهم عندما رفعوا العلق عن ذراع بيتر بدأ ينزف ولم يتمكنوا من وقف النزيف. وحين سمعت الـ"كيكابو" صـيحات اليأس المنبـعثة من البيت أسرعـت لترى ما يجـري. وفي لحظة اقتـربت من المريض ومـا إن وضعت إحـدى يديها على الجروح حـتى توقف النزيف. بقي الجميع في ذهول. حينئـذ رجتـهم أن يتركـوها وحدها مع المريض. لم يجـرؤ أحد على الرفض بعد ما شاهدوه لتـوهم. أمضت طوال المساء بجوار حميهـا وهي تغني له أغنيات غريبة وتضع له لبخـة من الأعشاب بين دخان البخور والكوباليه التي أشعلتها. مكثت حتى جن الليل ثم فتحت باب حجرة النوم وخرجت محوطة بسحب من البخور؛ وظهر خلفها بيتر وهو معافى تماماً.

منذ ذلك اليوم أضحت الـ"كيكابو" طبيـبة العائلة واعتُرف بها تماماً كشافية لها معـجزاتها بين الجالية الأمريكية. أراد الجد أن يبني لها مكاناً أكبر لإجراء تجاربها لكنها رفضت. فلم يكن هنالك مكان في البيت أسـمى من معملهـا الصغيـر. وأمضى جون فـيه الجزء الأكبر من طفولته وفترة المراهقة. وعندما دخل الجامعة كف

عن التردد عليه وذلك لأن النظريات الحديثة التي كانوا يدرسونها له هناك كانت تتعارض بشكل كبير مع نظريات جدته ومع ما تعلمه هو منها. وحمل تقدم الطب جون إلى العودة شيئاً فشيئاً إلى المعارف التي لقنتها له جدته في بداياته، والآن، وبعد سنوات كثيرة من العمل والدراسة، كان يعود إلى المعمل مقتنعاً بأنه هناك فقط سوف يجد آخر ما توصل إليه الطب وهو شيء يمكن أن يكون من المعارف العامة ولكنه كان يستطيع أن يختبر علمياً كل الوسائل العلاجية المعجزة التي كانت "ضوء الفجر" قد حققتها.

كانت تيتا تستمتع للغاية برؤيته وهو يعمل. فكانت معه تجد دائماً أشياء لتعلمها واكتشافها. مثلما حدث الآن، فكان وهو يصنع أعواد الثقاب يعطيها درساً بكل أستاذية في الفوسفور وخواصه.

- في عام ١٦٦٩ اكتشف براندت، وهو كيميائي من هامبورج، الفوسفور أثناء بحثه عن أكسيد حجر الفلاسفة. كان يعتقد أنه باتحاد خلاصة البول مع معدن ما يمكن تحويله إلى ذهب. ولكن ما حصل عليه كان جسماً مضيئاً إضاءة ذاتية، كان يسطع بنشاط غير معروف وقتئذ. وبعد وقت طويل تم الحصول على الفوسفور بالتكليس الشديد لبقايا بخار البول في أنبوب ملتو من الطين كان يغمر عنقه في الماء. أما اليوم فيستخرج من عظام الحيوانات التي تحتوي على أكسيد الفوسفور والكلس.

لم يكن الطبيب يغفل، لكونه يتحدث، عملية تحضير الفوسفور. وكان يفصل النشاط الذهني عن الفيزيائي بلا أي مشاكل. كان يستطيع حتى التفلسف في مظاهر عميقة جداً في الحياة دون أن تخطيء يداه أو تتوقفا لحظة. وبذلك يستطيع مواصلة عملية تصنيع الثقاب وهو يتحدث مع تيتا.

- وبعد الحصول على عجينة الفوسفور فإن الخطوة التالية هي تحضير الكرتون لعيدان الثقاب. يذاب في حوالي نصف لتر من الماء رطل من ملح البارود ويضاف إليه قليل من الزعفران ليكسبه لوناً ويتم غسل الكرتون في المحلول. عندما يجف يقطع إلى أشرطة صغيرة يوضع في أطرافها قليل من العجين. ثم تترك لتجف مدفونة في الرمل.

وبينما كانت الأشرطة الصغيرة تجف قام الطبيب بتجربة لتيتا.

- بالرغم من أن الفوسفور لا يحترق مع الأكسجين في درجة الحرارة العادية، فإنه قابل للاشتعال بسرعة كبيرة في درجة حرارة مرتفعة، انظري...

ادخل الدكتور قطعة صغيرة من الفوسفور داخل أنبوب مغلق من أحد طرفيه ومليء بالزئبق. ثم صهر الفوسفور بتقريب الأنبوب من شعلة شمعة. ثم بعد ذلك بواسطة ناقوس تجارب

مليء بغاز الأكسجين قام بإمرار الغاز إلى الناقوس قليلاً قليلا. وعندما وصل غاز الأكسجين إلى المنطقة العليا من الوعاء حيث يوجد الفوسفور المصهور، حدث احتراق نشط وخاطف، خطف بصرهما كما لو كان برقاً.

- كما ترين، كلنا نملك في داخلنا العناصر اللازمة لإنتاج الفوسفور. بل دعيني أخبرك بشيء لم أأتمن عليه أحد. كانت لجدتي نظرية هامة جداً، كانت تقول إذا كنا جميعاً نولد بعلبة كبريت في داخلنا فإننا لا نستطيع أن نشعلها وحدنا، نحتاج، مثلما في التجربة، إلى أكسجين وشمعة. إلا أن الأكسجين، في هذه الحالة، ينبغي أن يستمد من أنفاس المحبوب؛ والشمعة يمكن أن تكون أي نوع من الغذاء، موسيقى، لمسة حب، كلمة، صوت يطلق صمام التفجير وهكذا يشتعل عود الثقاب. نشعر للحظة أننا نشتعل بعاطفة قوية. وينشأ في داخلنا دفء ممتع يبدأ في الاختفاء تدريجياً تبعاً لمرور الزمن، إلى أن يأتي انفجار جديد لينشطه. وعلى كل إنسان أن يكتشف ما هي صمامات تفجره ليستطيع الحياة، فإن الوقود الناتج عن اشتعال أحدها هو الذي يغذي الروح بالطاقة. بمعنى آخر، إن هذا الوقود هو غذاؤها. فإذا لم يكتشف المرء في الوقت المناسب صمامات تفجره الذاتي، فإن أعواد الثقاب تندى ولا نستطيع عندئذٍ إشعال ثقاب واحد.

إذا حدث ذلك فإن الروح تفر من جسدنا وتهيم في دياجير

الظلام محاولة في غير جدوى إيجاد غذاء لذاتها، جاهلة أن الجسد الذي تركته أعزل، مترعاً بالبرودة، هو وحده القادر على إعطائه لها.

كم كانت هذه الكلمات حقيقية! لو كان هنالك من يعلم ذلك فإنها هي.

من سوء طالعها كان عليها أن تعترف بأن ثقابها مليئة بالعفن والرطوبة. لا أحد يستطيع العودة إلى إشعال ثقاب واحد.

والمؤسف أنها كانت تعرف بالفعل ما هي صمامات إشعالها، لكنها في كل مرة تمكنت فيها من إشعال ثقاب كانوا يطفئونه بلا رحمة.

ساور جون القلق، وكأنه يقرأ أفكارها:

- لذلك يجب أن نظل بمنأى عن الأشخاص ذوي الأنفاس الجليدية. إن وجودهم يمكن أن يطفئ أشد النيران كثافة. فتبعاً للنتائج التي عرفناها، كلما ابتعدنا عن هؤلاء الأشخاص، كانت حمايتنا أسهل من نفحته. -وأضاف بدماثة وهو يأخذ إحدى يدي تيتا بين يديه: - هنالك طرق كثيرة للبدء في تجفيف علبة ثقاب رطبة. لكن تأكدي من أن هناك علاجاً لذلك.

سمحت تيتا لبعض الدموع بأن تنساب على وجهها. مسحها جون بمنديله في رقة.

- وبالطبع يجب أيضاً الحرص الشديد عند إشعال الثقاب

على أن يكون عـوداً بعد عـود. لأنه لو أدت عـاطفة قـوية إلى إشتعالهـا كلها مرة واحدة فإنها تحدث بريقـاً قوياً جداً يضيء أبعد مما نستطيع رؤيته بشكل عادي، وعـندئذ يظهر أمامنا نفق مضيء يشير لنا إلى الطريق الذي نسـيناه عند مولدنا والذي ينادينا للعودة إلى اللقاء بأصلنـا الإلهي الضائع. تشتـاق الروح إلى العودة إلى مصدر نشأتها تاركة الجسد جامداً. . . منذ ماتت جدتي وأنا أحاول أن أثبت علمياً هذه النظرية. ربما أحقق ذلك يوماً. ما رأيك؟

ظل الدكتور براون صامتاً، لإعطاء تيتـا وقتاً لتقول شيئاً لو كانت ترغب في ذلك. لكن صمتها كان كالحجر.

- حـسنٌ، لا أريدك أن تملّي من حـديثي. هيـا لنستـرح ولكن قبـل أن نذهب أريد أن أريك لعبـة كنا نمارسهـا أنا وجدتي كثـيراً. كنا نقضي هـنا معظم النهار وكـانت تنقل لي عن طريق الألعاب كل معارفها. كـانت امرأة صموتاً، مثلك. كانت تجلس أمام تلك المدفأة بضفيرتها الكبيرة الملتفة فوق رأسها واعتادت دائماً أن تتكهن بما كنت أفكـر فيـه. كنت أرغب في تعلم ذلك وبعـد إصرار شديد أعطتني أول درس. كانت تكتب دون أن أراها جملة على الحائط بمادة غير مـرئية. وفي الليل عندما كنت أرى الحائط، كنت أتكهن بما كتبته. هل تريدين أن نقوم بالتجربة؟

بهذه المعلومة أدركت تيتا أن المـرأة التي جلست معها مرات عديـدة كانت جـدة جون الراحلة. لم يكن عليـها أن تسـأل في

ذلك. أخذ الدكتور قطعة من الفوسفور بريشة وأعطاها لتيتا.

- لا أريد كسر قانون الصمت الذي فرضته على نفسك. ولكنني سوف أطلب منك كسراً بيننا أن تقومي بمجرد خروجي بكتابة أسباب امتناعك عن الكلام على هذه الحائط، اتفقنا؟ وغداً سوف أتكهن بها أمامك.

وبالطبع أخفى الدكتور على تيتا أن إحدى خصائص الفوسفور أنه سيضيء في الليل ما ستكتبه على الحائط. وواضح أنه لم يكن يحتاج هذه الحيلة لمعرفة ما كانت تفكر فيه، ولكنه كان واثقاً من أنها سوف تكون بداية طيبة لكي تبدأ تيتا من جديد اتصالاً واعياً بالعالم، حتى لو كان ذلك عبر الكتابة. كان جون يشعر أنها أصبحت مهيأة لذلك. بعد أن خرج الدكتور، تناولت تيتا الفوسفور واقتربت من الحائط.

وفي الليل، عندما دخل جون براون المعمل ابتسم برضى عندما رأى مكتوباً على الحائط بحروف ثابتة وفوسفورية لأنني لا أريد. بهذه الكلمات الثلاث كانت تيتا قد بدأت أول خطوة نحو الحرية.

وفي أثناء ذلك، لم تكن تيتا وعيناها مثبتتان على الحائط تستطيع أن تتوقف عن التفكير في كلمات جون: هل من الممكن جعل روحها تنتفض من جديد؟ رغبت في ذلك بكل كيانها.

كان عليها أن تجد أحداً يستطيع أن يشعل فيها هذه الرغبة.

وماذا لو كان ذلك الشخص هو جـون؟ تذكرت الإحساس الممتع الذي سرى في جسـدها عندما أخذها من يدها إلى المعمل. كلا. لم تكن تعرفـه. الشيء الوحيد الذي كانت مـقتنعة به هو أنها لم تكن تريد العودة إلى المـزرعة. لم تكن ترغب في العيش بالقرب من ماما إيلينا بعد ذلك مطلقاً.

الفصل السابع

يوليو

حساء عكاوى الغنم

المقادير:

٢ عكاوى غنم - بصلة - فصان - فصان من الثوم - ٤ ثمرات من الخيتوماتس (كاكا)(١٨) Jitomates - ١/٤ كجم من اللوبيا الخضراء - ٢ ثمرة من البابا- ٤ ثمرات من الفلف الأحمر الحار

(١٨) ثمرة دائرية قطرها من ٦ إلى ٨ سم، لونها احمر وبجلد لامع، وهى تستخدم بكثرة فى عمل أطباق مختلفة و صلصات مكسيكسة مميزة.

طريقة العمل

توضع العكاوى المقطعة مع قطعة من البصل وفص ثوم وملح وفلفل حسب الذوق على النار لتطهى. من المناسب وضع كمية من الماء أكثر من التى تستخدم عادة فى عمل حساء اللحم بالخضار واضعين فى الاعتبار أننا سنعد حساءً. وحساء جيد يعتد به يجب أن يكون كثير المرق دون أن يصل إلى درجة الميوعة.

إن الحساء يمكن أن يشفى أى مرض جسدى أو عقلى، حسناً، كان ذلك على الأقل اعتقاد تشينتشا و تيتا، التى ظلت لوقت طويل لا تصدقه بالشكل الكافى. الآن لم يكن أمامها إلا قبوله كاعتقاد مؤكد.

كان ذلك منذ ثلاثة أشهر، فعندما ذاقت ملعقة من الحساء الذى كانت قد أعدته تشينتشا وحملته لها إلى منزل الدكتور جون بروان، استعادت تيتا كل رشدها.

كانت مستندة إلى زجاج النافذة تنظر من خلالها إلى أليكس

ابن جون وهو يجرى فى الفناء خلف بعض الحمام.

سمعت خطوات جون وهو يصعد الدرج، كانت تنتظر بشوق زيارته المعتادة. كانت كلمات جون هى صلتها الوحيدة بالعالم. لو كان باستطاعتها الكلام لقالت له كم كان مهماً بالنسبة لها وجوده وحديثه. لو كان باستطاعتها النزول و تقبيل أليكس، تقبيلها لابن لم تلده وأن تلعب معه حتى التعب، لوكان باستطاعتها أن تتذكر كيف تطهو حتى لو بيضتين، لو كان باستطاعتها تذوق أى طبق كان، لوكان باستطاعتها... العودة إلى الحياة. أحسَّت برائحة أرجفتها. كانت رائحة غريبة على هذا البيت. فتح جون الباب وظهر بصينية فى يديه و طبق به حساء عكاوى غنم!

حساء عكاوى الغنم! شئ لايمكن تصديقه. وخلف جون دخلت تشيتشا غارقة في دموعها. كان العناق بينهما قصيراً حتى لايبرد الحساء. عندما تناولت أول رشفة اقتربت ناتشا منها وداعبت رأسها وهى تأكل، كما كانت تفعل عند مرضها وهى طفلة، وقبلتها عدة مرات فى جبهتها. كان هناك، بجانب ناتشا، لعب طفولتها فى المطبخ، الخروج إلى السوق، عجة البيض المطهية لتوها، بذور التشاباكانو الملونة، كعك أعياد الميلاد، بيتها، رائحة الحليب المغلى، وحلو القشدة وكوكتيل المشروبات والكمون والثوم و البصل. وكالمعتاد طوال حياتها؛ فإنها ما أن شعرت

بالرائحة المنبعثة من البصل حتى ظهرت دموعها. بكت كما لم تبك من قبل منذ مولدها. كم أفادتها ملازمتها الطويلة لناتشا. كما كان يحدث في الزمن الماضي، وناتشا مازالت على قيد الحياة وقد أعدتا سوياً مرات بلا نهاية حساء العكاوى. ضحكتا وهما تحييان تلك اللحظات وبكتا عند تذكر الخطوات المتبعة لإعداد هذه الوصفة. أخيراً استطاعت أن تتذكر وصفة أكلة، عندما تذكّرت أول خطوة فيها وهى بشر البصلة.

تفرم البصلة و الثوم جيداً ويوضعان على النار ليحمرا فى قليل من الزيت، بعد أن يحمرا يضاف إليهما البابا و اللوبيا الخضراء و الخيتوماتيه المفرومة ويترك الخليط حتى ينضج.

قطع جون هذه الذكريات عندما دخل فجأة الحجرة و هو منزعج نتيجة رؤيته لنهير صغير ينحدر على السلم.

عندما انتبه إلى أنهادموع تيتا شكر تشيتشا وحساء العكاوى الذى أعدته لأنهما استطاعا تحقيق مالم يستطع أى دواء تحقيقه: أن تبكى تيتا بذلك الشكل. حزيناً لتدخله، همّ بالخروج من الحجرة. حال دون ذلك صوت تيتا. ذلك الصوت الطرب الذى لم ينطق بكلمة طوال ستة أشهر.

- جون! لا تذهب.

بقى جون بجوارها وشاهد كيف انتقلت تيتا من الدموع إلى

الابتسام عندما سمعت من فم تشينتشا كل أنواع النكات و المصائب. وهكذا علم الدكتور أن ماما إيلينا قد حرّمت زيارة تيتا. ففى عائلة دى لا جارثا كان يمكن أن تغتفر بعض الأشياء، ولكن لا يغتفر بالمرة عقوق ولا مناقشة تصرفات الأبوين. فلن تغفر ماما إيلينا أبداً لتيتا، مجنونة كانت أم لا، أنها حمّلتها ذنب موت حفيدها. ونفس الشئ مع خيرتروديس التى كانت تجزع من مجرد أن ينطق اسمها. ومما لاشك فيه أن نيكولاس كان قد عاد منذ فترة قصيرة بأخبار عنها.

كان قد وجدها بالفعل تعمل فى بيت دعارة، كان قد حمل لها ملابسها وقامت هى بإرسال رسالة إلى تيتا. أعطتها لها تشينتشا وقرأتها تيتا فى صمت:

عزيزتى تيتا:

لن تعرفى مدى شكرى لك لقيامك بإرسال ملابسى. من حسن الحظ أننى كنت ما أزال هنا واستطعت استلامها. سأترك غداً هذا المكان لأنه ليس مكانى. لاأعرف حتى الآن أى مكان يكون لكنى أعرف أنه فى جهة ما عليّ أن أجد مكاناً مناسباً لى. إذا كنت قد حللت هنا فلأننى كنت أشعر بنار قوية تحرقنى داخلياً، إن الرجل الذى التقطنى فى الحقل قد أنقذ حياتى بالفعل. ياليتنى أقابله ثانية يوماً ما. لقد تركنى لأن قواه كانت تخور بجوارى دون أن يستطيع إطفاء نارى الداخلية. وأخيراً وبعد

أن مر عليّ عدد لانهـائى من الرجال، فإننى أشعر براحة كـبيرة. ربما أعود يوماً إلى البيت وأسنطيع أن أشرح لك الأمر.

أختك التى تحبك خيرتروديس

حفظت تيتا الرسالة فى جيب فستانها ولم تبد أدنى تعليق. وأما أن تشينتشا لـم تسألها أى شئ عن محتوى الرسالة المشار إليها فلأنها كانت قد قرأتها بالطبع كلمة كلمة.

بعد ذلك قام كل من تشينتشا وجون بتجفيف حجرة النوم و السلم و الدور الأرضى.

وعند لحظة الوداع أبلغت تيتـا تشينتشا قـرارها بعدم العودة مطلقاً إلى المزرعة وطلبت منها أن تعرف أمها ذلك. وبينما كانت تشينتشا تعبر للمـرة التى لا حصر لها الجسر الذى بين ايجل باس وبيـدراس نجراس، كانــت تفكر بلا انتبـاه فى أفضل طريقــة لنقل الخبر إلى مـاما إيلينا. أوقف تفكيرها حراس البلدتين فـقد كانوا يعرفـونها منذ أن كـانت طفلة. إضافـة إلى أنهم كانوا يتـسلون برؤيتها وهى تسير من جهة إلى أخرى وهى تحدث نفسها وتقرض عصابة رأسها. شعرت تشينتشا بأن براعتها فى الاختلاق قد شلّت من الرعب.

فأى رواية سوف تحكيها ستغضب بالتأكيد ماما إيلينا. كان عليـها أن تختلق واحـدة بحيث تخـرج بها هي على الأقـل سالمة

تماماً. ولتحقيق ذلك كان عليها أن تجد حجة تبرر بها زيارتها لتيتا. لكن ماما إيلينا لن تنطلى عليها أى منها. هذا لو لم تكن على علم بها أصلاً! كانت تحسد تيتا لأنها امتلكت الشجاعة لعدم العودة إلى المزرعة. ليتها تستطيع فعل نفس الشئ هى أيضاً، ولكنها لم تكن تجرؤ. فمنذ طفولتها وهى تسمع عن سوء عاقبة النساء اللاتى يعصين آباءهن أو أسيادهن ويهربن من البيت. فإن نهايتهن تكون بالتمرغ فى قارعة طريق الحياة الفاجرة الدنس. ظلت تدير وتدير همهماتها في عصبية، محاولة أن تعتصر أفضل كذباتها لهذه اللحظات. ولم تخذلها من قبل مطلقاً. كانت مع همهمتها المائة تجد الكذبة المواتية للمناسبة. كان الكذب عندها ممارسة للنجاة تعلمتها منذ وصولها إلى المزرعة. كان أفضل لها بكثير أن تقول إن الأب إجناثيو جعلها تجمع الصدقات على الاعتراف بأن الحليب قد طرح منها نتيجة لثرثرتها في السوق، فقد كان العقاب الذي تجلبه على نفسها مختلفاً تماماً.

كل شيء قد يكون حقيقة أو كذباً خالصاً. هذا يعتمد على تصديق الإنسان للأشياء إن كانت حقيقيه أم لا. فمثلاً، كل ماكانت تتخيله عن مصير تيتا لم يكن حقيقياً.

فقد أمضت كل هذه الشهور مغمومة وهى تفكر فى الأهوال التى يمكن أن تمر بها وهى خارج مطبخ بيتها، محوطة بمجانين يصيحون ببذاءات و هى مكبلة بقميص المجانين وتأكل من يدرى

أى صنف من الطعام، مـرعوبة وهى خارج البيت. كانـت تتخيل طعام مستشفى للمجانين وحقيـر سينتهى باضمحلالها كأسوأ شىء فى الدنيا. والحـقيقـة أنها وجدت تيـتا فى أحـسن حال، لم تطأ قدمها قط مستشفى مجانين، كان واضحاً أنها تعامل أحسن معاملة فى منزل الدكتور ولم يكن هنالك أى طعـام سئ بهذه الدرجة بل لقد لاحظت عليها زيادة فى وزنها. ولكن الصحيح هو أنها مهما أكلت فـإنهم لم يقـدموا لهـا قط مـثل حسـاء العكاوى. كـانت متأكـدة جداً من ذلك بالفعل، والإ فلمـاذا بكت إلى هذه الدرجة عندما تناولته ؟

مسكينة تيتا، مؤكد أنهـاتبكى الآن من جديد لأنها تركتها، تؤلمها الذكريات والتـفكير فى أنها لن تعود للطهى بجوار تشـينتشا أبداً بعد اليوم. نعم، مؤكد أنها تعانى بشدة. لم يدر بخلدها قط تخيل ماكـانت عليه حقيـقة، جميلة للغـاية، مشرقة بفـستان من الساتان متـموج الألوان بالدانتيل، وهى تتناول العـشاء على ضوء القمـر وتتلقى اعـترافاً بالحـب. كان هذا بالنسـبة لعـقلية مـعذبة ومبالغة كعقلية تشينتشا شيئاً مفرطاً. كانت تيتا جالسة بالقرب من نار موقدة أسفل خنزير يشوى. وكان جون بروان بجوارها يعرض عليها الزواج. كـانت تيتا قد وافقت على مصـاحبة جون فى يوم للشواء فى المزرعة المجاورة احـتفالاً بتماثلها للشـفاء، وكان جون قد أهداها فستـانا رائعاً اشتراه منذ فترة من سـان انطونيو بتكساس

لهذه المناسبة. كان تعـدد ألوانه يذكرها بألوان رقاب الحمام ولكن بدون أي تداعيات مؤلمة خاصة بذلك اليوم البعيد الذي حبست فيه في برج الحمام. كانت بصراحة قد شفيت تماماً ومعدة لبداية حياة جديدة بجوار جون، وطبعا ارتباطهمـا بقبلة حانية. لم تشعر تيتا بنفس الإحساس عندما قبّلها بيدرو، ولكنها كانت تأمل أن تتمكن روحها التى خبت لمدة طويلة من أن تستضاء، شـيئاً فشيئاً، بقرب هذا الرجل الشديد الروعة.

وأخيراً وبعـد أن سارت تشينتشا ثلاث سـاعات اهتدت إلى الجواب! فقد وجدت، كعادتها دائماً، الكذبة المناسبة. ستقول لماما إيلينا إنها وهى تعبر ايجل باس وجدت فى ناصـية متسولة بملابس قذرة وممزقة. وقد اخذتها الشفقة بها فاقتربت منها لإعطائها عشرة سنتات وأنهـا اكتشـفت عندما ارتبكت أنها تيـتا. فقـد فرت من مستـشفى الأمراض العقليـة وهامت على وجهها فى الدنـيا لتدفع بذلك ثمن سبـها لأمها. وقد دعـتها للعودة ولكن تيـتا رفضت. فإنها لم تكن تشعر بأنها جـديرة بالعيش من جديد بجوار أم بهذه الطيبة وأنها طلبت منهـا معروفاً وهو أن تبلغ أمها أنها تحـبها جداً وأنها لم تنسَ بالمرة الكثير مما فعلتـه من أجلها وأنها تعدها بالعودة عندما تصبح امرأة صالحـة إلى جوارها لمنح ماما إيلينا كل الحب و الاحترام اللذين تستحقهما.

كانت تشينـتشا تشعر بفـخر كبير بهـذه الكذبة ولكن لسوء

الحظ لم تحققها. فعند وصولها للبيت فى تلك الليلة هاجمت مجموعة من قطاع الطرق المزرعة. وقاموا باغتصاب تشيتتشا وعندما حاولت ماما إيلينا الدفاع عن شرفها تلقت ضربة قوية على ظهرها أدت إلى إصابتها بشلل نصفى أقعدها عن الحركة من منطقة الوسط حتى أسفل جسدها. وفى تلك الظروف لم تكن فى وضع يسمح لها بتلقى تلك النوعية من الأخبار ولا تشيتتشا كانت فى حالة تسمح لها بإبلاغها بها.

من جهة أخرى كان من الخير أنها لم تخبرها بشئ، فبعودة تيتا إلى المزرعة لدى علمها بالمأساة، فإن كذبة الشفقة كانت ستنكشف أمام الجمال الرائع و القوة اللذين كانا يشعان من تيتا. استقبلتها أمها بالصمت. ولأول مرة نظرت إليها تيتا نظرة ثابتة وسحبت ماما إيلينا نظرتها. فقد كان فى نظرة تيتا بريق غريب.

تجاهلت ماما إيلينا ابنتها. وتبادلتا العتاب بدون كلمات وبهذا انقطع بينهما ما كان يعتبر حتى ذلك الوقت صلة الدم القوية و الطاعة اللتين كانتا تجمعهما و لم تلتئما أبداً. كانت تيتا تعلم جيداً أن أمها تشعر ببالغ الذل لأن عليها أن تقبل عودتها من جديد للبيت، وليس ذلك فقط، بل ولحاجتها إلى رعايتها حتى تستعيد قواها. لذلك حاولت بكل صدق رعايتها على أفضل نحو ممكن. كانت تعد بكل حرص الطعام لأمها وخاصة حساء العكاوى، مع صدق النية في أنه سيساعدها على استرداد عافيتها كما حدث معها.

أفرغت الحساء بعد نضجه مع البابا و اللوبيا الخضراء فى الإناء الذى وضعت فيه العكاوى لتنضج.

بعد إفراغها به يترك الخليط كله ليغلى لمدة نصف الساعة. يرفع مباشرة من على النار ويقدم ساخناً جداً.

أعدت تيتا الحساء وصعدت به إلى أمها فى سلطانية رائعة من الفضة ومغطاة بفوطة من القطن المطرز بالشبيكة تطريزاً جميلاً والمبيض والمنشى تماماً.

كانت تيتا تنتظر بلهفة رد الفعل الإيجابى لأمها عندما تتناول أول رشفة، ولكن حدث العكس، فقد بصقت ماما إيلينا الطعام فوق مفرش السرير وطلبت من تيتا صائحةً أن تبعد عن بصرها مباشرة تلك السلطانية.

- لكن لماذا ؟

- لأنه مرّ بشكل مقزز، لا أريده! ألم تسمعينى ؟

وبدلاً من أن تطيعها أدارت ظهرها محاولة أن تخفى عن نظر أمها حالة الإحباط التى كانت تشعر بها. لم تفهم تصرف ماما إيلينا. لم تكن تفهمها بالمرة. كانت لا تستطيع أن تفهم كيف أن إنساناً، بصرف النظر عن صلة القرابة التى يمكن أن تربطه بغيره، يرفض، لمجرد الرفض، بتعال، وبطريقة فظة للغاية، رعاية ما. لأنها كانت متأكدة من أن الحساء كان لذيذاً. لقد ذاقته هى

بنفسها قبل أن تصعد به لها. كان لايمكن أن يكون غير ذلك، فقد أولته عناية كبيرة و هى تعده.

شعرت أنها غـبية بالفعل لعودتها إلى المزرعـة لرعاية أمها. كـان من الأفضل أن تـظل بمنزل جون بدون الـتفكيـر مطلقـاً فى المصيـر الذى يمكن أن توؤل إليه مامـا إيلينا. ولكن وخز الضمـير ماكـان ليتركهـا. إن الطريقة الوحيـدة للتحرر منهـا بالفعل تكون بموت ماما إيلينا وهو ما لا يُعرف موعده.

كانت تشعر بالرغبة فى الجرى بعيداً، بعيداً جداً لحماية النار الداخلية القليـلة التى جاهد جون للنجـاح فى إشعالهـا من طلعة أمهـا الجليدية. كانت تشـعر و كأن بصقـة ماما إيلينا قـد سقطت بالضبـط فى وسط النار المبتـدئة وأنها أطفـأتها. كانت تعـانى فى داخلها من آثار الانطفاء ؛ كان الدخان يصـعد إلى حلقها ويتجمع حول نفـسه مكوناً عـقدة سـميكة كانـت تغيم لها الرؤيـة وتسيِّل دموعها.

فـتحت البـاب بعنف و جـرت فى نفس اللحظة التى كـان جون قـادماً فـيها للقـيام بزيارته الطبـية. تصـادما فى وقت غـير مـلائم. سندها جـون بين ذراعـيـه فى الوقت المناسب لتـفـادى سقـوطها. أنقذها عناقـه الدافئ من التجمـد، كانت لحظات التى ظلا فيها متـحدين ولكنها كانت كافية لتقـوية روحها من جديد. كانت تيتا قد بدأت فى الشك فيـما إذا كان شعور الأمان و الأمن

الذى كان جون يمنحه لها هو الحب الحقيقى وليس شعور اللوعة و العذاب الذى كانت تشعربه بجوار بيدرو. انفصلت بجهد شديد عن جون وخرجت من غرفة النوم.

- تيتا! تعالى هنا. لقد قلت لك إنك سوف تتحملين ذلك!

- دونيا إيلينا، أرجوك لا تغضبى من ذلك، فهذا يضرك. سوف أبعد تلك السلطانية، ولكن أخبرينى، أليست لديك الرغبة فى تناول الطعام؟

طلبت ماما إيلينا من الدكتور إغلاق الباب بالمفتاح وفى شبه تكتم أفضت له بجزعها بشأن ما يتعلق بمرارة الطعام. أجابها جون بأنه ربما كان ذلك نتيجة تأثير الأدوية التى كانت تتناولها.

- بالمرة يادكتور، لو كان من الدواء لظل هذا الطعم فى فمى وليس هكذا. إنهم يدسون لى شيئاً فى الطعام. والغريب أن ذلك منذ عودة تيتا. أريدك أن تختبره.

اقترب جون، وهو يبتسم أمام التعليمات الخبيثة، ليجرب حساء العكاوى الذى أحضروه لها و الذى كان لم يمس فى السلطانية..

- لنرَ، سنكتشف ماذا يضعون لك فى الطعام. ممم! ياللذة! إن بهذا لوبيا خضراء وبابا وفلفل حار و.. لا أستطيع أن أميز جيداً... أى نوع من اللحم هو؟

- لست فى حالة تسمح بالمزاح، ألا تشعر بطعم مر ؟

- نعم، يا دونيا إيلينا، البتة. لكن إذا أردت سأرسله للتحليل. أنا لا أريدك أن تقلقى. ولكن بينما يرسلون لى بالنتائج يجب أن تأكلى.

- أرسل لى إذن طاهية جيدة.

- لكن كيف ولديك فى المنزل أفضل واحدة ؟ لقد نما إلى علمى أن ابنتك تيتا طباخة غير عادية! يوماً ما سوف أطلب منك يدها.

- أنت تعلم أنها لا تستطيع الزواج! - صاحت وهى أسيرة هياج حانق.

صمت جون. لم يكن من المناسب إثارة ماما إيلينا أكثر. ولاكان متأكداً من اقتناعه التام بأنه سيتزوج تيتا بإذنها أو بغير إذنها. كان يعلم أيضاً أنه لا يبالى كثيراً بمصير تيتا المحال حالياً وأنها حين تبلغ الثامنة عشرة سوف يتزوجان. أنهى زيارته بأن طلب من ماما إيلينا الهدوء واعداً إياها بأنه سوف يرسل لها فى اليوم التالى طاهية جديدة. وفعل ذلك ولكن ماما إيلينا لم تتفضل حتى باستقبالها. فقد كان حوار الدكتور حول طلب يد تيتا قد فتح عينيها.

مؤكد أن هناك علاقة عاطفية بين الاثنين.

كانت تشك منذ وقت طويل أن تيتا كانت ترغب فى

اختـفائهـا من هذه الدنيا لكى تسطيع بذلك الزواج بحـرية، ليس مرة واحدة و إنما ألف مـرة إذا رغبت فى ذلك. كانت تدرك هذه الرغبة بينـهما كحقـيقة مؤكدة، فى كل احـتكاك، كل كلمة، كل نظرة. لكن الآن ليس لديها أدنى شك فى أن تيـتا كانت تحاول أن تسمَّها قليلاً بقليل لتستطيع الزواج من دكتور بروان. وعليه، فإنها منذ ذلك اليـوم رفـضت بشكل قـاطع أن تأكل أى شئ يكون من طهى تيتا. أمـرت تشينتشا بأن تتـولى عملية إعداد طعـامها. هى فقط ولا أحد غيرها كان يستطيع تـقديم الطعام لها وكان عليها أن تذوقه أمامها قبل أن تقدم ماما إيلينا على أكله.

لـم يؤثر الأمر الجديد على تيتا فى شئ بل على العكس كان راحة بالنسبـة لها تكليف تشينتشا بالواجب الشـاق الخاص برعاية أمـها وهكذا يكون لديهـا مطلق الحـرية للبدء فى تطريز مـلاءات جهاز عرسـها. كانت قد قررت الزواج من جون عندمـا تتحسن حالة أمها.

كانت تشينتـشا هى التى وجدت نفسها مـتأثرة بهذا الأمر. فقد كانت ماتزال تستعيد قواها البـدنية و الانفعالية نتيجة الاعتداء الوحشى الذى استـهدفـها. وبالرغم من أنها كـانت تبدو ظاهرياً مستفـيدة، لأنها لن يكون عليها سوى طهى الطـعام و حمله لماما إيلينا، إلا أنها لـم تكن كذلك. استـقبلت النبأ فى البداية بسرور، ولكن مـا أن بدأ الصراخ والتـأنيب حـتى تنبهت إلى أنه لاتوجـد

حلاوة بدون نار. وكـان أن ذهبت يوماً إلى الدكتـور جون بروان ليزيل عنهـا خيوط الجـرح التي اضطر إلى عملهـا لها لإصابتـها بتهتك خلال الاغتصاب، فقامت تيتا بإعداد الطعام مكانها.

اعتـقدتا أن بإمكانهمـا خداع ماما إيـلينا بدون أى مشكلة. ولدى عودتها قامت تشـينتشا بحمل الطعام لها وذاقتـه كما كانت تفعل دائماً ولكنها عندما قدمته لها لتأكله هى، اكتشفت ماما إيلينا فى الحـال الطعم المر. فـألقت بالـسلطانيـة على الأرض بغـضب وطردت تشينتشا من البيت لمحاولتها الاستهزاء بها.

استغلت تشينتـشا هذه الحجة لقضاء بضعـة أيام فى قريتها. كانت تحـتاج إلى نسـيان حادثة الاغـتصـاب ووجود مامـا إيلينا. حاولت تيتا أن تقنعها بعدم الاهتمام بما قالت ماما إيلينا.

فإنها تعرفها منذ سنوات بعيدة و تعرف تماما كيف تسوسها.

- نعم يابنتى، لكن لماذا أجلب على نـفسى مرارة أكـثر إذا كان لدى ما يكفينى! اتركينى أذهب، لاتكونى صعبة.

عانقتـها تيتا وواسـتها كمـا كانت تفعل معـها كل ليلة منذ عودتها. لـم تكن تجد الوسيلة التى تخرج بها تشـينتشا من اكتئابها وتفكيرها فى أن أحـداً لن يتزوج منها بعد الاعـتداء العنيف الذى واجهته من جانب قطاع الطرق.

- تعلمين كيف هـم الرجال. جمـيعهم يقـولون إن الطعام البايت ولا فى الآخرة، إلا فى هذا!

وأمام يأسها، قررت تيتا أن تتركها تذهب. فقد كانت تعلم عن تجربة أنها لو ظلت فى المزرعة و بالقرب من أمها فلن يكون أمامها أى خلاص. البعد فقط هو الذى كان يمكن أن يشفيها. أرسلتها فى اليوم التالى مع نيكولاس إلى قريتها.

وجدت تيتا نفسها فى حاجة إلى تأجير طاهية. ولكن هذه غادرت البيت بعد ثلاثة أيام من وصولها. لم تتحمل الطلبات الملحة ولا المعاملة السيئة لماما إيلينا. عندئذ بحثوا عن أخرى استمرت يومين فقط وأخرى وأخرى حتى لم تعد هنالك امرأة في القرية تريد العمل في البيت. كانت أكثر من بقين امرأة صماء بكماء: تحملت ١٥ يوماً، ولكنها ذهبت؛ لأن ماما إيلينا قالت لها بالإشارة إنها غبية.

حينئذ لم يكن أمام ماما إيلينا خيار آخر سوى أن تأكل مما كانت تطهوه تيتا، ولكنها كانت تفعل ذلك مع الإجراءات الوقائية اللازمة. فبجانب مطالبة تيتا بتذوق الطعام قبلها، كانت تطلب منها دائماً كوباً من الحليب الدافئ مع كل وجبة وكانت تشربه قبل أن تتناول الطعام لمقاومة آثار السم المر والذى، حسب رأيها، تشعر به مذاباً فى الطعام. أحياناً كانت هذه الوسيلة كافية، ولكن فى أوقات أخرى كانت تشعر بآلام حادة فى البطن، عندئذ كانت تتناول، إضافة إلى الحليب الدافئ، جرعة نبيذ إيبيكا كوانا وأخرى من بصل الفأر كمقئ. ولكن ذلك لم يدم وقتاً طويلاً. بعد شهر

ماتت ماما إيلينا ضـحية آلام رهيبة مصحـوبة بتقلصات وتشنجات شديدة. فى البداية لم يفـهم كل من تيتا وجون أسبـاب هذه الميتة الغريبة، فما عدا الشلل النصفى لم تكن ماما إيلينا تعانى طبياً من أى مرض. ولكن عند فـحص مكتبـها وجدا رجـاجة نبيـذ أيبيكا كوانا واستنتجا أن ماما إيلينا كانت بالتأكيد تتناوله فى الخفاء. وقد أخبـر جون تيـتا بأن هذا المقئ قوى جـداً إلى درجة التـسبب فى الموت.

لم تسـتطع تيـتا أن تبـعـد عن بصرها وجـه أمـها خـلال التكفين. فـحـتى الآن، منذ وفـاتها، تراهـا لأول مرة قـد بدأت تفهمها. فـمن يراها كان يمكن أن يخلط نظرة الامتنان تلك بنظرة ألـم، ولكن تيتا لـم تشعر بأى ألـم. فـالآن فقط تعرف معنى جملة " باردة مثل ورقة خـس"؛ فهكذا كانت تشعر ورقـة الخس بأنها غريبة وبعيدة أمام انفـصالها المفاجئ عن الورقة الأخرى التى نمت معهـا. كان يبدو غير منطقى أن يُنتظر من ورقـة خس أن تتعذب لانفصـالها عن الأخرى التى لم تسـتطع البتة التـحدث معـها ولا إقـامة أى نوع من الاتصـال، والتى لـم تعـرف عنهـا إلا أوراقهـا الخارجية جاهلة أنه كانت بداخلها خفايا أخرى كثيرة.

لـم تكن تستطيع تخيل ذلـك الفم ذا الكشرة المرة وهو يقبِّل بحـرارة و لاهذين الخـدين الأصـفرين الآن، وهمـا مـوردان من حرارة ليـلة حب. كان ذلك مـا حدث بدون شك يومـاً ما. ولم

تكن تيتـا قد اكتشفـتـه إلا الآن، متأخـراً جداً وبالصدفة البـحتة.
عندما كـانت تيتا تضع لهـا ملابسهـا للصلاة عليهـا، أخذت من وسطها سلسلة المفاتيح الكبيـرة التى كانت تلازمها كسلسلة منذ أن وعـيت. كل شئ فى البيت كـان مـغلقاً بمفـتاح و تحت مـراقبـة صارمة. لم يكن أحد يسـتطيع إخراج حتى فنجان من السكر من خزانة الأطعمـة دون إذن ماما إيلينا. كانت تيتا تعـرف كل مفاتيح الأبواب و المخابئ. ولكن بالإضـافة إلى سلسة المفاتيح الكـبيرة، كانت مـعلقة فى رقـبتهـا حلية صـغيرة على شـكل قلب، وكان بداخلها مفتاح صغير لفت نظرها.

ربطت فوراً بين المفتاح و القفل الدال عليه. فقد كانت يوماً تلعب الاسـتغـمـاية واختـبـأت فى دولاب ملابس مـامـا إيلينا. واكتـشفـت بين الملاءات صندوقاً صـغيـراً. وبينما كـانت تنتظر البحث عنـها حاولت فـتحه ولكن دون جـدوى لأنه كان مـغلقاً بمفتاح. وبالرغم من أن ماما إيلينـا لم تكن تلعب الاستغماية إلا أنها هى التى وجدتها عندما فـتحت الدولاب. كانت تريد إحضار ملاءة أو شيء كهذا و ضبطتها متلبسة. عاقبتها فى الشونة، وكان العـقاب هو فـرط مائة قـولحة. شـعـرت تيتـا أن الخطأ لم يكن يستوجب عقاباً بهذا الحجم، فالاختباء بالحذاء بين الملاءات النظيفة لم يكن يسـتحق كل ذلك. ولكنهـا الآن وأمها مـيتـة، وهى تقرأ الخطابات التى كان يحتويهـا الصندوق، تنبهت إلى أنها لم تعاقب

لذلك، ولكن لأنهـا حاولت مـعـرفة مـايحتـويه الصندوق، وأن العقاب كان بالفعل مناسباً.

فتـحت تيـتا الصندوق بحب اسـتطلاع مريض، كـانت به مـجمـوعة مـن الخطابات من شخص يـدعى خوسـيه تـريبينيـو ويوميـات. كانت الخطابات موجـهة إلى ماما إيليـنا. رتبتها تيـتا حسب تواريخها وعرفت قصة الحب الحقيـقية لأمها. كان خوسيه هو حب حيـاتها. لم يسمحـوا لها بالزواج منه لأن بعروقـه دماء سوداء. وكانت مستعـمرة من السود قد هربت من الحرب الأهلية فى الولايات المتـحدة الأمـريكية ومن خطر إعـدامهـا، ووصلت لتستقر بالقرب من القرية. وكان خوسيه نتاج العلاقة غير الشرعية بين خوسيه تريـبينيو الأب وزنجية جميلة. و عنـدما اكتشف والدا مامـا إيلينا العلاقـة التى كانت بين ابنتهـما وهذا المولَّد، أجـبراها وهما منزعجان، على الزواج فوراً من خوان دي لا جارثا، أبيها.

هذا التصرف لم يسـتطع أن يمنعها حتى وهى مـتزوجة من الاستمـرار فى مراسلة خوسيه سـراً ويبدو أنهما لم يكتفـيا بهذا النوع من الاتصال بل، وحـسب تلك الرسائل، فإن خـيرترودیس كانت ابنة خوسيه وليست من أبيها.

حاولت مامـا إيلينا الهرب مع خوسيـه عندما علمت بذلك الحمل، ولكن فى الليلة التى كـانت تنتظره فيها مختـبئة فى ظلام الشرفة ظهر طيف رجل مجـهول، دون سبب ظاهر، وتحت ستار

الليل هاجم خوسيه وأزاحه عن هذه الدنيا. وبعد معاناة كبيرة استسلمت ماما إيلينا للعيش بجانب زوجها الشرعى. وكان خوان دي لاجارثا يجهل لسنوات طويلة كل هذه القصة، ولكنه علم بها عند مولد تيتا بالضبط. كان قد ذهب إلى الحانة للاحتفال مع بعض الأصدقاء بميلاد ابنته الجديدة و هناك نقل له المعلومة لسان مسمم. أصابه الخبر الرهيب بسكته قلبية. هكذا كان الأمر.

كانت تيتا تشعر بالذنب لأنها شاركت فى هذا السر. لم تكن تعرف ماذا تفعل بهذه الرسائل. فكرت فى إحراقها ولكنها لم تقوَ على ذلك ؛ فإذا كانت أمها لم تجرؤ عليه فهى أقل منها جرأة. حفظت كل شئ كما وجدته ووضعته مكانه.

بكت تيتا بكاء حقيقياً خلال دفن أمها. ولكن ليس على المرأة الجافة التى كبتتها طوال حياتها، وإنما لذلك الكائن الذى عاش حباً محبطاً. وأقسمت أمام قبرها على أنها لن تتخلى أبداً عن الحب، وليكن ما يكون. فى تلك اللحظات كانت مقتنعة بأن حبها الحقيقى هو جون. الرجل الذى وقف بجانبها يساندها بلا قيد أو شرط. ولكنها ما أن رأت مجموعة من الناس تقترب من الضريح وميزت من بعيد صورة خيال بيدرو بصحبته روساورا لم تعد واثقة بنفس الدرجة من مشاعرها.

كانت روساورا التي تبدو حاملاً وبطنها كبير، تسير ببطء.

عندما رأت تيـتا اقتربت منها و عـانقتها و هى تبكـى بحزن. كان يليهـا فى الدور بيدرو. فما أن عـانقها بيدرو حتـى أرتج جسدها مثل الجـيلاتين. باركت تيتـا أمها لأنها أعطتـها الذريعة لتـستطيع العودة إلى رؤية ومعانقة بيدرو. بعد ذلك مباشرة انسحبت فجأة. لم يكن بيدرو يسـتحق أن تحبـه بهذه الدرجة. لقـد أظهر ضعـفاً ببعده عنها وهى لن تغفرله ذلك.

أخذ جون تيتا من يدها أثنـاء العودة إلى المزرعة، وأمسكته تيتا بدورها من ذراعه لتؤكد أن ما بينهـما شيئ أكثر من الصداقة. كانت تريد أن تسبب لبيدرو نفس الآلام التى كانت تشعر بها دائماً عندما كانت تراه بجوار أختها.

كان بيدرو يراقـبهما و عـيناه مطبقتان. لم يكن يعـجبه في شئ رفع الكلفة التى كان جون يقترب بها و التى كانت تيتا تحدثه بهـا فى أذنه. ما الذى كـان يجرى ؟ إن تيـتا له ولن يسـمح بأن تؤخذ منه، والآن أكثر من أى وقت مـضى بعد أن زال أكبر حائل أمام ارتباطهما: ماما إيلينا.

الفصل الثامن

أغسطس

تشامباندونجو Champandongo

المقادير:

ربع كجم من لحم الغنم المفروم - ربع كجم من اللحم[19] المفروم - ٢٠٠ جم من الجوز - ٢٠٠ جم من اللوز - بصلة - ثمرتان من الخيتوماتس (كاكا) - سكر - ربع كجم من الكريمة - نصف كجم من الجبنة المانتشيجو[20] - ربع كجم من المولية - كمون - حساء دجاج - عجة ذرة - زيت

(١٩) ذكر لحم خنزير
(٢٠) نوع مشهور من الجبن الرومى ينتسب إلى إقليم «لامانشا» بإسبانيا

طريقة الصنع

تفرم البصلة رفيعاً و تحمر مع اللحم فى قليل من الزيت. وبينما تحمر يضاف إلى الخليط الكمون المطحون و ملعقة سكر.

وكالعادة، كانت تيتا تبكى وهى تخرط البصلة. كانت الرؤية أمامها غائمة إلى درجة أنها جرحت أحد أصابعها بالسكين دون أن تنتبه. أطلقت صيحة غيظ وكما لو لم يقع شئ واصلت إعداد التشامباندونجو. فى هذه اللحظات لم يكن باستطاعتها التوقف و لو ثانية لتداوى الجرح. فاليوم يأتى جون ليلاً ليطلب يدها وكان عليها أن تعد عشاءً طيباً فى خلال نصف ساعة فقط. لم تكن تيتا تحب الطهى بتعجل.

كانت تعطى الطعام دائماً الوقت المناسب و اللازم لطهيه. وكانت تحاول أن تنهى كل أعمالها حتى تصبح هادئة بما فيه الكفاية فى المطبخ لتستطيع إعداد أطباق لذيذة ومتقنة. لكنها الآن

متأخرة جـداً إلى درجة أن حركاتها كانت قلقة ومـتعجلة وبالتالى كانت تتعرض إلى هذا النوع من الحوادث.

كان السـبب الرئيسى فى تأخـرها ابنة أختـها المعـبودة التى ولدت قبل أوانها بثلاثة أشهر. مثل تيتا، بشكل مبكر. فقد تأثرت روساورا بموت أمهـا مما أدى إلى تبكير ولادة ابنتها وبقـيت عاجزة عن إرضاعـها. وفى هذه المرة لم تسـتطع تيتا ولـم تـشأ تبنى دور المرضعة مثلما حدث مع ابن أخـتها بل وأكثر من ذلك، لم تحاول حـتى ذلك، ربما نتيـجة التـجربـة المدمرة التى مـرت بها عندمـا أبعـدوها عن الطفل. عـرفت الآن انه لا يجب إقـامـة علاقـات حميمة مع اطفال ليسوا ابنائها.

على العكس فضلت أن توفـر لاسبرانثـا نفس الغذاء الذى كانت ناتشا قد استخدمته معها عندما كانت طفلة لا حول لها ولا قوة: آتوليه[٢١] وشاى.

تم تعميدها وأطلق عليها اسم اسـبرانثا بطلب من تيتا. كان بيدرو مـصمماً على أن تحـمل الطفلة نفس اسم تيتا، خـوزيفينا. ولكنها رفـضت نهائياً. لـم تـكن تشاء أن يؤثر الاسم على مصـير الطفلة. فكفـاها أن أمـهـا عـانت بميـلادها من عـدة اضطرابات

(٢١) Atole شراب سميك مكون من الذرة المطحونة ودقيق أرز.. إلخ مداب ومغلى فى ماء أو حليب. يمكن أن يحتوى على مواد أخرى مثل السكر، و القرفة، الشيكولاتة، عسل أو عصير لإكسابه طعمًا أكثر

اضطرت جون إلى اجراء عملية عاجلة لهـا لإنقاذ حياتها ولتصبح عاجزة عن الحمل مرة أخرى.

شرح جون لتيتا أنه أحياناً، لأسباب غير عادية، فإن المشيمة لا تنزرع فقط فى الرحم، وإنما تستقر فيه وعليه فإنه فى اللحظة التى يولد فيها الطفل فإن المشيمة لا يمكنها الانفصال. تكون مثبته بقوة بحـيث أنه لو حاول أحد غـير خبـير مساعـدة الأم وجذب المشيمـة مستخدماً الحـبل السرى فإن الرحم يخرج معـها بأكمله. عندئذ يجب التدخل الجـراحى الفورى لإستئصـال الرحم لتصبح هذه الإنسانة غير قادرة على الحمل بقية حياتها.

لـم يكن التدخل الجراحى لروساورا بسبب عدم خبرة جون، وإنما لأنه لم يكن هناك أى خيار آخر يمكن به فصل المشيمة وعليه تصبح اسـيرانشـا هى ابنتهـا الوحيدة، والصـغرى ولزيادة همـها، أنثى!. وهو ما يعنى فى التقليد العائلى أنها المعنية برعاية أمهاحتى نهاية أيامها. لعل اسبرانشا قد تشبثت ببطن أمها لأنها كانت تعرف مسـبقاً ما ينتظـرها فى هذه الدنيا. كانت تيـتا تصلى من أجل ألا يخطر ببال روساورا فكرة تخليد هذا التقليد القاسى.

ولهذا، لم تشأ إعـطاء أفكار خاصة باسمهـا وظلت تضغط ليل نهار حتى توصلت إلى أن يسموها اسبرانشا.

كانت هناك بلا شك مـجموعة من المصـادفات شاركت فى أن يكون مصير هذه الطفلة يشبه مصير تيتا، مثلاً، للصدفة البحتة

كانت تقضى معظم وقتها فى المطبخ، لأن أمها لا تستطيع رعايتها، وكانت خالتها تحاول العنايه بها فى المطبخ فقط، وهكذا بين الشاى و الآتوليه كانت تنمو بكل صحة بين روائح ومذاقات هذا المكان الفردوسى والدافئ.

أما من كانت لا يعجبها إلى حد كبير ما يمكن أن نطلق عليه هذه العادة فكانت روساورا، كانت تشعر أن تيتا تأخذ منها ابنتها لوقت طويل من جوارها وعندما تماثلت للشفاء تماماً من العملية طلبت بأن يعيدوا إليها اسبرانثا بعد تناول طعامها مباشرة إلى حجرتها لتنام بجوار سريرها، حيث مكانها. جاء هذا الوضع متأخراً جداً؛ لأن الطفلة كانت حينئذ قد تعودت على أن تظل فى المطبخ ولم يكن من السهولة بمكان إخراجها منه. كانت تبكى كثيراً عندما تشعر أنها تبتعد عن حرارة المدفأة، إلى درجة أن تيتا كانت تقوم بحمل الطعام الذى تقوم بطهيه إلى حجرة النوم لتخدع بذلك الطفلة بحيث أنها عند شم و الشعور بقرب حرارة الوعاء الذى تطهو فيه تيتا منها تستطيع مصالحة النوم. عند ذلك كانت تيتا تعيد إلى المطبخ الحلة الكبيرة وتواصل طهى الطعام.

لكن الطفلة اليوم كانت تتمتع ببصيرة، و محتمل أنها كانت تتنبأ بأن خالتها تفكر فى الزواج ومغادرة المزرعة و تصبح هى بغير هدى، وذلك لأنها لم تتوقف طوال اليوم عن البكاء. كانت تيتا تصعد و تهبط الدرج و هى تحمل أوانى بها طعام من مكان

لآخر. حـتى وقع ما كان يجب وقوعـه: " لا تسلم الجرة في كل مرة ".

فعندما كانت تهبط للمرة الثامنة تعثرت و سقطت الحلة وبها الخلطة الخاصة بالتشامباندونجو وتدحرجت على الدرج إلى أسفل. وتبددت مـعها أربع سـاعات من العمل المـكثف فى فرم و طحن عناصر هذه الأكلة.

جلست تيتا فوق إحدى الدرجـات ورأسها بين يديها لتلتقط أنفاسها. فقد استيقظت منذ الخامسة صباحاً حتى لايسرقها الوقت وذهب كل شيء هباءً، عليها الآن أن تعد الخلطة من جديد.

لـم يحسن بيدرو اخـتيار اللحظة المناسبة للحـديث مع تيتا، ولكنه، مسـتغلاً أنه وجـدها على السلم، تبدو ظاهرياً أنهـا تأخذ قسطاً من الراحـة، اقترب منهـا بهدف الحديث مـعها حـول عدم زواجها من جون.

- تيتا، كنت أريد أن أقول لك إننى أعتبر فكرة زواجك من جـون خطأً مـؤسفـاً. مـازال الوقت أمـامك لعـدم ارتكاب تلك الغلطة، لا تقبلى ذلك الزواج من فضلك!

- بيدرو لبس لك الحق فى أن تقـول لى ماعلىّ أن أفعل أو لا أفعل. عندما تزوجت لم أطلب منك ألا تفعل، بالرغم من أن ذلك الزواج دمرنى. لقد صنعت حياتك، دعنى الآن أصنع حياتى فى سلام.

- بسبب ذلك القرار الذى اتخذته بالذات و الذى أندم عليه تماماً، أطلب منك التروى. إنك تعـرفين تماماً السبب الذى ربطنى بشقيفتك، ولكن ثبت أنه كان تصـرفاً غير مجد ولم يؤتِ هدفه، إننى أريالآن أنه كان من الأفضل الهروب معك.

- لقد فكرت متأخـراً جداً، لم يعد هناك حل لذلك الآن. أتوسل اليك ألا تعود أبداً إلى مضايـقتى ولا أن تتجرأ على تكرار ما قلته لى تواً، فيـمكن أن تسمعك أختى، وليس هناك داع لخلق إنسـان آخر تعـيس فى هذا البيت. عن إذنك! آه وأنصـحك بأنه عندما تحب فى المرة القادمة، لا تكن جباناً بهذه الدرجة!

اتجهت تيتا وهى تحمل الحلة بغضب نحو المطبخ.

أنهت صنع خلطة المـوليه بين همـهـمـات وتقليب الأوانى وبينـمـا كـانت تلـك على النار حـتى تنـضج تابعت أعـداد التشامباندونجو.

عندما يـبدأ اللحم فى الاحـمرار يضاف إليـه الخيـتومـاتيه المطحونة مع الأترنج المسكر و الجوز واللوز المقطع قطعاً صغيرة.

اختلطت حرارة البخار المتصاعد من الإناء مع الحرارة المنبعثة من جسد تيتا. كانت تشعر بالغضب الداخلى و هو يعمل ماتفعله الخميرة فى عجينة الخبز. كانت تشعربه ينمو بسرعة حتى يغمر آخر فجوة يمكن لجسدها أن يحتويها ومثل الخميرة التى تكون في وعاء

صغير، فإنها تطفح إلى الخارج على شكل بخار عبر الأذنين وكل مسام جسمها.

هذا الغضب الهائل كـان سببه في جانب قليل منه حـديثها مع بيدرو، ومن جهه أخـرى بسبب الأحداث والعمل في المطبخ، أما الجانب الأكبر المسبب لهـذا الغضب فهى كلمات روساورا التى قالتها قبل أيام. كانوا مجتمـعين في حجرة نوم أختها كلُ من تيتا وجون و أليكـس، كان جون قـد اصطحب معـه ابنه أثناء الزيارة الطبية، فقد كان الطفل قد أوحشه للغاية وجود تيتا في بيته وكان يريد رؤيتها من جديد. أطل الطفل على مهد الطفلة ليتعرف على اسبرانثا وكـان معجباً جداً بجمـالها. ومثل كل الأطفال في ذلك السن الذين ينطلقون على سجيتهم، قال بصوت عال:

- إسمع يابابى، أريد أن أتزوج أنا أيضاً، مثلك. ولكن من هذه الطفلة الصغيرة.

ضـحك الجمـيع من النكـته الظريفـة ولكن عندمـا قـالت روســاورا لأليكـس إن ذلك لايمكن أن يـكون لأن تلك الطـفلة الصغيرة مكرسـة لرعايتها إلى يوم وفاتها، شعرت تيـتا أن شعرها قد ازبأر. فروساورا فقـط هى التى كان يمكن أن يخطر ببالها هول كهذا، تخليد تقليد غير إنسانى بالمرة.

ليت فم روساورا قد احترق! وما استطاع بالمرة تسريب تلك

الكلمات المنفرة والنتنة و الوهنة كريهـة الرائحه والبذيئة و المقززة. كان من الأفضل أن تبـتلعها، وأن تحتفظ بها داخل أحـشائها حتى تتعفـن وتدودٌ. وليتها تعـيش طويلاً حتى تستطيع منع أختـها من تحقيق نوايا مشئومة بهذه الدرجة.

أخيـراً، لم تكن تعرف لماذا تفكر في تلك الأشـياء المكدرة للغاية في هذه اللحظات التى يجب أن تكون بالنسبة لها أسعد أيام حياتها، ولم تعرف لماذا كانت تشعر بهذه الدرجة من الضيق. ربما نقل لهـا بيدرو عـدوى مزاجه السئ. فـمنذ أن عادا إلـى المزرعة وعلم أن تيتـا تفكر في الزواج من جون وقد ركبـه ألف عفريت. لم يكن أحد يستطيع حتى توجـيه الكلام له. كان يحاول الخروج مبكراً جـداً ويجوب المزرعة وهو يمتطى حصـانه. ويعود في الليل وقت العشاء تماماً ويغلق على نفسه حجرة نومه بعد ذلك مباشرة.

لـم يجد أحد تفـسيراً لهذا السلوك، اعتقـد البعض أنه كان نتيجة تأثره بأنه لن يصـبح لديه أبناء آخرون. على كل، كان يبدو أن الغـضب يسيطـر على أفكار و تصرفـات كل من في البـيت. كانت تيـتا في حالـة "غليان" بمعنى الكلمة. كـانت تشعـر بأنها سريعـة الغضب. حتى هديل الحمـام، أحب شىء لديها، والذى أعادوا تربيته فـوق سطح البيت و الذي سبب لها متعـة كبيرة يوم عودتها، كـان يضايقها في تلك اللحظة. كانت تشعـر بأن رأسها سوف ينفجر مثل الفشـارة. وفى محاولة لمنع ذلك ضغطت بشدة

على رأسهـا بكلتا يديهـا. شعرت بـخبطة ضعـيفة علـى كتفـها فانتبهت منفعلة ولديها الرغـبة في ضرب من فعل ذلك مهما يكن لأنه من المؤكد قد جاء ليسلبهـا المزيد من وقتها. ولكن كم كانت مفاجئـتها عندما رأت تشينتشا أمامـها. تشينتشا بذاتها، كطبيـعتها دائماً، مبتسمة وسعيدة. لم تسعد في حياتها بالمرة برؤيتها كالآن. ولا حتى عندما زارتها في بيت جون. كانت تشينتشا كالمعتاد تهبط من السماء في اللحظة التى كانت تيتا فيها في أشد الحاجة إليها.

كانت شيـئاً مفاجئـاً أن ترى تشينتشا وقـد تعافت، بعد أن رأتها وهى راحلة في حالة من الهم و اليأس مما حدث لها.

لم يكن هناك أى أثر للصدمـة النفسية التى تعـرضت لها. كان الإنسـان الذي استطاع إزالة الصـدمة بجوارها وقـد ارتسمت على وجهـه ابتسامة بريئـة وعريضة. كان يبـدو بوضوح أنه رجل مستـقيم وصامت، حسن، لكن من يـدرى؛ لأن ماحدث هو أن تشينتشـا لم تسمح له أن يفتح فمه إلا ليـقول لتيتا: " خـيسوس مارتينيث في خدمـتك ". بعد ذلك احتكرت تشينتشا، كـالمعتاد، الحوار تماماً واستطاعت خـلال دقيقتين، محطمة رقماً قـياسياً في السرعة، أن تطلع تيتا على كل أحداث حياتها:

كان خـيسوس أول حب في حـياتها ولم تـنسه قط. ولكن والدى تشينتشا عارضا تمامـاً ذلك الحب. ولولا عودة تشينتشا إلى

قريتهـا ورؤيتها مرة ثانيـة ما استطاع بالمرة أن يجدها. ولـم يهمه بالطبع أن تشينتشا ليست عذراء وتزوج منها مباشرة. وقد عادا إلى المزرعة معاً بهدف بدء حياة جـديدة بعد أن ماتت ماما إيلينا، وقد فكرا في انجاب أولاد كثيرين وأن يحققا السعادة الدائمة...

توقفت تشينتشا لالتقاط أنفـاسها فقد ازرّق لونها واستغلت تيتا هذا التوقف لتقول لهـا، ولكن ليس على نفس درجة سرعتها وإنما قـريبة منهـا، أنها سـعدت بعـودتها للمـزرعة وانهـم سوف يتحدثون في أمر التعاقد مع خـيسوس وأن اليوم سيتم طلب يدها وأنها ستتزوج قريباً وأنها لم تنه إعداد العشاء وطلبت منها أن تقوم هى بذلك لتسـتطيع أن تأخذ حـماماً مـهدئاً من الماء البـارد جداً وهكذا يتحـسن مظهرها لدى وصول جـون، و الذي سيكون بين لحظة وأخرى.

طردتها تشينتـشا بالفعل من المطبخ و تولت مبـاشرة الأمر. فقـد كانت حـسب قولهـا تستطيع عـمل التشـامبا نـدونجو وهى معصوبة العينين ومكبلة اليدين.

عندمـا ينضج اللـحم و يجف مـرقـه، يتم بعـد ذلك قلى العجة في الزيت و لكن ليس قلياً تاماً حتى لا تصبح جامدة. بعد ذلك نضع في الوعاء الذي سيوضع في الفرن طبقة من الزبد حتى لا يلتصق الطعـام، ثم طبقـة من العجة وفـوقها طبـقة من اللحم

المفـروم ثم في النهـاية خلطـة المولـيـه و يغطى بشـرائح الجبن، و الزبد. تكرر هذه العملية عدة مرات حتى يمتلئ الوعاء. يوضع في الفرن و نخرجه عندما يذوب الجبن و تـصبح العجة طرية. وتقدم مع الأرز و الفاصوليا.

كم شعـرت تيتا بالراحـة لمعرفتـها أن تشيتـشا في المطبخ. فليس أمامها الآن سوى الاهتمام بعنايتـها الشخصية. عبرت الفناء مثل عصفـة ريح و بدأت تستحم. كان أمامها عـشر دقائق فقط، لتـستـحم وتضع مـلابسهـا و تتـعطر وتصفف شـعـرها بالشكل المناسب. كانت في عجلة شديـدة إلى درجة أنها لم تر بيدرو في الطرف الآخر من الفناء الخلفي وهو يركل بقدمه الحجارة.

خلعت تيتا ملابسها ووضعت نـفسها في المنضحة و جعلت الماء البارد يسـقط فوق رأسـها. يا للراحة التـى شعرت بهـا! فو العينان مغلقتان تصبح الأحاسيس مرهفة، وكانت تستطيع الشعور بكل قطرة مـاء بارد تتصـفح جسدهـا. شعرت بحـلمتى نهـديها تتصلبان كالحجارة عند تلامسهما للماء. كان هناك خيط ماء يسقط على ظهرهـا ثم يهبط مثل شـلال عند منحنى إليتـها المسـتدرين والبارزين، ماراً بساقيها القـويتين حتى قدميها. بدأ الضيق يذهب عنها شيئاً فشيئـاً واختفت آلام الرأس. وفجأة بدأت تشعر أن الماء كان يسخن وتزداد سـخونته شيئـاً فشيئاً حـتى بدأ يحرق جلدها. كان هذا يحـدث أحياناً في فـصل الحر عندمـا كانت ميـاه الخزان

تسخن بقــوة أشعة الشمــس طوال النهار، ولكن ليس الآن أولاً؛ لأنه لم يكن فصل الصـيف وثانياً لأن الليل قد بدأ في الهــبوط. فتحت عينيها مذعورة خوفاً من أن تحترق حجرة الحمام مرة أخرى فوجدت امامها وجه بيدرو الذي كــان خلف ألواح الحجرة الخشبية يراقبها بالتفصيل.

كانت عينا بيدرو تلمعان بطريقة يستحيل معها عدم رؤيتهما في الظلام، تماماً مثل قطرتى ندى صغيرتين مهملتين مختبئتين بين الأعشاب الضارة عندما تستــقبلان أول أشعة للشمس. اللعنة على نظرة بيدرو! وملعــون النجار الذي صنع حجــرة الحمام تمامــاً مثل سابقتها أو بمعنى أصح بفواصل بين كل لوح خشبى وآخر! عندما وجدت بيــدرو يقتــرب منها والرغبــة الجنسيــة في عينيــه، جرت مسرعة من الحجرة وهى تضع ملابسها في عجلة. وصلت بسرعة كبيرة إلى حجرتها وأغلقتها عليها.

انتهت بالكاد من زينتها عندما أخبرتها تشينتشا بأن جون قد وصل لتوه و أنه ينتظرها في الصالة.

لم يكن باستطاعــتها التوجــه مباشرة لاســتقباله، فــقد كان مازال أمامــها إعداد المائدة. قبل وضع المفــرش يجب تغطية المائدة ببساط، لتفادى صوت الكئوس و الأطباق عند اصطدامها بالمائدة. ويجب أن يكون من الصوف الأبيض ليظهر بيــاض المفرش. زلقته تيتــا برفق فوق المائدة الكبيرة الــتى تسع عشرين شخــصاً والتى لا

تُستخدم إلا في مناسبات كهذه. حاولت ألا تحدث صوتاً، ولا حتى وهي تتنفس حتى تستطيع سماع فحوى الحوار الدائر في الصالة بين روساورا و بيدرو وجون. كان يفصل الصالة و حجرة الطعام ممر طويل لذلك لم يصل إلى أذني تيتا سوى همس الأصوات الذكرية لبيدرو و جون، وقد أدركت بلا شك منها نبرة جدال. وقبل انتظار أن تصل الأمور إلى أشدها وضعت بسرعة وحسب الترتيب المفروض، الأطباق وطقم أدوات المائدة الفضة و الكئوس والملاحات وحمالات السكاكين. ووضعت مباشرة الشمعات أسفل سخانات الأطباق الرئيسية الأول والوسيط وتركتها جاهزة فوق خزانة الأرفف. جرت إلى المطبخ لإحضار نبيذ بورديوس الذي كانت قد وضعته في حمام بخار. يخرج نبيذ بورديوس من قبو الخمور قبل استخدامه بعدة ساعات ويوضع في مكان دافئ تؤدى الحرارة اللطيفة إلى نشر عبقه، ولكن لأن تيتا قد نسيت إخراجه لوقت كاف فإنها قامت بتطبيق هذه العملية صناعياً، كان الشئ الوحيد الذي ينقصها القيام به هو وضع سلة للزهور صغيرة من البرونز المذهب في وسط المائدة ولكن لأن الزهور لا توضع إلا قبل الجلوس إلى المائدة بلحظات حتى تحتفظ بنضارتها الطبيعية، فقد كلفت تيتا تشيتشا بالقيام بهذا العمل واتجهت بسرعة، على قدر ما سمح لها فستانها المنشى، إلى الصالة.

كان أول مشهد رأته عندما فتحت الباب هو النقاش المحتدم بين بيدرو وجون حول الوضع السياسـى للبلاد. ويبدو أن كليهما قد نسي العناصر الأساسية لقواعد التحضر والتى تقول بأنه في أى اجتـماع عـائلى لا يجب أن يأتى ذكر مـسائل حول شـخصـيات أومواضيع حـزينة أو أحداث مؤسفة أو حول الدين أو السـياسة. أدى دخول تيـتا إلى وقف الجـدال و اضطرا إلى اعـادة الحوار من جديد بنبرة أكثر ودية.

وفى جو من التوتر طلب جون يد تيتـا. قام بيدرو، بصفته رجل البيت، باعطاء موافقتـه وهو متجهم. وبدأ في الاتفاق على تفاصيل الخطبة. وعندما حاولا تحـديد موعد الزفاف، علمت تيتا برغبة جـون في إرجائه قليلاً ليستطيع السفـر إلى شمال الولايات المتحـدة لإحضار عـمتـه الوحيده البـاقية و التـى كان يرغب في حضورها الاحتفال. مثّل ذلك مـشكلة بالنسبة لتيتا: كانت ترغب في مغـادرة المزرعة وعـدم التواجـد بقرب بيـدرو في أقرب وقت ممكن.

تمت الخطبة رسمياً بأن قدم جون لتيتا خاتماً رائعاً من الماس. تأملت تيـتا الخـاتم طويلاً وهو يلمع فـي يدها. كانت الشـرارات المنبـعثـة منه تذكـرها بالبريق الذي كـان بعـينى بيدرو قـبل ذلك بلحظات، عندمـا كان ينظر لهـا و هى عارية وجـاءت بذاكرتـها

قصيدة أتوميه (٢٢) كانت ناتشا قد علمتها إياها وهى طفلة:

" تلمع الشمس في قطرة الندى
تجف قطرة الندى
في عيني، تلمع أنت في عيني
وأنا، أحيا أنا. . . "

تأثرت روساورا برؤية الدموع في عيني شقيقتها وفسرتها على أنها دموع السعادة وشعرت بشئ من الراحة من الذنب الذي كان يؤرقها أحيانا لكونها تزوجت من خطيب تيتا. عند ذلك قامت، وهى في شدة حماسها، بتوزيع كئوس الشمبانيا على الجميع ودعتهم إلى شرب نخب سعادة العروسين. عند القيام بذلك وكان الأربعة مجتمعين في وسط الصالة، ضرب بيدرو كأسه بكئوس الآخرين بقوة أدت إلى كسره إلى ألف قطعة ونثر المشروب الذي بباقى الكئوس على وجوههم وملابسهم.

هبطت البركة بين الإرتباك الذي سيطر على الموقف عندما ظهرت تشينتشا وذكرت الكلمات السحرية وهى: " العشاء جاهز ". أدى هذا الإعلان إلى رباطة جأش وهدوء الحاضرين وهو ما كان الموقف يستوجبه بعد أن كانوا على وشك فقدانهما. فعندما

(٢٢) تنتسب إلى قبيلة هندية أصلية فى المكسيك.

يكون الحديث عن الطعام فإنه أمـر على درجة من الأهمية بحيث أن البلهـاء أو المرضى هم فـقط الذين لا يعطونه الاهتـمـام الذي يستحقه. وبما أن الحال لم يكن كـذلك، توجه الجميع إلى حجرة الطعام وهم يبدون روح المرح.

كان كل شئ يسيـراً للغاية خلال العشـاء، بفضل تداخلات تشينتشا الظريفة وهى تخَدّم عليهم. لم يكن الطعام لذيذاً بالدرجة الكافية كما كان في مرات سابقة، ربما لأن الضيق كان ملازماً لتيتا وهى تعده، ولكن لا يمكن القول بأنه كان غير مقبول. إن التشامبا ندونجو طبق له طعم خاص إلى درجـة أن أي مزاج سئ لايستطيع أن ينال منه أويغير من طعمه. بعد الانتـهاء من العشاء رافقت تيتا جون حتى الباب وهنالك قبَّل كل منهما الآخر قبلة طويلة كوداع. وفى اليوم التالى كان جون يفكر في السـفر ليعود في أقرب وقت ممكن.

وهى عائدة إلى المطبخ أمرت تـيتا تشينتشـا بتنظيف الحجرة والمرتبة حيث سـتقيم من الآن مع زوجها خيـسوس وذلك بعد أن شكرتها على مساعدتها الكبـيرة. كان من الضرورى قبل أن يذهبا للنوم التأكـد من أنهما لن يجدا في الحـجرة ما هو غيـر مرغوب وهو البق فـقد تركت الخـادمة الأخيـرة التى نامت هناك الحـجرة ملوثة بهذه الدويبات ولم تستطع تيتـا تطهيرها نظراً للعمل المكثف الذي زاد عليها بميلاد ابنة روساورا.

أفضــل طريقة للقـضاء على البق هو خلط كـوب من روح النبيذ ونصـف أوقية من خلاصة التـربنتين ونصف آخر من بودرة الكافور. تدهن بهذه التـركيبة الأماكن التـى بها البق وهى تقضى عليه تماماً.

بعد أن انتهت تيتا من ترتيب المطبخ بدأت في وضع الأوانى والحلل في أماكنها، لـم تكن نشعر بعـد بالنعاس، وكان أفضل لها أن تستغل الوقت في ذلك على أن تمضيه وهى تتقلب في السرير. كانت تشعر بمجموعة من الأحاسيس المتلاقية وكانت أفضل وسيلة لترتيبها داخل رأسـها هى أن ترتب أولاً المطبخ. تناولت إناء كبيراً من الفخار وحملته لتحفـظه في الحجرة التى أصبحت الآن حجرة الكرار والتى كانت في السـابق الحجرة المظلمـة. فمع موت مـاما إيلينا وجدوا أن أحداً لن يفكر في استخدامها كمكان للاستحمام، لأن الجمـيع كان يفـضل الاستـحمام فى منـضحة ولاسـتغـلالها حولوها إلى حجرة للكراكيب.

كانت تحمل في إحدى يديهـا الإناء وفى الأخرى لمبة جاز. دخلت الحجرة بحـرص حتى لا تصطدم بكم الأدوات التى كانت في الطريق إلى مـكان حـفظ أوعـيـة المطبخ التى لا تسـتـخـدم باستمـرار. كان ضوء المصباح يساعـدها إلى حد ما، ولكن ليس بالقدر الـذي تستطيع به الإضـاءة حيث اندس ظل مـا في صمت وأغلق باب الحجرة.

عند شعورها بوجود غريب، أدارت تيتا ظهرها فحدد الضوء بوضوح هيئة بيدرو وهو يضع قضيباً لإحكام غلق الباب.

- بيدرو ؟ ماذا تفعل هنا ؟

اقترب بيدرو منها دون أن يجيبها، أطفأ ضوء المصباح، جذبها نحو سرير اللاتون الذي كان يوما ما خاصاً بأختها خيرترود يس وبدفعها فوقه، أفقدها عذريتها وأشعرها بالحب الحقيقي.

كانت روساورا، في حجرتها، تحاول أن تنوّم ابنتها التى كانت منفجرة في البكاء. كانت تجوب بها كل أنحاء الغرفة بدون أى نتيجة. وعندما مرت بالنافذة رأت ضوء غريباً يخرج من الحجرة المظلمة. دوائر حلزونية فوسفورية كانت ترتفع إلى السماء كأضواء رقيقة من الصواريخ النارية. على الرغم من صرخات إنذار الخطر التى أطلقتها وهى تنادى تيتا وبيدرو لرؤية ذلك، لم تجد إجابة سوى من تشيتشا التى كانت قد ذهبت بحثا عن طقم ملاءات. وعندما رأت الظاهرة الفريدة لأول مرة في حياتها انحبس صوتها من المفاجأة ولم تنطق ببنت شفة. حتى اسبرانثا، التى لم يفتها تفصيل واحد، توقفت عن البكاء. جثت تشيتشا وهى تؤشر على نفسها بإشارة الصليب، بدأت تصلى:

- يا عذراء يا مقدسة التى في السماء، اقبضى إليك روح

السيدة إيلينا حتى تتوقف عن أن تهيم في ظلمات التطَّهر!

- ماذا تقولين يا تشينتشا، عما تتحدثين؟

- عما سيكون، ألا ترين أنه شبح المرحومة! المسكينة لابد وأنها تدفع ثمن شيئ ما! أنا حتى لا يكون لديك شكوك، لن أعود لا صدفة ولا لأى سبب إلى الاقتراب من هناك!

- ولا أنا.

لو أن ماما إيلينا المسكينة تعلم أن وجودها حتى بعد موتها مازال يسبب رهبة وأن ذلك الخوف من الالتقاء بها قد أتاح لتيتا وبيدرو الفرصة المثالية لانتهاك حرمة مكانها المفضل بلا عقاب، بتمرغهما بشهوانية فوق سرير خيرتروديس، لكانت ماتت من جديد مائة مرة!

الفصل التاسع

سبتمبر

شيكولاته وكعكة عيد الظهور

المقادير:

رطلان من كاكاو السوكو نوسكو [٢٣] – رطلان من كاكاو المارا كاليو – رطلان من كاكاو الكاراكاس – من ٤ إلى ٦ أرطال من السكر حسب الذوق

(٢٣) أنواع كاكاو منسوبة إلى أسماء أماكن شهرتها وجودتها.

طريقة العمل

الخطوة الأولى هى تحميص الكاكاو: ولذلك من المناسب استخدام إناء من الصفيح بدلاً من الإناء الفخارى، لأن الزيت الذي يستخلص من الحبوب يضيع بين مسام الإناء الفخارى. من المهم جداً الاهتمام بهذه الأنواع من التوجيهات، لأن جودة الشيكولاتة تعتمد على ثلاثة أشياء، أن يكون الكاكاو المستخدم صالحاً ولم يتلف، أن يكون قد اختلطت في صناعته أنواع مختلفة من الكاكاو و أخيراً، درجة تحميصه.

ودرجة التحميص التى ينصح بها هى التى يبدأ فيها الكاكاو في إفراز زيته. فإذا ما رفعناه من على النار قبل ذلك، فإنه إضافة إلى أنه يفقد لونه ويصبح غير مقبول، يصبح عسير الهضم. ويكون العكس لو ترك أكثر من اللازم فوق النار، فإن الحبوب تحمص أكثر من اللازم و تجعل الشيكولاته حامضة ولاذعة الطعم.

استخلصت تيتا نصف ملعقة صغيرة من هذا الزيت لتخلطه

مع زيت اللوز الحلو لتحضير مرهم رائع للشفاه. ففى الشتاء كانت شفتاها تتشققان دائماً مهما اتخذت من احتياطات. كانت وهى طفلة يضايقها ذلك كثيراً، فكل مرة كانت تضحك فيها كانت شفتاها الغليظتان تتشققان و تدميان مما يسبب لها آلماً مبرحاً. ومع الزمن كانت تستسلم لذلك. وبما أنها الآن ليس لديها أسباب كثيرة، إذا ما أردنا القول، للضحك، فإن ذلك لم يقلقها بالمرة. فقد كانت ننتظر حتى مقدم الربيع حتى تزول التشققات. كان الاهتمام الوحيد الذي كان يدفعها إلى تحضير المرهم هو حضور بعض الزوار ليلاً لمشاركتهم الاحتفال بكعكة عيد الظهور.

كانت تريد أن تكون شفتاها رقيقتين و لامعتين خلال السهرة وذلك للمباهاة وليس لأنها ترغب في الضحك كثيراً. فالشك في أنها حامل لم يكن يشعرها بأن الضحك مرسوم على شفتيها. لم تكن تفكر بالمرة في هذا الاحتمال عند معاشرتها لبيدرو. لم تبلغه بعد بذلك. كانت تفكر في إبلاغه بذلك هذه الليلة، ولكن لم تكن تعرف كيف. ما التصرف الذي سيتخذه بيدرو وما الحل لهذه المشكلة الكبيرة، كانت تجهل ذلك تماماً.

كانت تفضل ألا تعذب نفسها أكثر وأن تبعد الأفكار عن رأسها نحو الأشياء الأكثر بساطة مثل إعداد مرهم جيد. ولهذا ليس هناك أفضل من زبدة الكاكاو. ولكن قبل أن تبدأ في تحضيرها كان من الضرورى إعداد الشيكولاته.

عندما يحمص الكاكاو كما أشير، ينقى باستخدام غربال لفصل القشرة عن الحبة.. ويوضع أسفل قاعدة الرحاية التى سيسحق فيها قداحة وعندما تسخن الرحاية، يبدأ طحن الحبوب. يخلط حينئذ بالسكر المسحوق بمطرقة خشبية ويطحنان معاً. ويقسم مباشرة العجين إلى قطع. وتشكل ألواح الشيكولاته الصغيرة باليد، اما أشكال دائرية أومنبسطة، حسب الرغبة، وتترك في الهواء لتجف. ويمكن بطرف السكين أن نحدد الأشكال التى نريدها. وبينما كانت تيتا تشكل قطع الشيكولاته شعرت بحنين إلى أيام عيد الظهور في طفولتها، والتى لم تكن تعانى فيها من مشاكل بهذه الخطورة. كان كل ما يشغلها في تلك الفترة هو أن الملوك المجوس لم تكن تحضر لها ما كانت تريده هى وإنما ما كانت ماما إيلينا ترى أنه الأنسب لها. حتى أنها علمت من عدة سنوات أن المرة الوحيدة التى حصلت فيها على الهدية التى ترغب فيها كان بسبب أن ناتشا قد ظلت فترة تقتصد من مرتبها لتشترى لها "ثينيتو"(٢٤) كانت قد رأته في واجهة دكان. كانوا يطلقون عليه ثينيتو لأنه كان جهازاً يظهر صوراً على الحائط باستخدام مصباح من الجاز كمصدر للضوء، معطياً تأثيراً يشبه تأثير السينما، ولكن اسمه الحقيقى كان " زوتروبو ". كم كانت سعادتها عندما استيقظت صباحاً ووجدته بجوار حذائها. كم مساء استمتعت هى

(٢٤) تصغير كلمة cine سينما.

وشقيقاتها برؤية الصـور المتسلسلة مرسومة على قطع من الزجاج، والتى كانت تمثل مـواقف مختلفة من أطرف مـا يمكن. كم كانت تبدولهـا بعيدة تلك الأيام السعـيدة عندما كانت ناتشـا بجوارها. ناتشـا! كـانت تشتـاق إلى رائحـتـها، رائحـة حـساء الـشعـرية والتشيلاكيليس (٢٥) والتشامبـورادو وصلصة المولكا خيتيه وخبز بالقـشـدة وعـبق الزمن الماضى، سـيظل إلى الأبد فـائقـاً مـذاق طعامها، أتولها، شـايها، ضحكتها، كمادات صدغيـها، طريقتها في تضفـير شعـرها و تغطيتهـا في الليل ورعايتهـا لها في المرض وطهيـها لهـا ما تشتـهى و الشيكولاته المخـفوقة الـتى كانت من إعدادها. لو تستطيع إعادة لحظة واحدة من تلك الـفترة لاسترجاع قليل من سعادة تلك اللحظات و تستطيع إعداد كعكة عيد الظهور بنفس حـماس تلك الأيام! لو تسـتطيع أن تأكلهـا فيـما بعـد مع شقيقاتها كما كان في الزمن الماضى، بين مزاح ونكات، عندما لم تكونا بعد هى وروساورا في نزاع عـلى حب رجل، عندما كانت خيـرتروديس لا تعرف أنهـا ستـهرب من البيت وتعـمل في بيت دعارة وعندما كان يحدوها الأمل، بخروج دمية كعكة عيد الظهور من نصيبها، بأن مـا تتمناه سوف يتم حرفياً بمعجزة. لـقد علمتها الحياة أن الأمور ليست بهذه السهولة، وأن قليلين الذين بالرغم من ذكائهم هم الذين يستطيعون تحقـيق رغباتهم على حساب ما يكون

(٢٥) لون من ألوان الطعام قوامه أقراص الذرة المطبوخة بمرق حار

وأن الحصول على حق تحديد مسار حياتها الخاصة سوف يكلفها أكثر مما تتصور. كان عليها أن تتحمل هذا الصراع و حدها وكان ذلك ثقيلاً عليها. لو كانت أختها خيرترودیس على الأقل بجوارها! لكن كان يبدو ممكناً عودة ميت إلى الحياة على أن تعود خيرترودیس إلى البيت. لم تعد تسمع عنها أى أخبار، منذ أن سلمها نيكولاس ملابسها في بيت الدعارة الذي سقطت فيه. وأخيراً، تاركة في الهواء ذكرياتها بجانب قطع الشيكولاته التى انتهت من إعدادها لتوها، بدأت تيتا في إعداد كعكة عيد الظهور.

المقادير:

٣٠ جم من الخميرة الطازجة - كيلو وربع من الدقيق - ٨ بيضات - ملعقة كبيرة من الملح - ٢ ملعقة من ماء الزهر - فنجان ونصف من الحليب - ٣٠٠ جم من السكر - ٣٠٠ جم من الزبد - ٢٥٠ جم من الفاكهة المجففة - دمية من الخزف

طريقة العمل

تخلط الخميرة باليدين أو بشوكة مع ربع كيلو من الدقيق مع إضافة قليلاً بقليل ١/٢ فنجان من الحليب الدافئ. عندما تخلط المقادير جيداً تعجن قليلاً وتترك لتخمر على شكل كرة حتى يصبح العجين ضعف حجمه.

ظهـرت روساورا في المطبخ في نفـس اللحظة التى تركت فيها تيتـا العجين ليخمر. جاءت تطلب مساعـدتها في تنفيذ نظام الطعام الخاص الذي وضعه لها جون. فمنذ أسابيع وهى تعانى من مشاكل خطيرة في الهضم، كانت تعانى من غازات ورائحة كريهة بالفم. كانـت روساورا تشعـر بالكرب نتيـجة هذه التقـلبات إلى درجة أنها اضطرت إلى اتخاذ قرار بأن تنام هى وبيدرو في غرفتين منفـصلتين. كـانت بهذه الـطريقة تقـلل من معـاناتهـا بأن تطرد الغازات حسب راحتها. كان جون قد أوصاها بالامتناع عن أغذية مثل الجذريات والبـقول، وأن تمارس نشاطاً جسمانيـا. كان الأمر الأخير صعباً عليها لشـدة بدانتها. لم يكن هناك تفسير لسبب أنها منذ أن عـادت للإقامـة في المزرعة، وقـد بدأت في البدانة بهـذه الدرجة، فقد كانت تأكل بشكل معتاد. ولكن كان تحريك جسدها الهلامى الضـخم يكلفها مجـهوداً كبيراً. كل هذه المـساوئ كانت تسبب لها مـشاكل لا حصر لها، ولكن أخطرها كـان تزايد تباعد بيدرو عنها يومـاً بعد يوم. لم تكن تلومه: فهى بنفـسها لم تكن تتحمل رائحة غازاتها الكريهة. لم تعد تتحمل أكثر من ذلك.

كانت أول مرة تفتح فيها روساورا قلبـها لتيتا وتناقش معها هذه المواضـيع. بل واعتـرفت لها أنهـا لم تتقـرب منها من قـبل لغيرتها منها. فقد كانت تعتـقد أن بينها وبين بيدرو علاقة عاطفية دفينة، مسـتترة خلف الظواهر. لكنها الآن وهى ترى مدى حـبها

لجون وقرب زواجها منه، فإنها قد أدركت استحالة استمرارها في أن تكن هذا النوع من الظنون. اعترفت لها بأن مازال هناك الوقت لإقامة صلة طيبة بينهما. والحقيقة أن العلاقة روساورا - تيتا كانت حتى الآن مثل التى بين الماء في الزيت المغلى! رجتها والدموع في عينيها بأن تقدم لها معروف ألا تحمل لها أى حقد، لأنها تزوجت بيدرو. وطلبت منها نصيحتها لاسترداده. كما لو كانت هى المؤهلة لإعطائها ذلك النوع من النصائح! قالت لها روساورا بحزن إن بيدرو لم يقترب منها عاطفياً منذ شهور. كان يتهرب منها بالفعل. لم يكن هذا يشغلها كثيراً فلم يكن بيدرو ممن يميلون للإفراط الجنسى. ولكن مؤخراً لم يكن كذلك فقط، وإنما لاحظت من تصرفاته رفضاً صريحاً لشخصها.

وأكثر من ذلك، أنها تستطيع أن تحدد بالضبط منذ متى، أنها تتذكر تماماً. منذ الليلة التى بدأ فيها شبح ماما إيلينا في الظهور. كانت هى مستيقظة في انتظار عودة بيدرو من نزهة كان يقوم بها. عندما عاد، لم يلتفت حتى لروايتها عن الشبح، كان مثل الغائب. حاولت أثناء الليل أن تعانقه، لكنه، إما كان مستغرقاً في النوم، أو كان يتظاهر بذلك، فلم يستجب لتلميحاتها. بعد ذلك سمعته وهو يبكى بصوت خافت. ولكنها تظاهرت بدورها أنها لم تسمعه.

كانت تشعر أن بدانتها وغازات بطنها ورائحة فمها الكريهة

تبعد بيدرو عنها بشكل قاطع كل يوم أكثر ولم تكن تجد حلاً لذلك. وعليه فقد طلبت منها مساعدتها. كانت تحتاجها أكثر من أي وقت مضى ولم يكن أمامها أحد سواها للجوء إليه. كان موقفها يزداد خطورة يوما بعد يوم. لم تكن تعرف كيف سيكون رد فعلها لما "سيقولون" إذا هجرها بيدرو، لن تتحمل ذلك. كان عزاؤها الوحيد الباقى لها هو على الأقل ابنتها اسبرانثا، فهى عليها واجب البقاء بجانبها إلى الأبد.

حتى هذه اللحظة كان كل شئ يسير على ما يرام، فالكلمات الأولى لروساورا سببت وخزاً في ضمير تيتا. ولكنها ما أن سمعت للمرة الثانية ما سيكون مصير اسبرانثا حتى بذلت مجهوداً كبيراً حتى لا تصرخ في أختها بأن هذه الفكرة كانت من أضل الأفكار التى سمعتها في حياتها. لم تستطع في هذه اللحظات أن تبدأ نقاشاً بينهما يمكن أن يؤدى إلى القضاء على حسن النية التى كانت تشعر بها نحو روساورا لتعويضها عن الألم الذي كانت تسببه لها. هكذا وبدلاً من أن تشطح بأفكارها، وعدت أختها بأن تعد لها نظاماً غذائياً خاصاً لمساعدتها على خفض وزنها. وأعدت لها بلطف وصفة سهلة ضد رائحة الفم الكريهة: " أساس رائحة الفم الكريهة يكون المعدة و الأسباب التى تساهم في وجودها متعددة. ولإزالتها يجب البدء بعمل غرغرة من الماء والملح، مع استنشاقه في نفس الوقت من الأنف،

والمخلوط ببعـض قطرات خل الكافور المسحـوق. يجب في نفس الوقت مـضغ أوراق النعناع باسـتـمـرار. إن المواظبـة على الخطة المطروحة تكون كفيلة وحدها بتطهير أكثر روائح الفم كراهة " .

شكرت روساورا تيتا شكراً لا حـدود له لمعاونتها و خرجت مـسرعـة إلى الحديـقة لجـمع أوراق النعناع، ولكن ليس قـبل أن تتوسل إليهـا بأن تتكتم تماماً هذا الموضوع الحسـاس. ظهر ارتياح كبير على وجه روساورا. على عكس تيتا التي كانت محطمة. ما هذا الذي فعلتـه! كيف يمكن تعويض الضرر لروسـاورا و لبيدرو ولها ذاتها و لجون ؟ وبأى وجه سوف تسـتقبله خلال أيام، عندما يعود من رحلتـه ؟ جون، الإنسان الوحيد الذي له أفـضال يشكر عليها، جون، الذي أعاد إليها سـلامة عقلها، جون، الذي عرفها طريق الحرية.

جـون، السلام، السـكينة، الصواب. إنه لا يـستـحق في الحقيقة هذا! ماذا القول له، ما العمل ؟ كان الأفضل مؤقتاً متابعة إعداد كعكة عيد الظهور، فقد أصبحت العجينة التي تركتها لتخمر بينما كانت تتحدث مع روساورا، جاهزة للخطوة التالية:

تكوّن دائرة بكيلو الدقيق فـوق المنضدة و توضع في وسطها كل المقادير ،ويبدأ في عـجنها مبتدئين مـن الوسط، و نأخذ قليلاً بقليل من دقـيق الدائرة حـتى يمزج بأكمـله. وعندما يزداد حـجم العـجين الذي به الخمـيرة إلى الضـعف، يخلط مع هذا العـجين

الآخـر خلطاً تامـاً حـتى نصل إلى أن يـنفـصل من اليــدين بكل سهولـة . يتم إزالة العجين الملتصق بالمنضــدة بواسطة حسكة سنبلة ويضاف أيضاً إلى باقي العجين. عندئذ يتم وضع العجين في وعاء عميق مدهون بالســمن. يغطى بفوطة و ينتظر أن يرتفع من جديد للضعف. يجب الأخذ في الاعتبـار أن العجين يحتاج إلى حوالى ساعـتين حتى يتـضاعف حـجمـه، ومن المهم أن يتم ذلك ثلاث مرات، قبل إمكانية وضعة في الفرن.

عندمـا كانت تيـتا تغطى الوعـاء الذي وضعت به العـجين ليخمر بفـوطة، ضربت عاصفة ريح قوية باب المطبخ فـفتحه على مصراعـيه وأدت إلى غزوه ببرد قارس. طـارت الفوطة في الهواء وسرت في ظهر تيتا رجفة جليدية. أدارت ظهرها ووقفت مذهولة وجهاً لوجه أمام ماما إيلينا التي كانت تنظر لها بحدة.

- قلت لك عـدة مـرات ألا تقربى بيـدرو. لماذا فـعلت ذلك ؟

- . . . أنا حاولت ذلك يا مامى. . . لكن. . .

- لكن لا شيء! إن ما فـعلتِه ليس له اسم! هل نسـيت ما هى الأخلاق، والاحترام و العاداتَ الحسنة! أنت لا تساوين شيئاً، أنت إنسانة حـقيـرة لا تحترم حـتى ذاتها. لقد لوثت اسـم العائلة كلها، من أول اسم لأسـلافى إلى اسم ذلك المخلوق اللعين الذي تحملينه بين أحشائك!

- لا! ابني ليس ملعوناً!

- نعم هو كذلك! أنا ألعنه! هو و أنت إلى الأبد!

- لا، أرجوكِ.

أدى دخول تشينتشـا المطبخ إلى أن أدارت ماما إيلينا ظهرها وخرجت من نفس الباب الذي كانت قد دخلت منه.

- أغلقى الباب يابنتى، ألا ترين برودة الجـو ؟ أراك مؤخراً شاردة للغاية. ماذا يحدث لك ؟

لا شيء. كل مـاكان يحـدث لهـا هو أن الدورة الشهـرية تأخرت لديها شهراً ؛ والشك في أن تكون حاملاً ؛ كان عليها أن تقول ذلك لجـون عندما يعود للزواج منها، عليـها أن تلغى ذلك الزواج، عليهـا أن تغادر تلك المزرعة إذا كـانت ترغب في أن تلد مولودها بلا مـشاكل، عليها أن ترفض بيـدرو إلى الأبد؛ لأنها لا تريد أن تسبب آلاماً أكثر من ذلك لروساورا.

ذلك كل ما كان يحدث لهـا! لكنها لم تكن تستطيع النطق به. فإنها لو فعلت ذلك مع تشينتشـا ذات الطبيعة المحبة للحديث عن سيـرة الناس، فسوف تعرفـه القرية في اليوم التـالى. فضّلت عـدم إعطائهـا أية إجابـة وأن تغيـر الموضـوع في عـجلة، بنفس الطريقة التي كانت تشينتـشا تتبعها معها عندما كـانت تفاجئها في خطأ ما.

- ياللبشاعة! إن العجين يطفح. دعينى أكمل الكعكة، وإلا فسوف يهبط الليل علينا دون أن ننتهي.

لم يكن العجين يطفح بعد من الوعاء الذي وضعته ليخمر، ولكنها كانت حجة مثالية لإبعاد انتباه تشينتشا إلى موضوع آخر.

عندما يتضاعف حجم العجين للمرة الثانية، يفرغ على المائدة ونصنع منه مستطيلاً. ويوضع في وسطه، إذا ما رغب، بعض الفواكه المكسوة و المقطعة. وإلا، فيكتفى فقط بالدمية الخزفية التي توضع في مكان غير معين. يتم لف المستطيل بوضع أحد طرفيه فوق الآخر ويوضع فوق صاج مدهون بالسمن و الدقيق مع وضع الوصلة إلى أسفل. وتأخذ شكل الكعكة اللولبية مع ترك مسافة كافية بينها وبين حواف الصاج لأن حجم العجين سوف يتضاعف مرة أخرى. في أثناء ذلك يتم إشعال الفرن للحصول على درجة حرارة مناسبة في المطبخ، إلى أن تنتهى عملية تخمر العجين.

قبل وضع الدمية الخزفية في الكعكة، تأملتها تيتا بتمعن. حسب التقليد، فإن ليلة السادس من يناير تقطع الكعكة و الشخص الذي يجد الدمية المخبأة داخل الكعكة فإنه يكون مضطراً إلى إقامة حفل يوم الثانى من فبراير، يوم تطهير العذراء، وهو

يوم رفع المسيح الطفل. منذ أن كن أطفالاً وقد تحول هذا التقليد إلى نوع من المنافسة بينها وبين أخواتها. كانت تعتبر محظوظة جداً من يحالفها الحظ و تجد هى الدمية. فكانت تستطيع في الليل أن تطلب أمنية وهى تضغط عليها بقوة بكلتا يديها.

كانت تفكر وهى تتأمل بدقة التقاطيع الدقيقة للدمية كيف كان من السهولة تمنى أشياء خلال الطفولة. لم يكن هنالك حينئذ مستحيلات. عندما ينمو الإنسان فإنه يتنبه إلى كل ما لا يمكن أن يتمناه لأنه شئ محرم، أثيم، فاحش.

لكن ما هو الحياء ؟ أن يرفض الإنسان كل ما يريده حقيقة؟ ليتها ما كبرت بالمرة، ولا عرفت بيدرو و لا كانت مضطرة إلى الرغبة في ألا تكون حاملاً منه. ياليت أمها تتوقف عن تعذيبها، و عن ملا قاتها في كل ركن وأن تصرخ فيها لخسة سلوكها. ليت اسيرانثا تتزوج دون أن تستطيع روساورا منعها وألا تعرف أبداً تلك الهموم والآلام! ليت هذه الطفلة يكون لديها القوة التي كانت عند خيرتروديس لتهرب من البيت، في حالة ضرورة ذلك! ليت خيرتروديس تعود إلى البيت لتعطى تيتا المساندة التي كانت في حاجة شديدة إليها في هذه اللحظات!. أدخلت الدمية و هى تطلب الأمنيات في الكعكة و تركتها فوق المنضدة، حتى تتابع مضاعفة حجمها.

عندما يتضاعف حجم العجين لـلمرة الثالثة، تزين بالفواكه المجففة، و يدهن سطحها ببيضـة مخفوقة و يوضع فوقها السكر. توضع في الفرن لمدة عشرين دقيقة ثم تترك لتبرد.

بعد أن تم تجهيز الكعكة، طلبت تيتا من بيدرو مساعدتها في حملها إلى المنضدة. كان بإمكانها طلب مساعدة أى كان ولكنها كانت تحتاج إلى التحدث إليه على انفراد.

- بيدرو، أريد التحدث إليك على انفراد.

- هذا سهل جداً. لماذا لا تذهبين إلى الحجرة المظلمة ؟ يمكن هناك التحدث دون أن يضايقنا أحد. لى أيام وأنا في انتظار ذهابك.

- ما أريد ذكره يدور حول تلك الزيارات بالذات.

أدى دخول تشينتشا إلى قطع الحديث، جاءت تعلن أن أفراد أسرة لوبو وصلوا لتوهم وليس أمامهم سوى انتظارهما لقطع الكعكة. لم يكن حينئذ أمام تيتا وبيدرو سوى إلغاء الحديث وحمل الكعكة إلى حجرة الطعام، حيث كان الانتظار بقلق. وهما يعبران الممر، رأت تيتا أمها واقفة بجانب حجرة الطعام، وهى تطلق نحوها نظرة حنق. توقفت تيتا. بدأ البولكيه في النباح لماما إيلينا التي كانت تتجه نحو تيتا متوعدة. كان شعر ظهر الكلب منتصباً من الخوف وكان يسير بوضع دفاعى، إلى الوراء.

أدى انصعاقه إلى أن وضع إحدى أرجله الخلفية داخل المبولة النحاسية التي كانت في نهاية الممر، بجوار السرخس [٢٦]، و التي عند محاولته الخروج جرياً، دفعها بذيله على الأرض فروت كل الأنحاء بما كانت تحتويه.

أدى الضجيج إلى لفت إنتباه الاثنى عشر ضيفاً، الذين كانوا متجمعين في الصالة. أطلوا على الممر وهم فزعون وكان على بيدرو أن يشرح لهم أن البولكيه، ربما بسبب الشيخوخة، كان يأتي مؤخراً بهذا النوع من التصرفات الغامضة، لكن كل شئ تحت السيطرة. تنبهت باكيتا لوبو بالطبع إلى أن تيتا كانت على وشك فقدان وعيها. طلبت أن يقوم آخر بمساعدة بيدرو في حمل الكعكة إلى حجرة الطعام، لأنها كانت ترى تيتا متوعكة. أخذتها من ذراعها و اصطحبتها إلى الصالة. أشمموها نشادر وبعد لحظة استعادت وعيها تماماً. قرروا بعد ذلك التوجه إلى حجرة الطعام. وقبل الخروج، أوقفت باكيتا تيتا و سألتها:

- هل أنت بخير الآن ؟ ألاحظ أنك مازلت دائخة. وعليك نظرة! لو لم أكن أعلم تماماً أنك فتاة شريفة. لأقسمت أنك حامل.

أجابتها تيتا وهي تضحك محاولة عدم إعطائها أهمية:

(٢٦) نبات زينة.

- حامل ؟ لا يخطر سوى في بالك أنت فقط! وما شأن النظرة بذلك؟

- أنا أستطيع أن أرى مباشرة في عيون أى امرأة متى تكون حاملاً.

شكرت تيتا ربها أن البولكيه قد أنقذها من جديد من موقف صعب، فالضجيج المستشاط الذي أثاره في الفناء تفادى أن تضطر إلى متابعة الحديث مع باكيتا. بالإضافة إلى نباح البولكيه سمعت أصوات عدة أحصنة. كان كل المدعوين في البيت. من يكون في هذا الوقت ؟ توجهت تيتا مباشرة إلى الباب، فتحته فرأت كيف يحتفى البولكيه بالشخص الذي جاء في مقدمة رفقة من الثوار. لم تتبين إلا عندما اقتربوا بما فيه الكفاية، فلم يكن سوى أختها خيرتروديس. كان يمتطى حصاناً بجانبها من أصبح الآن الجنرال خوان اليخاندريث، وهو نفسه الذي كان قد خطفها منذ زمن مضى. هبطت خيرتروديس من فوق الحصان، وقالت بصخب: كما لو لم يمض الزمن، إنها لعلمها أنه يوم تقطيع كعكة عيد الظهور، فإنها قد حضرت من أجل فنجان من الشيكولاته المخفوقة تواً. عانقتها تيتا و هى متأثرة وصاحبتها مباشرة إلى المنضدة لتحقق لها رغبتها. كانوا يصنعونها في البيت بطريقة لا يجاريهم فيها أحد، فقد كانوا يهتمون جداً بكل خطوة من الخطوات المتبعة في عملها، من صنع الشيكولاته و حتى خفقها و

هو فصل آخر مهم جداً. إن عدم المهارة في خفقها يمكن أن يؤدى إلى تحول أى شيكولاتة فائقة الجودة إلى غير مستساغة إما بسبب عدم غليها جيداً أو أنها زادت عن درجة غليانها أوأن قوامها غَلُظ جداً أو حتى احترقت.

إن طريقة تفادى كل العيوب السابقة بسيطة جداً: يوضع على النار لوح شيكولاتة مع الماء. يجب أن تكون كمية الماء أكبر بقليل من التي يحتاجها ملء الوعاء الذي ستغلى فيه. وعند أول غليان، تبعد عن النار وتذاب الشيكولاتة تماماً، تضرب بمضرب حتى تختلط تماماً بالماء. ثم ترفع مرة أخرى على النار. وعندما تغلى مرة أخرى و تبدأ في الفوران، ترفع من فوق النار. ثم توضع مرة أخرى مباشرة وهكذا حتى تبدأ في الغليان للمرة الثالثة. عندئذ ترفع من فوق النار للمرة الأخيرة و تخفق. يغرف نصفها في وعاء و يخفق الباقى مرة أخرى. عندئذ تغرف كلها بحيث تمتلئ حواف الوعاء بالرغاوى. يمكن أيضاً صنعها بالحليب بدلاً من الماء. ولكن في هذه الحالة تغلى مرة واحدة فقط وفى المرة الثانية توضع على النار وتخفق حتى لا يغلظ قوامها أكثر من اللازم. إن الشيكولاته المخفوقة المعدة بالماء تكون أسهل هضماً من التي بالحليب.

كانت خيرتروديس تغلق عينيها في كل مرة ترتشف فيها من فنجان الشيكولاته الذي كان أمامها. إن الحياة تكون أكثرحلاوة إذا

استطاع الإنسان أن يحمل إلى أي مكان يشاء نكهات و روائح بيت الأم. حسناً، إن هذا لم يعد بيت أمها. إن أمها قد ماتت دون أن تدرى.

شعرت بالحزن الشديد عندما أخبرتها تيتا بذلك. لقد عادت بهدف أن تثبت لماما إيلينا إنها انتصرت في الحياة. كانت جنرالة في الجيش الثورى. لقد فازت بهذا المنصب بالجهد، بكفاحها الذي لا يضارع في ميدان المعركة. كانت تحمل في دمائها موهبة القيادة، ولهذا عندما انضمت إلى الجيش، بدأت بسرعة في الترقى في مناصب السلطة إلى أن وصلت إلى أفضل منصب، وليس ذلك فقط، عادت سعيدة متزوجة من خوان. كانت قد قابلته بعد عام لم تره فيه وقد بعثت بينهما نفس العاطفة التي كانت يوم أن تعارفا. ماذا يمكن أن يطلب الإنسان أكثر من ذلك! كم كانت تتمنى أن تراها أمها وكم كانت ترغب في أن تعود لرؤيتها، حتى لو كان فقط لكى تشير لها بنظرتها أن عليها أن تستخدم الفوطة لتنظيف بقايا الشيكولاته التي فوق شفتيها.

كانت هذه الشيكولاته معدة مثل الأيام الماضية.

تضرعت خيرتروديس بصلاة في صمت و عيناها مغمضتان راجية أن تعيش تيتا سنوات طويلة أكثر لتطبخ و صفات العائلة. فلا هى ولا روساورا كانت لديهما المعرفة بذلك. وعليه فإن اليوم الذي تموت فيه تيتا ستموت معها المعرفة بذلك. عندما انتهى

الجميع من العشاء انتقلوا إلى الصالة حيث بدأ الرقص. كان الصالون مضيئا تماماً بكمية هائلة من الشموع. أدهش خوان المدعوين بروعة عزفه للجيتارة و الهارمونيكا والاكورديون. كانت خيرتروديس تتابع نغمات القطع الموسيقية التي كان خوان يعزفها وهى تضرب الأرض بطرف حذائها ذى الرقبة.

كانت تنظر له بفخر من نهاية الصالون حيث كانت محاطة بحاشية من المعجبين يحاصرونها بأسئلة حول مشاركتها في الثورة. كانت خيرتروديس تروى لهم بطلاقة كبيرة، وهى تدخن، حكايات خيالية عن المعارك التي اشتركت فيها. كانوا مندهشين في تلك اللحظة و هى تروى لهم كيف كانت أول عملية إعدام أمرت بها. ولكنها بدون أن تتمالك نفسها، قطعت الحكاية و اندفعت إلى وسط الصالون حيث بدأت في الرقص بظرف رقصة البولكا (٢٧) خيزويتا في تشيهوا هوا، التي كان خوان يعزفها بمهارة على الأكورديون الشمالى، كانت ترفع جونلتها حتى الركبة بفجور وهى تومئ بعدم حياء مفرط.

أدى هذا السلوك إلى تعليقات مستنكرة من جانب النساء المجتمعات هناك.

قالت روساورا لتيتا في أذنها.

- لست أدرى من أين أتت خيرتروديس بتلك الحركات

(٢٧) اسم رقصة بوهيمية الأصل

الراقصة. إن ماما إيلينا لم يكن يعجبها الرقص ويقولون إن بابا كان رقصه سيئاً للغاية.

هزت تيتا كتفيها كعلامة إجابة، بالرغم من أنها كانت تعرف تماماً ممن ورثت خيرترويس الرقص و أشياء أخرى. كانت تعتقد أن هذا السر سوف تحمله معها حتى إلى القبر، ولكنها لم تستطع ذلك. فبعد عام وضعت خيرترويس ابناً أسمر. ثار خوان وهدد بهجرها. فلم يغفر لخيرترويس عودتها إلى السوء. عندئذ قامت تيتا، إنقاذاً لذلك الزواج، بالاعتراف بكل شئ. لحسن الحظ لم تكن قد تجرأت على حرق الرسائل، أما الآن ومع " الماضي الأسود " لأمها، فإن هذه الخطابات قد ساعدتها تماماً كدليل على إظهار براءة خيرترويس.

على كل الأحوال كانت صدمة صعب استيعابها، لكن على الأقل لم ينفصلا، بل عاشا معاً للأبد وأمضيا أوقاتاً وهما سعيدان أكثر منهما حانقين.

وكما كانت تعلم سبب رقص خيرترويس، علمت سبب فشل زواج أختها وسبب حملها. كانت ترغب الآن في معرفة الحل الأفضل. كان ذلك هو الأمر الهام. ومن حسن الحظ أن لديها الآن من يمكن أن تأمنه على همومها. كانت تأمل في بقاء خيرترويس في المزرعة وقتاً كافياً لتستطيع سماعها وإسداء النصح لها. كانت تشيتشا تتمنى عكس ذلك. كانت غاضبة من

خيرتروديس، حسناً، ليس منها بالذات بل من العمل الذي كانت تتولاه في خدمة جنودها. فبدلاً من أن تستمتع بالعيد، كان عليها في تلك الساعة من الليل أن تضع منضـدة كبيرة في الفناء و صنع شيكولاته لخمسين رجلاً من جنودها.

الفصل العاشر

أكتوبر

حلو توريخاس (٢٨) القشدة المضروبة بالسكر

المقادير:

٦ بيضات – فنجان من القشدة وسكر البودرة – قرفة – زيت للقلى – شراب للسقى

(٢٨) قطع من الخبز تسقى بالحليب أو النبيذ أو السكر وتقلى.

طريقة العمل

يُكَسرالـبيض ويُفصل البـياض عن الصـفار. يقلَّب صـفار الست بيضات مع فنجان القشـدة المضروبة بالسكر. تخفق المقادير حـتى تلين. عندئذ تصب فـي إناء مدهـون بالزبد. لا يجب أن يزيد سمـك هذا الخليط عن ارتفاع إصـبع داخل صينيـة التورتة. يوضع فوق نار هادئة جداً ويترك حتى يتماسك.

كـانت تيتـا تعد تلك الأكلـة استـجابة لطلب صـريح من خيرترود يس، لأنه كـان طبقها المفضل. لم تأكـله منذ فترة طويلة وكانت تريد تناوله قبل ترك المزرعة في اليوم التالى. كانت أمضت في البيت أسبوعـًا واحدًا فقط وهو أكثر بكثيـر مما كانت خططته. بينما كانت خيرترود يس تدهن الإناء الذي ستـضع فيه تيتا القشدة المضروبة بالسكر، لم تتوقف عن الكلام، كان لديها الكثير لروايته لها حتى إنها لو ظلت شهراً تتحـدث فيه نهاراً وليلاً ما استطاعت استنفاده. كانت تيتا تستمع لها باهتمام كبير، كانت تخشى توقفها عن الكلام، لأن حينئذ سيأتى دورها في ذلك. كانت تعلم أنه لم

يعد أمامها سوى اليوم فقط لتحكى لخيرترودیس مشكلتها وبالرغم من أنها كانت لديها رغبة قاتلة في مصارحة أختها بما في صدرها، كانت تملؤها الهموم للموقف الذي يمكن أن تتخذه هذه منها.

كانت إقامة خيرترودیس وفرقتها في البيت قد وفرت لتيتا راحة نفسية كبيرة بدلاً من أن تثقل عليها بالعمل.

فوجود أناس بهذا الكم في كل أنحاء البيت و الأفنية، جعل من المستحيل التحدث مع بيدرو وأن يطلب منها لقاء في الحجرة المظلمة. كان ذلك يشعر تيتا بالراحة، فلم تكن بعد مستعدة للتحدث معه. فقبل أن تفعل ذلك كانت ترغب في دراسة الحلول الممكنة لمشكلة حملها جيداً، وأن تتخذ قراراً. فمن جهة كانت هى وبيدرو وفى الأخرى كانت أختها في وضع غير موات بالمرة، لم يكن لدى روساورا شخصية، كانت تهمها جداً المظاهر في المجتمع، ظلت على بدانتها وكريهة الرائحة، فلم تستطع ولا بالعلاج الذي أعطته لها تيتا أن تهدئ من حدة مشكلتها. ماذا يمكن أن يحدث إذا هجرها بيدرو بسببها ؟ كم ستُضر روساورا ؟ ماذا سيحث لاسبرانثا ؟

- لقد سئمت حديثى. أليس كذلك ؟

- بالطبع لا يا خيرترودیس. لماذا تقولين ذلك ؟

- لا لشئ سوى لأننى أراك شاردة النظرات منذ برهة.

فأخبريني مادا بك ؟ هل يتعلق الأمر ببيدرو، حقاً ؟

- نعم.

- إذا كنت مازلت تحبينه. كيف إذن ستتزوجين من جون ؟

- لن أستطيع أن أتزوجه، لا أستطيع ذلك.

عانقت تيتا خيرتروديس وبكت على كتفها بصمتٍ.

ربتت خيرتروديس على شعرها بحنان. ولكن دون أن تهمل حلو التورريخاس الذي كان على الموقد. سيكون مؤسفاً ألا تستطيع أكله. ولما كان على وشك الاحتراق، أبعدت تيتا عنها وقالت برقة:

- دعيني فقط أرفع هذا من فوق النار وتتابعي البكاء حالاً. أليس كذلك ؟

لم يكن أمام تيتا إلا أن تضحك لأن خيرتروديس في تلك اللحظات كانت أكثر انشغالاً بمستقبل التورريخاس أكثر منها، كان هذا التصرف مفهوماً بالطبع، فمن جهة كانت خيرتروديس تجهل خطورة مشكلة أختها ومن جهة أخرى كانت لديها رغبة قوية في أكل التورريخاس.

سحبت تيتا بنفسها وهي تمسح دموعها، الحلة من فوق النار، لأن يد خيرتروديس احترقت وهي تحاول ذلك.

عندما تبرد فطيـرات القشدة، تقطَّع إلى مكعبات صـغيرة، في حجم لا يجعلها سهلة الكسر. يضرب البياض لكى تغمس فيه مكعبات القشـدة ثم تقلى بعد ذلك في الزيت. وأخيراً توضع في شراب السكر وترش بالقرفة المطحونة.

وبينما تركتا مكعبات القشدة لتبرد لإمكانية رشها بعد ذلك، اعتـرفت تيتا لخـيرتروديس بكل مشـاكلها. أظهرت لهـا كيف أن بطنها منتفخ وأن ملابسها وجـونلاتها قد ضاقت عليها. ثم حكت لها كـيف عند استيقـاظها كل صباح كـانت تشعر بدوار وغثـيان وكيف أن نهديها يؤلمانها بشدة ولا تتحمل أن يلمسهما أحد. وفى النهاية، كمن لا يرغب في الأمـر، قالت لها إن ذلك قد يكون، من يدرى، ربما، محتمل جدا، بسبب أنها في بداية حمل.

استـمعت لهـا خيرتروديس بهـدوء وبدون أى اندهاش ولو للحظة. فخـلال الثورة كانت قـد رأت وسمعت أشيـاء اسوأ من هذه بكثير.

- أخبرينى، هل تعلم روساورا بذلك ؟

- لا، لا أعلم ماذا ستفعل إذا علمت بالحقيقة.

- الحقيـقة! الحقيقة! انظرى يا تيـتا، الحقيقة البـحتة هو أن الحقـيقة ليست قـائمة، إنها تعـتمد على وجهـة نظر كل إنسان. فـمثـلاً، في حالتك، يمكـن أن تكون الحقـيقـة أن روساورا قـد

تزوجت من بيدرو، بسوء نية، دون أن يهمها قيد أنملة أنكما كنتما متحابين بحق، حقيقى أننى لا أكذب ؟

- بلى. لكن المسألة هى أنها هى الآن الزوجة، ولست أنا.

- وما أهمية ذلك! هل غيَّر ذلك الزواج شيئاً فيما كان بيدرو وأنت تشعران بحق؟

- لا.

- لا حقيقة ؟ بالطبع! لأن ذلك هو أحد أشد حالات الحب صدقاً التي رأيتها بحق في حياتى. وقد ارتكبتما أنت وبيدرو خطأ بكتمان حقيقته. لكن مازال الوقت أمامكما. انظرى، لقد ماتت ماما، و الحقيقة أنها لم تكن تتفهم الأسباب، لكن الأمر مع روساورا مختلف، فهى تعلم جيداً الحقيقة و يجب أن تتفهمها، بل وأكثر من ذلك، أعتقد أنها كانت تعيها دائماً في أعماقها. لذلك فليس أمامكما إلا إعلان حقيقة ما بينكما ووضع نهاية لذلك.

- أتنصحيننى إذن بأن أتحدث معها ؟

- انظرى، إننى أخبرك بما يمكن أن أفعله لو كنت مكانك، لماذا لا تذهبين لإعداد شراب السكر الخاص بحلو التورريخاس ؟ أقول، لكى نبكر، لأن في الحقيقة الوقت بدأ يتأخر. قبلت تيتا الاقتراح وبدأت في عمل شراب السكر، وهى تفكر في كلمات

أختها بالتفصيل. كانت خيرتروديس تجلس في مواجهة باب المطبخ الذي يفضي إلى الفناء الخلفي، وكانت تيتا على الجانب الآخر من المنضدة وظهرها للباب، مما كان مستحيلاً معه أن ترى بيدرو وهو قادم نحو المطبخ، وهو يحمل جوالاً من الفاصوليا لإطعام فرقة الجند. عندئذ حسبت خيرتروديس استراتيجياً، مستغلة خبرتها الكبيرة في ميدان المعركة، الزمن الذي سوف يستغرقه بيدرو ليجتاز عتبة الباب، لتطلق نحوه في تلك اللحظة الدقيقة هذه الكلمات:

- . . . وأعتقد أنه من المستحسن إذن أن يعلم بيدرو أنك تنتظرين ابناً منه.

نجحت جداً في إصابة الهدف! فقد ترك بيدرو وهو مصعوق الجوال يسقط على الأرض. كان يموت حباً لتيتا التي أدارت ظهرها منزعجة فوجدت بيدرو الذي كان ينظر إليها متأثراً إلى درجة البكاء.

- بيدرو! من حسن الصدفة أنك جئت! إن أختي تريد أن تخبرك بشئ، لماذا لا تذهبان إلى البستان لتتحدثا، بينما أكمل أنا إعداد شراب السكر؟

لم تكن تيتا تعرف هل تعاتب خيرتروديس أم تشكرها على تدخلها. سوف تحدثها فيما بعد، لكن الآن لم يكن أمامها سوف فعل ذلك مع بيدرو. أعطت تيتا لخيرتروديس وهي صامتة، الإناء

الذي كان بين يديها والذى كانت قـد بدأت تعد فيه شراب السكر وأخرجت من درج المنضدة ورقة مجعدة مكتوب بها وصفة شراب السكر وتركتها لخـيرتروديس حتى إذا ما احتاجـتها. وخرجت من المطبخ يتبعها بيدرو.

كانت خيـرتروديس في حاجة بالطبع للطريقة. فـبدونها لا تستطيع عـمل أى شيء! بدأت تقـرؤها بحـرص محـاولة اتبـاع خطواتها: يضرب بياض بيضـة في ربع لتر ماء تقريباً لكل رطلين أو قالب مـن السكر، وبياض بيـضتين في نصف لتـر ماء تقـريباً لخمـسة أرطال من السكر وبنفس النسـبة من أجل كـمية أكـبر أو أقل. يغلى شـراب السكر حتى يفـور ثلاث مرات، يُهدَّأ الـغليان بقليل من الماء البارد الذي يضاف إليه في كل مـرة يفور فيها. عند ذلك يبعـد عن النار، يترك ليبـرد وتزال رغوته، يضاف إليـه بعد ذلك قليل آخر مـن الماء مع قطعة من قشـر البرتقـال والينسون و القرنفل ويتـرك ليغلى. تزال رغوته مرة أخـرى وعندما يصل إلى درجة الغليان و التكور، يصفى في منخل أو قطعة قماش مشدودة فـوق إطار. كـانت خـيرتـروديس تقـرأ الوصفـة وكـأنهـا تقـرأ هيروغليفي. لم تكن تفـهم ما يعنيه كمية السكر عند ذكـر خمسة أرطال سكر، ولا ما كان نصف لتر ماء ولا بالمرة ماذا كانت تعنى نقطة التكور. كـانت رأسها هى التي تكورت بـحق! خرجت إلى الفناء في طلب لمساعدة تشيتتشا.

كانت تشيتشا على وشك الانتهاء من توزيع الفاصوليا على أخوانها في الدين لخامس مـائدة إفطار. كانت هذه هى آخر مائدة عليها أن تخدمها، ولكن ما أن تنتهى من تقديم الطعام لهذه المائدة حتى كان عليـها أن تضع القادمة، كى يأكل الثـوار الذين هضموا طعامهم المقـدس على مائدة الإفطار الأولى، وهكذا دواليك، إلى أن تنتهى من تقديم الطعـام لآخر مائدة عشاء في الساعـة العاشرة ليلاً. لذلك كان مفهوماً بالطبع أن تكون أكثر عنفاً وسريعة الهياج ضد كل من يقـترب ليطلب منها أن تقوم بأى عـمل إضافى. ولم تستـثن خيرترود يس مـهما كـانت درجة " جنرالتهـا ". رفضت تشيـتشا تمـاماً أن تمد لها يـد المساعدة. إنـها لا تمثل عـضواً من فرقـتها، ولا هناك سـبب لطاعتهـا طاعة عميـاء كما كـان يفعل الرجال الذين كانوا تحت قيادتها.

التمست خيـرترود يس اللجوء إلى أختها، ولكن إحـساسها حـال دون ذلك. لم تـسـتطع بأى حـال من الأحـوال أن تقطع الحـديث بين تيتـا و بيدرو في هذه الـلحظات التي يمكن أن تكون الأكثر حسماً في حياتهما.

كانت تيتـا تسير ببطء بين أشجـار الفاكهة بالبسـتان، كانت رائحة الزهر تختلط بعـبير الياسمين، المميز لرائحـة جسدها. كان بيدرو، بجوارها، يصطحبها من ذراعها بحنان بالغ.

- لماذا لم تخبريني بالأمر ؟

- لأنني كنت أريد اتخاذ قرار أولاً.

- وهل اتخذته ؟

- لا.

- إذن أعتقد أنه من المناسب قبل اتخاذ القرار أن تعلمى أن يكون لى ابن منك هو بالنسبة لى أكبر سعادة يمكن تحقيقها. ولكى أستمتع بها كما يجب أريد أن نمضى بعيداً عن هنا.

- لا يمكننا أن نفكر في نفسينا فقط، فهناك روساورا واسبرانثا. ماذا سيكون من أمرهما ؟

لم يستطع بيدرو الرد عليها. لم يكن قد فكر فيهما حتى الآن، والحقيقة أنه لم يكن يرغب فى الإضرار بهما ولا التوقف عن رؤية ابنته الصغيرة. كان يرغب فى أن يكون هناك حل لصالح الجميع. كان عليه أن يجده. كان واثقاً على الأقل من شيء وهو أن تيتا لن تذهب من المزرعة مع جون براون.

أزعجهما صوت خلفهما. كان أحد ما يسير خلفهما، أطلق بيدرو بسرعة ذراع تيتا وأدار رأسه خفية ليرى من يكون. كان البولكيه، الذي كان يبحث عن أفضل مكان ينام فيه بعد أن ضجر من سماع صراخ خيرتروديس في المطبخ. على كل حال قررا

إرجاء حديثهما لوقت آخر. فقد كان هناك أناس كثيرون في أرجاء البيت، وكان من المجازفة الحديث في هذه الأشياء شديدة الخصوصية.

لم تستطع خيرتروديس التي كانت بالمطبخ أن تجعل السيرجنت تريبينيو يعد شراب السكر كما تريد هى، بالرغم من الأوامر التي أعطتها له. كانت نادمة على أنها وثقت في تريبينيو في مهمة بهذه الأهمية، ولكن لأن خيرتروديس سألت مجموعة من الثوار عمن يعرف ما هو الرطل فأجابها هو بسرعة أن رطل يعادل ٤٦٠جم وأن "كوارتيبو" يعنى ربع لتر، فاعتقدت هى أنه يفهم الكثير في المطبخ، ولم يكن كذلك.

الحقيقة أنها كانت المرة الأولى التي يخفق فيها تريبينيو في شئ تكلفه به. إنها تتذكر أنه في مرة كان عليه أن يكتشف أحد الجواسيس كان قد اندس بين الفرقة.

كانت إحدى الجنديات، وهى عشيقته، قد علمت بنشاطاته عندئذ أطلق عليها الرصاص بلا رحمة قبل أن تبلغ عنه. كانت خيرتروديس عائدة من الاستحمام في النهر ووجدتها تحتضر. استطاعت الجندية أن تعطيها علامة للتعرف على شخصيته. فقد كان لدى الخائن شامة حمراء على شكل عنكبوت في بطن فخذه.

لم يكن باستطاعة خيرتروديس فحص كل الرجال فبالإضافة

إلى أن ذلك يعرضهـا للتأويلات السيئة، فـإن الخائن كان يمكن أن يشك ويهرب قـبل أن يجدوه. عندئذ كلفت تريبينيو بالمـهمة. لم تكن بالنسبة له هو الآخر مهمـة سهلة. فما كان يمكن أن يظن في شخصـه أسوأ مما يمكن أن يظنوه في خيرتـروديس إذا ما أخذ في تقصـى شكل منطقة مـا بين فخـذى جميع أفـراد الفرقـة، انتظر تريبينيو عندئذ بصبر حتى الوصول إلى سالتيو.

وبعد أن دخلوا المدينة مباشرة بـدأ مهمة الطواف بكل بيوت الدعارة الموجودة وغزو قلوب جميع العاهرات بها مستغلاً فنوناً لا تحصى. ولـكن الفن الرئيسى كـان معـاملتهن مـعاملة السـيدات المحتـرمات. كـان يشـعرهن بأنهن ملكات. كـان مهـذباً معـهن ولطيفـاً، وكان وهو يمارس معـهن الحب يسمـعهن أبياتاً شـعرية وقصائد. لـم تكن هنالك واحدة لم تقع في حبائله ولا تكون على استعداد للعمل من أجل القضية الثورية.

بهذه الـطريقة، لم يمر أكـثر من ثلاثة أيام إلا وتم التـعرف على الخائن ونصب كـميناً له بمشاركـة صديقاته العاهرات. فـقد دخل الخائن في حـجرة بيت دعـارة مع شقراء مـؤكسدة شـعرها تسمى "لارونكا". وكان ينتظره خلف الباب تريبينيو.

أغلق الأخيـر الباب بركلة من قـدمه وباستـعراض عنف لا مثيل له قـتل الخائن ضرباً. وبعد أن فارق الحـياة بتر له خصيـتيه بسكين.

عندما سألته خيرتروديس لماذا قتلته بكل هذا الحنق وليس بطلق نارى فقط، أجابها بأنها كانت عملية ثأر. فمنذ زمن قام رجل كان لديه في بطن فخذيه وحمة على شكل عنكبوت باغتصاب أمه وأخته. وكانت الأخيرة قد أفشت له ذلك قبل الموت. بهذه الطريقة فإنه قد غسل عار أسرته. كان ذلك هو التصرف الوحشى الوحيد الذي قام به تريبتينو في حياته، وفيما عدا ذلك كان إنساناً رقيقاً وظريفاً حتى في القتل. كان يقوم به بنبل كبير. ومنذ أن قبض على الجاسوس واشتهر تريبينيو بأنه زير نساء متمرس. ولم تبعد هذه الشهرة كثيراً عن الحقيقة، ولكن حب حياته كانت دائماً خيرتروديس. حاول هباءً غزو قلبها لسنوات طويلة ولكن دون أن يفقد الأمل. حتى التقت خيرتروديس ثانية بخوان. عندئذ تنبه إلى أنه قد فقده إلى الأبد. إنه يخدمها الآن مثل كلب حارس، يحمى ظهرها، دون أن يبتعد عنها ثانية واحدة.

كان واحداً من أفضل جنودها في ميدان المعركة، ولكنه في المطبخ لم يكن له أى دور. كان يؤلم خيرتروديس أن تبعده من هناك لأن تريبينيو كان حساساً جداً وعندما كانت تلومه على شئ كان يرجعه إلى الشرب. هكذا لم يكن أمامها خيار آخر سوى الصبر على سوء اختيارها ومحاولة أن يكون كل شئ على أفضل ما يمكن. قرأ الاثنان، بحرص، خطوة بخطوة الوصفة وهما

يحاولان تفسير ما بها.

إذا ما أريد تنقية شراب السكر أكثر، إذا مـا كان سيستخدم في تحليـة المشروبات الروحـية، فـإنه بعد الخطوات المذكـورة نميل الحلة أو الوعاء الذي يحـتويه، ويترك ليـروق ثم يصفى مما به من عوالق، أو، وهو نفـس الشئ، يفصل عن الرواسب بأقل حـركة ممكنة.

لم يكن في الوصفة شـرح لما هى نقطة التكور، لهذا أمرت خيـرتروديس السيرجنت أن يـبحث عن الإجابة في كـتاب كبـير للطهى كان فوق دولاب الأوانى.

بذل تريبينيـو جهداً ليجد المعلومـة المطلوبة، لكنه لأنه كان يقرأ بالكاد، كان يراجع بـبطء بإصبعه كلمات الكتـاب، أمام نفاد صبر خيرتروديس.

" هناك أكثـر من درجة مميزة لنضج شـراب السكر: شراب سكر خفـيف، وخفيف جـداً، ولؤلؤى وشراب سكر لؤلؤى رائد وغليظ وسن ريشـة ومـضـبوط وسكـر محـروق وشـراب السكر المتكور. . . "

- أخيراً! هاهو شراب السكر المتكور ياقائدتى!

- لنر، هات هنا! لقد أصابتنى باليأس.

قرأت خيرتروديس للسيرجنت الإرشادات، بفصاحة وصوت عال.

- " لمعرفة ما إذا كان شراب السكر قد وصل إلى هذه النقطة، تبلل الأصابع في جردل أو دورق ماء بارد ونقبض الشراب، ثم نعود فنضعها مرة أخرى سريعاً في الماء: فإذا ما تكورً عندما يبرد وأصبح ملمسه كالعجين، فإنه يكون قد نضج عند درجة أو نقطة التكور ". فهمت ؟

- نعم، أعتقد ذلك يا قائدتى.

- أفضل لك لأنه لو لم يكن أقسم لكنت أمرت بقتلك رمياً بالرصاص!

كانت خيرتروديس قد استطاعت أخيراً أن تجمع كل المعلومات التي تبحث عنها، الآن لم يعد أمامها سوى أن يعد السيرجنت شراب السكر إعداداً جيداً، وتستطيع أخيراً أن تأكل حلو التورريخاس المتلهفة جداً إليها.

قام تريبينيو، وهو يضع في اعتباره التهديد الذي كان يثقل كاهله إذا لم يطه بشكل جيد لقائدته، بمهمته بالرغم من عدم خبرته.

احتفى الجميع جداً بذلك. كان تريبينيو في منتهى السعادة وهو يحمل بنفسه إلى تيتا في غرفتها قرصاً من التورريخاس أرسلته لها خيرتروديس كإشارة لنجاح له. لم تنزل تيتا لتأكل وأمضت المساء في السرير. دخل تريبينيو الغرفة ووضع الحلو فوق

مائدة صغيرة تستخـدمها تيتا بشكل خاص عندما ترغب في تناول طعامهـا هناك وليس في حجرة الطعـام. شكرته كثيراً لاهتـمامه وهنأته، لأن حلو التورريخـاس كان بالفعل لذيذا. أسف تريبـينيو لشعور تيتـا بتوعك فقد كان يسعده أن تقبل طلبـه في أن يراقصها في الحفل الراقص الذي نظمه لوداع الجنرالة خـيرتروديس. وعدته تيتـا أنها يسعـدها أن تراقصه، إذا ما وجـدت نفسهـا قادرة على النزول إلى الحفل. ذهب تريبينـيو بسرعة ليتحـدث بفخر إلى كل الفرقة بما قد قالت له تيتا.

مـا أن خرج السـيـرجنت حـتى نامت تيتـا من جـديد في السرير، لم يكن لديهـا أى رغبة في التحرك من هناك، فـقد كان انتفاخ بطنها لا يسمح لها بأن تظل جالسة لوقت طويل.

فكرت تيتـا في كم المرات التي زرعت فيـها ذرة وفاصـوليا وبرسيمـاً وبعض البذور الأخرى و الحبـوب، دون أن تكون لديها أى فكرة عن مـا تشعر به تـلك البذور وهى تنمـو وتتغيـر بشكل جوهرى. الآن تشـعر بإعـجاب بالوضع الذي كـانت تفتح فـيه جلدها وتجـعل الماء يتخللهـا بحرية، حـتى تنفلق وتعطى فـرصة للحـياة. بأى فـخر كـانت البـذور تُخرج من داخلهـا أول طرف للجذر، بأى تواضع كـانت تفقد شكلهـا الأول، بأى لطف كانت تظهر للدنيا أوراقها. كان يسعـد تيتا أن تكون بذرة متواضعة ليس عليها أن تضع اعتبـارا لأحد لما يدور في داخلها، وأن تستطيع أن

تظهر للدنيا بطنها وهو ينبت دون أن تتعرض لرفض المجتمع. إن البذور لا تعانى هذا النوع من المشاكل، وهى بشكل خاص، ليس لديها أماً تخشاها، ولا خوف من أن يحاكموها. حسناً، لم يكن عند تيتا، مادياً، أم، ولكنها لم تكن تستطيع أن تدفع عنها الإحساس بأنها سوف يُنزل بها، بين لحظة وأخرى، عقاب هائل من السماء، بتشجيع ماما إيلينا. كان هذا الإحساس يلازمها بشدة: كانت تربط بينه وبين الخوف الذي كانت تشعر به عندما لم تكن تتّبع في المطبخ الوصفات حرفيا. كانت تفعل ذلك دائماً وهى متأكدة بأن ماما إيلينا سوف تكتشفها وبدلاً من أن تحتفل بإبداعها كانت تلومها بشدة لأنها لم تحترم القواعد. لكنها لم تستطع تفادى الرغبة في انتهاك القواعد الصارمة جداً التي كانت أمها تريد فرضها داخل المطبخ. . . والحياة.

مكثت فترة طويلة للراحة، ممتدة فوق السرير ونهضت مرة أخرى فقط عندما سمعت بيدرو يغنى تحت نافذتها أغنية عاطفية. وصلت تيتا بقفزة إلى النافذة وفتحتها. كيف يمكن أن يتجرأ بيدرو على فعل ذلك! وعندما رأته، عرفت السبب. فقد كان يبدو من على بعد أنه ثمل للغاية، كان خوان بجواره يصاحبه بالجيتار.

استاءت تيتا للغاية، ياليت روساورا تكون نائمة، وإلا فكم سيكون ما سوف تثيره!

دخلت ماما إيلينا الحجرة حانقة وقالت لها:

- أرأيت ما تتسببين فيه ؟ إنك أنت وبيدرو وغدان. إذا أردت عدم إراقة دماء في هذا البيت، اذهبي إلى حيث لا تستطعين إيذاء أحد، قبل أن يفوت الأوان.

- أنت التي يجب أن تذهبى لقد تعبت من إيلامك لى. اتركينى وشأنى مرة واحدة!

- لن أفعل ذلك حتى تتصرفى مثل امرأة صالحة. أو بمعنى أصح حسب الأصول!

- وما هو التصرف بأصول ؟ كما كنت تفعلين ؟

- نعم.

- ذلك ما أفعله! أو أنك لم تكن لديك ابنة غير شرعية ؟

- سوف تهلكين لمحادثتى بهذه الطريقة!

- ليس أكثر مما أنت عليه!

- أغلقي فمك! ماذا تعتقدين في نفسك ؟

- أعتقد ما هو أنا! إنسانة لديها كل الحق في أن تعيش الحياة على أفضل ما يروق لها. اتركيني مرة واحدة، لم أعد أتحملك! بل أكثر من ذلك! إنني أكرهك وكنت أكرهك دائماً!

ذكرت تيتا الكلمات السحرية لتختفى ماما إيلينا للأبد.

بدأت صورة أمهـا الهائلة تتضاءل إلى أن تحولت إلى ضوء صـغير جداً. وبمقـدار ما كـان الشبح يتـلاشى كانت الراحة تـنمو داخل جسد تيتا. وبدأ انتفـاخ بطنها وألم نهديها في الضعف، وتراخت عضلات بطنها مما أتاح الفرصة لخروج الطمث باندفاع.

خفف هذا التـفريغ الذي كـان محبـوساً أيامـاً عديدة، من آلامها. تنفست بعمق وهدوء. لم تكن حاملاً.

ولكن مشاكلهـا لم تنته بذلك. فالضوء الصـغير الذي آلت إليه صورة ماما إيلينا بدأ في التحرك بسرعة.

اخترق زجـاج النافذة وخرج منطلقاً نحو الفناء، مـثل لعبة نارية مجنونة لم ينـتبه بيدرو وهو ثمل، لـلخطر. كان يغنى وهو سعـيد جداً " استـرِييتا " لمانويل بونشـيه، تحت نافذة تيـتا، وهو مـحاط بالثـوار السكارى مثلـه. لم يشعـر كل من خيـرتروديس وخوان بالمصيبـة. كانا يرقصان مثل مراهقين متـحابين حديثاً تحت ضوء أحد مصابيح الزيت العديدة التي كانت منثورة في كل أنحاء الفناء لإضاءة الإحـتفال. فـجأة اقتـربت اللعبـة النارية من بيدرو ودارت بسرعة جنونية، وبهياج أدت إلى انفجار أقرب مصباح منه إلى ألف قطعة. نثر الزيت اللهب بسرعة فوق وجه وجسد بيدرو.

سمعت تيـتا، التي كانت تنتهى من اتخاذ الوسـائل المناسبة لاستقبـال طمثها، الضجة التي أدى إليـها حادث بيدرو. وصلت

بسرعة إلى النافذة، فتحتها ورأت بيدرو وهو يجرى في كل الفناء متحولاً إلى شعلة بشرية. عندئذ انتبهت خيرترود يس إلى الأمر، نزعت بسرعة أسفل فستانها وغطت به بيدرو وهى ترديه أرضاً.

لم تعرف تيتا كيف هبطت الدرج ولكنها كانت بجوار بيدرو خلال عشرين ثانية فقط. كانت خيرترود يس في تلك اللحظة تخلع له الملابس المحترقة. حمله عدة رجال بينهم بحرص لتوصيله إلى غرفته. أمسكت تيتا يد بيدرو الوحيدة التي نجت من الحروق ولم تنفصل عنه. وعندما كانوا يصعدون به السلم، فتحت روساورا باب غرفتها.

أحست بسرعة برائحة قوية لريش محترق. اقتربت من السلم بنية الهبوط لترى ما يجرى، وهناك تقابلت مع المجموعة التي كانت تحمل بيدرو ملتحفاً بالدخان. كانت تيتا، بجواره، تبكى بحزن.

كانت أول محاولة لروساورا هى الإسراع لمساعدة زوجها. حاولت تيتا ترك يد بيدرو للسماح لروساورا من الاقتراب منه، لكن بيدرو، بين أنات وهو يخاطبها لأول مرة بأنتِ، صرخ:

- لاتذهبى يا تيتا، لا تتركينى.

- لا يا بيدرو، لن أفعل ذلك.

تناولت تيتا من جديد يد بيدرو. نظرت روساورا و تيتا كل

منهـما للأخـرى للحظة بتـحد. عندئذ أدركت روسـاورا أن ليس لديها ما تفعله هناك، دخلت غرفتها وأغلقت على نفسها بالمفتاح. ولم تخرج من هناك طوال أسبوع.

ولأن تيتا لم تستطع ولم تكن تريد الابتعاد عن جانب بيدرو فقـد أمرت تشينتـشا أن تحضر لهـا بياض بيض مخـفوق مع زيت وكمـية كبيـرة من ثمرات البابا المهـروسة جيـداً. كانت هذه هي أفضل الطرق التي تـعرفها لـعلاج الحروق. يوضع بيـاض البيض بواسطة ريشة رقيقة فوق المنطقة المصابة، وتكرر العملية كلما جف فيـها الدهان. ثم توضع بعد ذلك لزقـة من البابا النيئة المهـروسة لتقليل الالتهاب وتخفيف الألم.

أمـضت تيـتا طوال الليـل وهى تجرى له هذه الـعلاجـات المنزلية. بينما كـانت تضع له لزقة البابا، كانت تتـأمل وجه بيدرو المحبوب. لم يكن هناك أثر لحاجبيه الكثيفين ورموشه الطويلة. أما ذقنه المربعـة فقد أخـذت الآن شكلاً بيضـاوياً بسبب تورمـها. لم يكن يهم تيـتـا أن يظل به أى أثر ولكن ربما لـبيـدرو نعم. مـاذا يوضع له لتفـادى أن تبقى به أية ندوب ؟ أعطتها ناتشـا الإجابة، التي كانت قد أعطتـها لها بدورها " ضوء الفـجر " : افضل شئ لهذه الحـالات هو أن تضع لبـيدرو قشـرة شجـرة التيـبثكويتـيه. أسـرعت تيـتـا إلى الفناء دون أن تبـالى بأن اللـيل جن، أيقظت نيكولاس وأمـرته بإحضـار تلك القشـرة، من أفضل سـاحر في

المنطقة. وعند الفجر تقريباً استطاعت تهدئة آلام بيدرو قليلاً، وأن ينام للحظة. استغلت ذلك للخروج لوداع خيرتروديس، فقد كانت تسمع منذ برهة خطوات وأصوات أفراد فرقتها وهم يجهزون الأحصنة للرحيل.

تحدثت خيرتروديس طويلاً مع تيتا، أسفت لعدم تمكنها من البقاء لمساعدتها في المحنة، لأنها كانت قد بلغتها الأوامر بمهاجمة ثاكاتيكاس. شكرتها خيرتروديس على اللحظات السعيدة التي أمضتها بجوارها ونصحتها بعدم التوقف عن الكفاح من أجل بيدرو وقبل أن تودعها أعطتها وصفة كانت تستخدمها الجنديات لمنع الحمل؛ فبعد كل علاقة جنسية كن يغتسلن داخلياً بماء مطهر بالغلي به عدة قطرات من الخل. اقترب خوان منهما وقطع المحادثة، ليخبر خيرتروديس بأن ساعة الرحيل قد حانت.

عانق خوان تيتا بشدة وبعث لبيدرو، عن طريقها، أمنياته الطيبة بالشفاء. تعانقت تيتا وخيرتروديس وهما متأثرتان. امتطت خيرتروديس حصانها وذهبت. لم تكن فوق الحصان وحدها، كانت تحمل بجانبها، في الخرج، طفولتها حبيسة برطمان من حلو توررريخاس بالقشدة.

رأتهم تيتا يرحلون والدمع في عينيها. وتشيتشا أيضاً، ولكن على العكس من دموع تيتا، كانت دموع السعادة. فأخيراً تستطيع الراحة!

عندمــا كانت تيــتا تهم بدخــول البيت من جــديد سمــعت صيحة من تشيتتشا:

- مستحيل! إنهم يعودون.

بالفعل، كــان يبدو أن أحــد أفراد الجند يعــود إلى المزرعة، ولكن كان من الصــعب تبين من يكون نتيــجة سحب الغــبار التى أثارتها الأحصنة وهى ترحل.

أمعنتــا النظر، علمتــا بسعادة أنهــا عربة جون. لقــد عاد. شــعرت تيــتا عنــد رؤيته بالاضطراب تمامــاً. لم تكن تعلم مــاذا ستفعل ولا ماذا ستقول له. فمن جــهة كانت سعيدة جداً لرؤيته، ولكن، من جهة أخــرى، كانت تشعر بالضــيق الشديد؛ لأنه كان عليهــا أن تلغى ارتباطها بالزواج منه. جــاء جون إليها ببــاقة ورد كبيرة. عانقها بانفعال وعندما قبّلها تنبه إلى أن شيئاً قد تغير داخل تيتا.

الفصل الحادى عشر

نوفمبر

فاصوليا ناشفة بالفلفل الحار على الطريقة التشلوكانا

المقادير:

فاصوليا جافة - لحم خنزير - بقايا شحم خنزير - فلفل أحمر حار رومى - بصل - جبن مبشور - خس - ثمر الافوكاتو - فجل - فلفل أحمر حار بلدى من نوع تورنا - زيتون

طريقة العمل

يتم سلق الفاصـوليا أولاً في ماء و ملح تيكيسكيـتيه [٢٩] ، وبعـد غـسلهـا توضع مـرة أخـرى لتطهى مع قـطع لحم الخنزير والشحم.

كان أول ما فعلته تـيتا عندما استيقظت في الخامـسة صباحاً هو وضع الفاصوليا لتسلق.

كان مدعـواً اليوم على الطعام كل من جون وعمـته مارى، التي كانت قد جاءت من بنسلفانيا فقط لحضور زفاف تيتا وجون. كانت العـمة مارى تتشـوق إلى التعرف على خطيبـة ابن شقيقـها المفـضل ولكنها لم تسـتطع ذلك لأن الوقت غـير مناسب بسـبب ظروف بيدرو الصحيـة. انتظرا أسبوعاً حتى يتماثل للشـفاء للقيام بزيارة رسمية. كانت تيتا مستـاءة للغاية لعدم استطاعتها إلغاء هذه الزيارة لأن عمة جـون كانت تبلغ من العمر ٨٠ عامـاً وكانت قد

(٢٩) من أنواع الملح الطبيعى.

قدمت من بعـيد جداً على أمل التعـرف عليها فقط. كـان أقل ما يمكن أن تقدمـه تيتا للعمـة مارى هو وجبـة طيبة للمسنة الدمـثة وجون، ولكن لم يكن لديها ما يمكن أن تقدمه لهما سوى نبأ أنها لن تتزوج من جون. كـانت تشعر بخواء تام، مثل طبق كـبير لم يتبق فيه سـوى فتات فطيرة رائعة كانت. بحـثت عن مواد غذائية في حجرة الخزين ولكنها كانت خاوية منها، لم يكن لديها بالفعل أى شئ. لقـد أتت زيارة خيـرتروديس للمـزرعة على المخـزون. الشئ الوحيـد الذي بقى في الشونة، بخلاف الذرة التي تسـتخدم في صنع عجة لذيذة، كان الأرز والفاصـوليا. ولكنها بإرادة طيبة وابتكار استطاعت إعـداده وجبة جيـدة. فقائمـة طعام مكونة من أرز، موز ماتشو (طوله ٣٠سم) وفاصـوليا على طريقة التشكوكانا لن تكون شيئاً سيئا بالمرة.

لأن الفاصوليا لم تكن جديدة كما يحدث في أوقات أخرى وتوقعاً أنها ستأخذ وقتاً أكثـر من المعتاد حتى تنضج فإنها وضعتها على النار مـبكراً وبينما كـانت تنضج، انشغلت فـي إزالة عروق الفلفل الأحمر الحار العريض.

بعد إزالة عروق الفلفل، ينقع في مـاء ساخن ثم يهرس في النهاية.

بعد أن تركـت تيتا الفلفـل منقوعاً في المـاء، أعدت إفطار بيدرو وحملته له إلى حجرته.

كان قد شفى إلى حد ما من حـروقه. لم تتوقف تيتا بالمرة عن أن تدهن له بقشرة التيثكويتيه وبهذا تفادت أن يبقى ببيدرو أي آثار ندب. كان جون قد استحـسن العلاج. وكان هو بنفسه يتابع منذ وقت، بشغف، التجارب باستـخدام هذه القشرة والتى كانت جدته " ضوء الفجـر " قد بدأتها. كان بيدرو ينتظر تيـتا بلهفة. فبجانب الـوجبات اللذيذة التي كانت تحملها له يومـياً، كان هناك عنصر واضح آخر قد أثَّر في شفائه العجيب: الحوارات التي كانت تقيمها معـه بعد أن يتناول غذائه. لكن هذا الصباح لم يكن عند تيتا الوقت لتتفرغ له، كـانت تريد أن تعد الطعام لجون على أكمل وجه ممكن. قال لها بيدرو وهو ينفجر من الغيرة:

- ماكان يجب عليك هو أنه بـدلاً من دعوته على الطعام، أن تخبريه مرة واحدة أنك لن تتزوجيه، لأنك في انتظار ابن لى.

- لا أستطيع أن أخبره بذلك، يابيدرو.

- ماذا ؟ أتخشين إيذاء مشاعر السيد الدكتور.

- ليست المسـألة أنني أخاف، وإنما من غـير العدل مـعاملة جون بتلك الطريقة، إنه يستحق كل احترامى ويجب تحين اللحظة المناسبة لأتحدث إليه.

- إذا لم تفعلى أنت، فسوف أقوم أنا بذلك بنفسى.

- لا، لن تقـول شيـئاً ؛ أولاً لأننى لن أسـمح لك بذلك وثانياً، لإننى لست حاملاً.

- ماذا ؟ ماذا تقولين ؟

- ماكنت أظنه حملاً كان اضطراباً فقط، ولكننى عدت إلى حالتى الطبيعية.

- إذن، الأمر كذلك ؟ الآن أدرك تماماً ما حدث لك.

لا تريدين التحدث إلى جون، لأنه ربما تشكين في بقائك بجانبى أو زواجك منه. أليس صحيحاً ؟ لم تعودى الآن مرتبطة بى، فأنا مريض مسكين.

لم تفهم تيتا سلوك بيدرو هذا: بدا كطفل صغير غضبان.

كان يتحدث كما لوكان سيظل مريضاً بقية حياته ولم يكن الأمر يستحق كل هذا، فبعد وقت قصير سيشفى تماماً. إن الحادث الذي تعرض له قد أفسد عقله. ربما يكون رأسه مليئاً بالدخان الذي بعثه جسده عندما احترق وهكذا مثلما يغير رغيف الخبز المحترق من رائحة البيت كله فتصبح كريهة، كان عقله المحترق يطلق هذه الأفكار السوداء مبدلاً كلماته اللطيفة المعتادة بكلمات لا تحتمل. لم يكن ممكناً أن يشك فيها، ولا أن يكون لديه النية في التصرف على عكس ماكان دائماً مظهراً لسلوكه مع الآخرين: اللياقة.

خرجت من الحجرة مستاءة للغاية، وبيدرو يصيح قبل أن تغلق الباب بأنه لا يريدها أن تحمل له الطعام مرة أخرى، وأن

ترسل تشينتشا، حتى يكون لديها الوقت الكافى لرؤية جون بدون أى مشكلة.

دخلت تيتا غاضبة المطبخ واستعدت لتناول الإفطار، فلم تكن قد أفطرت لأن أول اهتمام لها كان خدمة بيدرو ثم بعد ذلك شغلها اليومى وكل ذلك، لماذا ؟ لأجل أن بيدرو بدلاً من أن يقدر ذلك، يكون رد فعله كما فعل، إهانتها بكلماته وتصرفاته. لقد تحول بيدرو بشكل قاطع إلى وحش بسبب الأنانية والغيرة.

أعدت بعض التشيلاكيلس (٣٠) وجلست لتأكله على مائدة المطبخ. لم تكن تحب أن تأكل وحدها ولكن مؤخراً لم يكن أمامها سوى ذلك، فلم يكن بيدرو يستطيع التحرك من السرير، وروساورا رفضت التحرك من غرفتها وظلت مغلقة عليها تماماً دون أن تقبل أي طعام، وتشينتشا، بعد أن وضعت أول مولود لها، أخذت عدة أيام للراحة.

وعليه، فإن التشيلاكيلس لم يكن بنفس طعم مرات سابقة. كان ينقصه الصحبة. فجأة سمعت خطوات. فتح باب المطبخ وظهرت روساورا.

اندهشت تيتا عندما رأتها. كانت نحيفة كما كانت قبل الزواج. بعد اسبوع فقط بلا طعام! كان يبدو مستحيلاً أن تفقد

(٣٠) لون من الطعام قوامه أرغفة الذرة المطبوخة بمرق حار.

٣٠ كليو في ٧ أيام فقط، لكن هذا ما حدث. حدث لها نفس الشئ عندما ذهبت لتعيش في سان أنطونيو: نحفت بسرعة، ولكن ما أن عادت إلى المزرعة إلا وعادت إلى السمنة!

دخلت روساورا بعجرفة وجلست أمام تيتا. كانت ساعة مواجهة شقيقتها قد حانت، ولكن لن تكون تيتا من يبدأ النقاش. سحبت الطبق، وأخذت رشفة من قهوتها وبدأت بحرص في تقطيع أحرف أقراص العجة التي استخدمتها في عمل التشيلاكيلس قطعاً صغيرة.

كن متعودات على إزالة أحرف كل أقراص العجة التي يأكلنها لإلقائها للدجاج. أيضاً كن يقطعن إلى قطع صغيرة لبابة الخبز لنفس الغرض. كانت روساورا وتيتا تنظران كل منهما في عيني الأخرى بثبات وظلتا على هذا المسلك حتى بدأت روساورا النقاش:

- أعتقد أن بيننا حديثاً معلقاً، ألا ترين ؟

- بلى، اعتقد ذلك. وأعتقد أنه كان منذ أن تزوجت من خطيبي.

- حسناً، إذا أردت نبدأ من هنا. كان لديك خطيب بلا استحقاق. لم يكن يناسبك أن يكون لك.

- حسب من ؟ حسب ماما أو حسب رأيك ؟

- حسب تقليد العائلة، الذي كسرتهِ.

- والذى سوف أحطمه كلما كان ذلك ضرورياً، طالما أن ذلك التقليد الملعون لا يضعنى في اعتباره. لقد كنت املك نفس حق الزواج مثلك، وأنت لم يكن لديك الحق في أن تضعى نفسك بين شخصين متحابين بعمق.

- لم يكن بذلك العمق. لقد رأيت كيف أن بيدرو قد أبدلك بى في أقرب فرصة. لقد تزوجته، لأنه أراد ذلك. ولو كان عندك قدر من عزة النفس لكان عليك نسيانه إلى الأبد.

- لعلمك، لقد تزوجك ليكون فقط بالقرب منى. لم يكن يحبك وكنت تعلمين ذلك جيداً.

- انظرى، من الأفضل عدم الخوض في الماضى، أنا لا تهمنى الأسباب التي جعلت بيدرو يتزوجنى. لقد تزوجنى وانتهى الأمر. وأنا لن أسمح بأن تستهزآ بى أنتما الاثنين، اسمعى ذلك جيداً! لست مستعدة لذلك.

- لا أحد يحاول الاستهزاء بك ياروساورا، إنك لا تفهمين شيئاً.

- لا، من قال هذا! إنني أفهم جيداً الدور الذي تضعيننى فيه، عندما يراك كل من في المزرعة وأنت تبكين بجوار بيدرو وأنت تمسكين يده بحب؟ أتعرفين ما هو؟ إنه دور الأضحوكة!

حقـيقة أن الله لـن يغفر! وانظرى. أنا لن يهـمنى بالمرة إذا كنت وبيدرو ستذهبان للجحيم بتـبادلكما القبلات في كل ركن. وأكثر من ذلك، من الآن فصاعدا يمكنكمـا فعل ذلك كما تشاءان. طالما لا يعرف أحد، فأنا لا يهمنى؛ لأن بيـدرو سوف يحتاج إلى فعل ذلك مع أى واحدة كانت، أمـا فيما يتعلق بى، فـلن يلمسنى مرة أخرى. فـأنا نعم عندى عزة نفس! فلـيبحث عن حـقيـرة مثلك لأفـعاله الدنيـئة، ولكن مـا سيكـون بالفعل هو أنني سـأظل أنا الزوجـة في هذا البيت. وأمـام أنظار الآخـرين أيضاً. لأن اليـوم الذي يراكما أحد فيه وتضعـاننى من جديد موضع سخرية، أقسم لك أنكما سوف تندمان.

اختلط صـياح روساورا بصوت البـكاء المتعجل لاسبـرانثا. كـانت الطفلة تبكى مـنذ برهة، ولكن صـوت نهنهـاتهـا بدأ في الإرتفاع تـدريجياً إلـى أن وصل لمستويـات لا تحتمل. كـانت من المؤكد جوعانه، قامت روساورا ببطء وقالت:

- سـأذهب لإطعام ابنتى. من الآن فـصاعـدا لا أريدك أن تفعلى ذلـك، فيمكن أن تلوثيـها بالطين. فلن تتلـقى منك سوى الأفعال السيئة و النصائح السيئة.

- يمكنك أن تتأكدى من ذلك. فلن أسمح بأن تتسمم ابنتك بأفكار عـقلك المريض. ولن أسمـح بأن تحطمى لها حـياتهـا بأن تجبريها على اتباع تقليد غبى!

- آه، نعم! وكيف سوف تمنعين ذلك! مؤكـد أنك تعتقدين أنني سوف أدعك قريبة منها كـما حدث حتى الآن. لكن تنبهى يا بنية بأن ذلك لن يكـون. منذ متى رأيت أن نساء الشـوارع يسمح لهن بالبقاء بجوار بنات العائلات المحترمة ؟

- لا تقولى لى إنك تعتقدين حقاً أن عائلتنا عائلة محترمة!

- عائلتى الصغـيرة نعم. وحتى يستمـر ذلك فإننى أمنعك من الاقتـراب من ابنتى، أو أنني سوف أنظر في ضـرورة إزاحتك عن هذا البيت، الذي أورثتنى أمى إياه. أفهمت ذلك؟

خرجت روساورا من المطبخ، ومعها الرضعة التي كانت تيتا قد أعدتها لاسبرانثا وذهبت لتطعمها. كان ذلك بالنسبة لتيتا أسوأ ما يمكن أن تفعله بها. استطاعت أن تؤلمها في أعمق أعماقها.

كانت إسـبرانثا أحـد أهم الأشياء بالنـسبة لهـا في الدنيا. ياللألم الذي كانت تشعر به! بينما كانت تقطع القطعة الأخيرة من العجة الـتي كانت في يديها تمنت من كل قلبهـا أن يوارى التراب شقيقتها. فهو أقل ماكانت تستحقه.

لم تتوقف وهى تجادل روسـاورا عن تقطيع العجة إلى قطع صغيرة. وعليه فقط تركتها وهى قطع صغيرة جداً. وضعتها تيتا، وهى غاضبـة، في طبق وخرجت لإلقائها للدجـاج، حتى تكمل بعد ذلك عـمل وجبة الفـاصوليا. كـان منشر الفناء مشـغولاً كله

بغيارات اسبرانثا شديدة البياض. كانت غيارات جميلة جداً. فقد أمضين فيما بينهن أمسيات كاملة في تطريز حوافها. كان الهواء يهدهدها. وكانت تبدو مثل موجات من الزبد. صدت تيتا نظرها عن الغيارات، كان عليها، إذا كانت تريد أن تكمل إعداد الطعام، أن تنسى أن الطفلة تأكل لأول مرة بدونها. دخلت المطبخ وواصلت عمل الفاصوليا.

تحمر البصلة المفرية في الشحم. وعندما تأخذ اللون الذهبى يضاف إليها الفلفل الأحمر العريض المهروس وملح حسب الذوق. بعد نضج الخليط يضاف إليه الفاصوليا واللحم والشحم. كان غير مجدى نسيان اسبرانثا. فعندما كانت تيتا تفرغ الفاصوليا في الوعاء تذكرت كيف أن الطفلة كان يعجبها جداً حساء الفاصوليا. ولإطعامها إياه، كانت تجلسها على ساقيها، وتضع لها منشفة كبيرة على صدرها وتطعمها بملعقة صغيرة من الفضة. ياللسعادة التي شعرت بها يوم أن أحست بصوت الملعقة وهى تصطدم بطرف أول سن لاسبرانثا. لقد ظهر لها سنتان أخريان، الآن. كانت تيتا تحرص جداً على عدم إيلامها في أسنانها عند إطعامها. ياليت روساورا تفعل نفس الشىء. ولكن ما أدراها هى! إنها لم تفعل ذلك بالمرة من قبل. ولن تستطيع أيضاً إعداد حمامها بماء ورق الخس لتضمن لها نوماً هادئاً في الليل، ولن تستطيع وضع ملابسها ولا تقبيلها ولا هدهدتها، كما كانت تفعل

هى. فكرت تيتا في أنه ربما كان من الأفضل أن تغادر المزرعة. لقد خيب بيدرو أملها، وتستطيع روساورا، بدون وجودها في البيت، أن تصنع حياتها من جديد وسوف تستطيع الطفلة إن عاجلاً أو آجلاً التعود على رعاية أمها الحقيقية. فإذا ما استمرت تيتا في التحبب إليها، فإنها سوف تعانى مثلما حدث مع روبرتو. لقد انتهى الأمر، إن هذه ليست أسرتها ويمكن في أى لحظة إبعادها بنفس السهولة التي تزال فيها حصاة من الفاصوليا وهى تنقى. وعلى العكس، كان جون يعرض عليها بناء أسرة جديدة، لايستطيع أحد انتزاعها منها. إنه رجل رائع وهو يحبها كثيراً، لن يكون صعباً عليها، مع الوقت، أن تحبه بجنون. لم تستطع الاستمرار في تفكيرها فقد بدأ الدجاج معركة في الفناء. كان يبدو أنه قد جن أو أن لديه عقدة ديكة المصارعة. كانت كل دجاجة تنقر الأخرى، في محاولة لانتزاع القطع الأخيرة المتبقية من العجة على الأرض. كان يثب ويطير بلا انتظام في كل الأنحاء، وكل واحدة تعتدى على الأخرى بعنف. كان من بينه واحدة، الأكثر شراسة، استطاعت بمنقارها أن تقلع عيني كل دجاجة كانت تواجهها، ملوثة بالدماء غيارات اسبرانثا البيضاء. حاولت تيتا وهى في غاية الضيق وقف المصارعة. بأن القت بحفنات ماء. ولكن ما تحقق هو زيادة شراسته وأن تزيد من حدة التعارك. كوّن الدجاج دائرة، كانت تركض بداخلها كل دجاجة خلف الأخرى

بسرعة تثير الدوار. وفجأة وجد الدجاج نفسه قد وقع لا محالة في براثن القوة التي جلبها هو بنفسه في سباقه المتهور و لا يستطيع أن يفلت من دوامة الريش والتراب والدماء التي بدأت في الدوران والدوران بقوة متزايدة حتى تحولت إلى إعصار قوى كان يعصف بكل ما كان يجد في طريقه، بدءاً بأقرب الأشياء منه، وكانت في هذه الحالة، غيارات إسبرانثا التي كانت فوق مناشر الفناء.

حاولت تيتا إنقاذ بعض الغيارات، لكنها عندما ذهبت لالتقاطها، وجدت نفسها مجذوبة بقوة الدوامة القوية التي رفعتها عدة أمتار فوق الأرض، وجعلتها تلف ثلاث دورات شيطانية بين شراسة النقر لتنتهى بأن تلقيها بحدة حتى الطرف المقابل من الفناء، حيث وقعت مثل جوال البابا.

ظلت تيتا ملقاة على وجهها في الأرض وهى في غاية الذعر. لم تشأ أن تتحرك. فلو أمسكت بها الدوامة من جديد فإنها تكون معرضة لأن يقلع لها الدجاج عيناً. كانت هذه الدوامة التي أثارها الدجاج تخرق أرض الفناء، محدثة بئراً عميقة اختفت فيه معظم الدجاجات من هذه الدنيا. ابتلعتها الأرض. لم ينج من هذه المعركة إلا ثلاث دجاجات منتوفة الريش وعورات. اما الغيارات فلم ينج منها شئ.

فحصت تيتا، وهى تنفض الغبار عنها، الفناء: لم يكن هناك أى أثر للدجاج. شغلها أكثر اختفاء الغيارات التي كانت قد

طرزتها بحب شديد. كان يجب تعويضهـا بسرعة بغيرها جديدة. حسناً، فى الحقيقة، إنها لم تعد مشكلتها، لقد قالت روساورا إنها لا تريدها أن تقترب بعد ذلك من اسبرانثا. أليس كذلك ؟ إذن، لتتـول هى حل مشكلتهـا وتتولى تيتـا حل مشكلتهـا والتى كانت تنحـصر فـقط في هذه اللحظة في إعـداد الطعام لجـون وللعمـة مارى.

كان شىء غيـر طبيعى يجرى. تذكرت تيتـا أن ناتشا كانت تقول لهـا دائماً انه عندمـا يقوم اثنان أو اكثـر بالجدال بينمـا تعد التماليس (٣١)، فإن هذه تظل نيئة. ويمكن أن تمر أيام و أيام دون أن تنضج، لأن التماليس تكون غـاضبة. وفى هذه الأحوال يكون من الضرورى الغناء لها، لكى تسعد ويمكنها النضج. ظنت تيتا أن هذا نفسه ما قد حدث مع الفاصولـيا، لأنها حضرت مشادتها مع روساورا. عندئـذ لم يكن أمامهـا سوى مـحاولة تعـديل حالتـها المعنوية و الغناء للفاصوليا بحب لأن الوقت كان قصيراً جداً أمامها ليكون الطعام جاهزاً لمدعويها.

لهذا، كان من المناسب لها أن تـبحث في ذاكرتها عن لحظة سعادة ما كـبيرة وإحيائها وهى تغنى. أغلقت عـينيها وبدأت تغنى فالسـاً يقول: " أنا سعيـد منذ أن رأيتك، أعطيتك حبى وفـقدت

(٣١) أكلة مكونة من اللحم المقطع إلى أجزاء صغيـرة مع صلصلة الطماطم وعجين الذرة تطهى فى الفرن فى كسرولة

روحى. . . " . أتت إلى ذكرها متدافعة صور أول لقاء لها مع بيدرو في الحجرة المظلمة. الولع الذي جرّد به بيدرو لها ملابسها، والذى أدى إلى احتراق لحمها أسفل جلدها بتلامسه بتلك اليدين المتوهجتين. كانت الدماء تغلى تحت عروقها. القلب يطلق فوراناً من الولع. بدأ الإحتدام في الاستسلام معطياً الفرصة لحنان متناهٍ استطاع تهدئة نفسيهما القلقتين.

بينما كانت تيتا تغنى، كان حساء الفاصوليا يغلى باحتدام. جعل الفاصوليا السائل الذي كانت تسبح فيه يتخللها وبدأت في الانتفاخ حتيانشقت تقريباً. عندما فتحت تيتا عينيها أخرجت إحدى حبات الفاصوليا لاختبار درجة نضجها، تحققت من أن الفاصوليا قد بلغت درجة النضج المناسبة. إن هذا سوف يوفر لها الوقت الكافى لتعد نفسها، قبل وصول العمة مارى. تركت المطبخ وهى سعيدة للغاية وتوجهت إلى غرفتها لتأخذ زينتها. كان أول ما عليها هو غسل أسنانها. فقد أدى التمرغ في التراب الذي عانت منه بسبب دفع الريح الذي سببته دوامة الدجاج، إلى امتلاء أسنانها بالتراب. أخذت قليلاً من البودرة لتنظيف أسنانها وقامت بتفريشها بقوة.

لقد تعلمت في المدرسة إعداد هذه البودرة. وهى تصنع بوضع نصف أوقية من زنبق فلورنسا ودم الأخوين [٣٢]، يتم

(٣٢) أسماء أنواع من العطارة.

سحق كل هذه المكونات وتخلط. كانت المعلمة خوبيتا هى المكلفة بعملها. كانت معلمتها لثلاثة أعوام متتالية. كانت امراة قصيرة ورقيقة للغاية. كان الجميع يتذكرها. ليس فقط للمعارف التى نقلتها لهم وانما لأنها كانت ذات شخصية بحق. يقولون إنها ترملت وهى فى الثامنة عشرة وإن لها ابن. وقد رفضت أن تجلب للإبن زوج أب وأمضت حياتها، بإرادتها، فى عزوبية مطلقة. حسناً من يدرى إلى أى درجة كانت مقتنعة بهذا الحل و إلى أى درجة قد أثّر عليها، فالمسكينة، مع مرورالسنين، بدأت تفقد صوابها. كانت تعمل نهاراً وليلاً لتضع حداً للأفكار السيئة. كانت جملتها المفضلة "إن الفراغ أم الرذائل كلها". وهكذا لم تكن ترتاح و لا ثانية خلال اليوم. كانت دائماً تعمل وتنام أقل. مع الوقت أصبح العمل داخل بيتها لا يكفى بالدرجة التى تهدئ من طاقتها، وهكذا كانت تخرج فى الخامسة صباحاً إلى الشارع لكنس الرصيف، الخاص بها والخاص بجاراتها. بعد ذلك وسعت دائرة عملها إلى مجموعة المساكن الأربعة التى كانت تحيط ببيتها وهكذا شيئاً فشيئاً، فى تزايد، حتى وصلت إلى كنس كل شارع بيدراس نجراس قبل أن تذهب إلى المدرسة. كان يعلق أحياناً بشعرها بعض بقايا القمامة وكان الصغار يستهزئون من ذلك. اكتشفت تيتا وهى تنظر فى المرآة أن شكلها يشبه معلمتها. ربما كان فقط بسبب ريش الدجاج الذى كان يعلق بشعرها بسبب

تمرغها فى التراب، ولكن تيْتا أحست أيضاً بالرعب.

لم تكن تريد بالمرة أن تتحول إلى خوبيتا أخرى. نفضت الريش ومشطت شعرها بعد أن فرشته بقوة ونزلت لاستقبال جون ومارى اللذين كان وصولهما فى تلك اللحظة. فقد أعلن نباح البولكيه عن وجودهما فى المزرعة.

استقبلتهما تيتا فى الصالة. كانت العمة مارى مثلما تخيلتها تماماً: سيدة مسنة رقيقة ولطيفة. فبالرغم من السنوات التى تحملها على عاتقها، كان هندامها مثالياً.

كانت تضع قبعة مميزة من الزهور، لونها باستيل، متباينة مع بياض شعرها. والقفاز الذى تضعه متناسقاً مع لون شعرها ويلمع ببياض ناصع. كانت تستند فى سيرها إلى عصا من الموجنة بمقبض من الفضة على شكل بجعة. كان حوارها من أمتع ما يمكن! أعجبت العمة بتيتا وهنأت ابن أخيها كثيراً على اختياره السليم، وتيتا على انجليزيتها المتقنة فى الكلام.

اعتذرت تيتا عن عدم حضور أختها، لشعورها بتوعك ودعتهما إلى حجرة الطعام.

أعجبت العمة بالأرز بالموز المقلى وأثنت كثيراً على طريقة صنع الفاصوليا.

عند تقديمها يوضع فوقها الجبن المبشور وتزين بأوراق طازجة من الخس وشرائح ثمرة الافوكاتو والفجيلات المفرومة والفلفل

الخاص من نوع التورنا تشيليس والزيتون.

كانت الجدة معتادة على صنف آخر من الطعام، ولكن هذا لم يكن حائلاً لكى تستطيع تقدير الطعم اللذيذ لطهى تيتا.

- ممم، إن هذا لذيذ يا تيتا.

- شكراً جزيلاً.

- يا لحظك يا جونى، من الآن فصاعداً سوف تأكل بالفعل جيداً، لأن كاتى، فى الحقيقة تطهو طهياً سيئاً جداً. إنك حتى سوف تسمن بالزواج.

لاحظ جون أن تيتا مضطربة.

- أبكِ شئ يا تيتا ؟

- نعم، لكننى لا استطيع أن أخبرك به الآن، إن عمتك سوف تستاء اذا توقفنا عن الكلام بالانجليزية.

أجابها جون متحدثاً بالإسبانية.

- لا، لا تقلقى، إنها صماء تماماً.

- إذن كيف تستطيع التحدث بهذه الدرجة من الإتقان ؟

- لأنها تقرأ الشفاه، ولكن بالانجليزية فقط، لا تقلقى. فوق ذلك، فإنها وهى تأكل لا تعرف أحداً، فأرجوكِ - إذن - أن تقولى لى ما يحدث لك. لم يكن أمامنا الوقت للحديث وحفل الزواج سيكون خلال اسبوع.

- جون، أعتقد أنه من الأفضل إلغاؤه.

- لكن، لماذا ؟

- لا تجعلنى أخبرك به الآن.

وفى محاولة منها لكى لا تلاحظ العمة أنهما يتجادلان فى موضوع حرج للغاية، ابتسمت تيتا. فعلت العمة نفس الشيء، كانت تبدو فى غاية السعادة والهدوء وهى تأكل طبق الفاصوليا الخاص بها. كان صحيحاً، لم تكن بالفعل تقرأ الشفاه بالإسبانية. كان يمكن أن تتحدث تيتا مع جون بلا خطورة. ألح جون على نفس الموضوع.

- ألم تعودى تحبيننى ؟

- لا أعرف.

كم كان صعباً على تيتا التحدث بعد أن رأت ما بدى على جون من ألم وقد حاول مباشرة أن يتماسك.

- فى الفترة التى كنت فيها مسافراً قامت علاقات بينى وبين رجل كنت أحبه من قبل وفقدت عذريتى. لذلك لا أستطيع الزواج منك.

بعد صمت طويل سألها جون:

- هل تحبينه أكثر منى ؟

- لا أستطيع إجابتك على ذلك، فذلك لا أعرفه أيضاً.

عندما لا تكون هنا، أظن أننى أحبه هو، ولكن عندما أراك، يتغير كل شئ. أشعر بجوارك بالراحة و الأمن والأمان... لكن لا أعرف، لا أعرف... سامحنى لأننى أخبرتك بكل هذا.

سالت فوق خدى تيتا دمعتان. أخذتها العمة مارى من يدها وقالت لها بالإنجليزية وهى متأثرة بعمق:

- كم جميل رؤية امرأة محبة وهى تبكى من التأثر. لقد فعلت ذلك عدة مرات عندما كنت على وشك الزواج.

انتبه جون إلى أن هذه الكلمات يمكن أن تؤدى إلى انفجار تيتا فى البكاء وأن يصعب بعد ذلك السيطرة على الموقف.

مد يده، وأخذ يد تيتا وقال لها بابتسامة على شفتيه لإرضاء العمة:

- تيتا، لا يهمنى ما فعلتِ، هناك مواقف فى الحياة لا يجب إعطاؤها أهمية كبيرة اذا كانتَ لا تغير الجوهر. إن ما ذكرته لى لن يغير طريقة تفكيرى واكرر انه يسعدنى أن اكون شريك حياتك كلها، ولكن أريدك أن تفكرى جيداً اذا كان ذلك الرجل هو انا أم لا. اذا كان ردك بالإيجاب، سنحتفل بالزفاف خلال أيام. واذا كان لا، سأكون أول من يهنئ بيدرو ويطلب منه منحك المكانة التى تستحقينها.

لم تندهش تيتا من سماع كلمات جون: فقد كانت متطابقة مع شخصيته. ولكن ما فاجأها بالفعل هو انه كان يعرف تماماً أن

منافسه كان بيدرو. لم تكن قد وضعت اعتباراً لقوة بديهته.

كان من المستحيل على تيتا أن تظل على المائدة. خرجت، معتذرة، للحظة فى الفناء وبكت إلى أن هدأت. وعادت مباشرة لحظة تقديم الحلو. نهض جون ليقرِّب لها المقعد وعاملها بنفس الرقة والاحترام المعتادين. كان رجلاً رائعاً بحق. كم كبر فى نظرها! وكم زادت الشكوك فى رأسها ؟ أدى شراب الياسمين الذى قدمته كحلو، إلى راحة كبيرة لها. كان تناوله ينعش جسمها ويصفي عقلها. أعجبت العمة إلى درجة الجنون بالحلو. لم يأت بفكرها بالمرة أن الياسمين يستخدم فى الطعام. ونتيجة حب استطلاعها، كانت تريد معرفة كل التفاصيل الخاصة لعمل مشروب مثله فى بيتها. أعطتها تيتا الوصفة وهى تحرك شفتيها بهدوء شديد حتى تتمكن العمة من قراءتها.

- يسحق فرع الياسمين ويوضع فى ثلاثة أرباع لتر ماء ونصف كيلو سكر ويخلط جيداً. وبعد أن يذوب السكر جيداً يصفى المشروب بقماشة سميكة ثم يوضع ليبرد فى ثلاجة المشروبات.

أمضوا بقية المساء بشكل رائع. وعند ذهاب جون، قبَّل تيتا فى يدها وقال لها:

- لا أريد أن أضغط عليك، أريد فقط أن أؤكد لكِ أنك ستكونين سعيدة بجوارى.

- أعرف ذلك.

كانت تعرف ذلك بالطبع. وبالطبع كـانت ستضع ذلك فى اعتبـارها عندما تتخذ قـرارها، النهائى، الذى سيـحدد مستقـبلها كله.

الفصل الثانى عشر

ديسمبر

فلفل حار بصلصة الجوز والتوابل

المقادير:

٢٥ ثمرة من الفلفل الحار - ٨ ثمرات من الرمان - ١٠٠٠ حبة من الجوز من نوع كاستيبيا - ١٠٠ جم من الجبن الطازج من نوع انيخو - ١ كيلو من لحم الغنم المفروم - ١٠٠ جم من الزبيب - ١/٤ كيلو من اللوز - ١/٤ كيلو من الجوز - ١/٢ كيلو من الكاكا - بصلتان متوسطتان - ليمونتان - ثمرة واحدة من الدراق - تفاحة واحدة - كمون - فلف أبيض - ملح - سكر

طريقة العمل

يجب تقشيـر الجوز مسبقاً بأيام، لأن ذلك يمثل عـملاً شاقاً جداً، يحتاج إلى ساعات طويلة. بعـد تقشيره يجب إزالة القشرة المحيطة بلب الجوز. وهذا يحتاج إلى عناية خاصة حتى لا يلتصق باي واحدة منه ولو قطعة قشر صـغيرة. لأنه عند طحنها وخلطها بالكريمة فـإنها تـعطى مرارة لصلصـة الجـوز، مما يضيع هبـاء كل المجهود السابق.

انتهت تيتا وتسـينتشا من تقشير الجوز وهمـا جالستان على مائدة حجـرة الطعام. هذا الجوز سوف يستـخدم فى عمل الفلفل الحار فى صلصـة الجوز التى سـوف تقدم كطبق رئيـسى فى حفل الزواج الذى سيـقام فى اليوم الـتالى. كل أفراد الأسـرة الآخرين تركوهمـا وحدهمـا متخلين عـن مائدة حجـرة الطعام بحـجة أو بأخرى. هاتان السـيدتان النبيلتـان هما اللتين استمـرتا فى العمل على قـدم وساق. والحـقيـقـة أن تيتـا لم تحـملهم الذنب، فقـد

ساعـدوها بما فيه الكفـاية خلال الأسبـوع كله. وكانت هى تدرك جـيداً أنه لـيس من السهـل تقشـيـر ألف حبـة جـوز دون ملل. الشخص الوحـيد الذي كانت تعلم أنه يستطيع القـيام بذلك دون إبداء أى ضجر بالمرة كانت ماما إيلينا.

لم تكن تستطيع فـقط تقشير أجـوال وأجوال من الجوز فى أيام قليلة، بل كانت تستمتع بشكل كـبير وهى تقوم بهذا العمل. فأفـعال الضغط و التحـطيم والسلخ كانت من أنشطتهـا المفضلة. كانت السـاعات تمر عليهـا دون أن تشعر عندمـا كانت تجلس فى الفناء وجوال الجوز فوق ساقيها ولا تقوم قبل الانتهاء منه.

كانت عملية تقشير ألف حبـة جوز بالنسبة لها لعبة أطفال، بينما كلفتهم جميعاً جهداً كبيراً. كانت هذه الكمية الهائلة لأن كل ٢٥ ثمرة فلفل حار تحتاج إلى تقشيـر مائة حبة جوز، ومنطقياً أن ٢٥٠ ثمرة فلفل تحتاج إلى ١٠٠٠ حـبة جوز. وذلك لأنهم دعوا لحفل الزفاف ٨٠ شـخصاً ما بين الأهل والأصـدقاء المقربين. كل فرد كان يمكنه أن يأكل إذا رغب ٣ ثمرات فلفل، وعليه كان تقدير الكمية مـناسباً. كان حفل الزفـاف عائلياً، ولكن تيتـا كانت تريد على كل عمل وليمـة من عشرين صنفاً، لم يعد لهـا مثيل الآن، وبالطبع لا يمكن أن تخلو من الفلفل الحار فى صلصلة الجوز وهى وجبة لذيذة كان الاحتفال المذكور يستحقها بالرغم من أن هذا كان يمثل جهداً كـبيراً جداً. لم يكن يهم تيـتا أن تسود أصابعـها بعد

تقشير كم من الجوز. فحفل الزفاف هذا يستحق التضحية، فقد كان له معنى خاص جداً. لها ولجون أيضاً. لقد كان سعيداً إلى درجة انه كان أحد اكثر المتعاونين المتحمسين فى اعداد الوليمة. كان بالضبط آخر من ذهب للراحة. كان يستحق قسطاً طيباً من الراحة.

كان جون يغسل يديه، فى حمام بيته، وهو متعب للغاية. كانت أظافره تؤلمه من كثرة تقشير الجوز . استعد للنوم وهو متأثر للغاية. فخلال ساعات قليلة سيكون أكثر قربًا من تيتا، وكان هذا يريحه بشكل كبير. كان حفل الزفاف قد نظم ليكون فى الثانية عشرة ظهراً. فحص بنظره البدلة السموكنج التى كانت فوق مقعد. كانت الثياب التى سيرتديها فى اليوم التالى مرتبة بدقة، فى انتظار اللحظة المناسبة لتظهر. الحذاء يلمع أكثر من اى وقت مضى وربطة العنق التى كانت على شكل شريط والنطاق والقميص فى وضع مثالى. أخذ نفساً طويلاً وهو يجلس راضيًا؛ لأن كل شىء على ما يرام، ثم استلقى على السرير وما أن وضع رأسه على الوسادة نام نوماً عميقاً.

على العكس، لم يستطع بيدرو مصالحة النوم. كانت غيرة شيطانية تسرى فى داخله. لم يرقه بالمرة أن يضطر إلى حضور حفل الزفاف وتحمل رؤية وجه تيتا بجوار جون.

لم يكن يفهم بالمرة سلوك جون، يبدو أنه يحمل مخدر فى

عروقه! كـان يعرف تماماً ما كان بينه وبين تـيتا. وبالرغم من ذلك استـمر فى التعامـل كأنما لم يكن هناك شئ! فذلك المسـاء عندما كانت تيـتا تحاول إشـعال الفـرن، ولـم تجد أعواد الثـقاب فى أى مكان. عندئذ تقدم جـون، الشهم دائماً، بسـرعة لمساعـدتها. لم يتوقف الأمـر على ذلك! فبعـد أن أشعلت النار أهدى تيتـا علبة الكبريت وهو يمسك بيديها بين يديه. فماذا وراء إعطائه لتيتا ذلك النوع من الهدايا الغبية ؟ لابد وأنها كـانت حجة جيدة لجون لكى يداعب يدى تيتا أمامه. مؤكد أنه يعـتقد أنه متحضر. لكنه سوف يعلمه هو ما يفعله الرجل عندما يحب امـرأة بالفعل. أخذ سترته واستعد للذهاب بحثاً عن جون ليحطم له وجهه.

توقف عند البـاب. فـقـد كـان من الممكن إعطاء فـرصـة للأقاويل بأن زوج أخـت تيتا قـد تعارك مع جون قـبل الاحتـفال بيوم.

لن تغفر له تيتا. ألقى السترة بغضب فوق السرير وأخذ فى البحث عن حـبة دواء لكى يخفف من آلام رأسه. كـان الضجيج الذى تحدثه تيتا فى المطبخ يتضاعف ألف مرة بسبب الألم.

كانت تيـتا تفكر فى أخـتها وهى تنتـهى من تقشيـر الجوز القليل المتـبقى فوق المائدة. كـان ليسعـد روساورا جداً أن تحـضر حفل الزفاف. لقد ماتت المسكينة منذ عام. واحتراماً لذكراها كان الانتظار هذا الوقت لإقـامة الاحتفـال الدينى. وكانت وفـاتها من

أغرب ما يمكن. كانت قد تناولت عشاءها كالمعتاد وذهبت مباشرة بعد ذلك إلى حجرتهـا. وظلت اسبرانثا وتيتا تتـحدثان فى حجرة الطعام. صـعد بيـدرو ليودع روساورا قـبل النوم. لم تسمع تيـتا واسيرانثـا أى شىء نظراً لبعد حجرة الطعـام عن حجرات النوم. فى البداية لم يستـغرب بيدرو وهو يسمع، وحـتى والباب مغلق، صـوت رياح بطن روسـاورا. ولكنـه بدأ يهـتم لهـذه الأصـوات الكريهة عندمـا امتد وقت أحداها اكـثر من المعتاد، فـبدا وكأن لا نهاية له. حـاول بيدرو التـركيز في الكتـاب الذي بين يديه، وهو يفكر أنه من غـير الممكن أن يـكون ذلك الصوت المـتد نتـيجـة مشاكل سـوء هضم عند زوجته. كان البيت يرتج والضـوء يهتز. اعتقد بيـدرو للحظة أن تلك الطلقات المدفعية المدوية كـانت نتيجة اندلاع الثورة من جديد، ولكنه استبعد هذا الاحتمال، لأن الهدوء كان حتى ذلك الوقت، يسود البـلاد. ربما كان الأمر يتعلق بموتور سيارة الجيران. ولكن بالتحقق منه جيداً فإن السيارات ذات الموتور لا تصدر رائحة مـثيرة للغثـيان بهذه الدرجة. كـان غريباً أن يشم هذه الرائحة بـالرغم من أنه أخذ احتـياطاته بأن جـاب كل أنحاء حجرة النوم بملعقة بها قطعة مشتعلة من الفحم وقليل من السكر.

هذه الطريقة من أكـثر الطرق فاعلية ضـد الروائح الكريهة. عندما كان طفـلاً، كانوا معتادين فعل ذلك فى الحجـرة التى يتبرز فيها مـريض بالمعدة، وكانوا ينجحون دائماً فى تطـهير الجو بشكل

كبير. ولكن الآن لم تفده بشئ هـذه الطريقة. اقترب، قلقاً، من الباب الذى يربط بين الحجرتين، وسأل روساورا وهو يطرق الباب بعقل أصابعه، إذا كانت بخيـر. وعندما لم يجد إجابة فتح الباب ووجد أمـامه روساورا بشفـتين بنفسجيـتين وجسد مفـرغ وعينين ممتقعـتين ونظرة تائهة، كانت تخرج آخر نفس وانتفـاخ لها. كان تشخيص جون بأنها حالة احتقان معوى حاد.

حـضـر قليلون مـراسم الدفن، فـمع الموت ازدادت حـدة الرائحة الكريهة المنبـعثة من جثمان روسـاورا. ولذلك السبب كان القليل من تشـجع للحضـور. أما من لم تفـتهم فكان سـرباً من الزماح الملكى ظل يحلق فوق الموكب حـتى انتهت مراسم الدفن. عندئذ، وعندما رأى انه ليس هنا له أى وليمـة انسحب يائساً جداً تاركاً روساورا ترتاح فى سلام.

ولكن ساعة راحة تيتا لم تحن بعد. كان جسدها يصرخ فى طلبهـا، ولكن كان عليها أن تنـتهى من عمل صلصة الجـوز قبل ذلك. لهذا كـان الأنسب لها، بدلاً من تذكـر أشيـاء مضت، أن تسرع من عملها فى المطبخ حتى تستطيع أخذ الراحة الواجبة.

بعد تقـشير كل الجوز، يطحن فى الطاحـونة بجانب الجبن والكريمة. وفى الـنهـاية يضـاف الملح و الفلـفل الأبيض حـسب الذوق. تغطى بهذه الصلصـة ثمرات الفلفل الحار المحـشوة وتزين بعد ذلك بالرمانة.

حشو ثمرات الفلفل الحار:

تحمر البصلة فى قليل من الزيت. وعندما تحمر يضاف إليها اللحم المفروم والكمون وقليل من السكر. وعندما يحمر اللحم يضاف إليه الدرّاق والتفاح والجوز والزبيب واللوز والكاكا المقطعة ويترك الخليط حتى ينضج. بعد أن ينضج، يضاف إليه الملح حسب الذوق ويترك ليغلظ قبل رفعه من فوق النار.

على طرف آخر يتم شى الفلفل ويُقشّر. ثم يفتح من الجنب وتزال منه البذور والعروق.

انتهت تيتا وتشيتشا من تزيين الـ٢٥ صينية بالفلفل ووضعتها فى مكان بارد. وفى اليوم التالى، حملها الخدم من ذلك المكان نفسه فى كامل حالتها إلى الوليمة.

كان الخدم يتنقلون من مكان لآخر لخدمة المدعوين النشيطين. لفت أنظار الجميع وصول خيرتروديس إلى الحفل. فقد جاءت في سيارة فورد T مكشوفة، من أوليات السيارات ذات السرعات المتعددة. حيال هبوطها من السيارة كادت أن تسقط قبعتها الكبيرة ذات الحواف العريضة وريش النعام. كان فستانها ذو الكتّافات من أحدث الموديلات وأكثرها لفتاً للنظر. لم يقل خوان عن ذلك. كان يرتدي بدله أنيقة ضيقة وقبعة بكرة وطماقات. كان ابنهما البكر قد أصبح شاباً أسمر يافعاً. كانت ملامح وجهه

دقيقة جداً، وكان لونه الأسمر يتباين مع لون عينيه الزرقاوين زرقة فاتحة. كان قد ورث لون بشـرته عن جده والعينين الزرقاوين عن ماما إيلينا. كانت عيناه مثل عيني جدته تماماً. كان خلفهم الرقيب تريبـينيـو، الذي عُين بعـد انتـهـاء الثـورة حـارسـاً شخـصـيـاً لخيرترودیس.

عند مدخل المزرعـة كان نيكولاس وروساليـو وهما بملابس الفرسان التشريفية يتسلمان بطاقات الدعوات من الأشخاص الذين كانوا مازالوا يتوافدون. كانت بطاقـات جميلة للغاية. كان أليكس واسبرانثا قـد نفذاها شخصياً. كان ورق البطاقـات والحبر الأسود الذي كتـباها به والصبغـة الذهبية التي زُينت بهـا حواف الأظرف والحمرة التي خـتماها بها من عـملهما وفخـرهما. كان كل شيء معـداً حسب التقـاليد وباستخـدام وصفات عـائلة دي لا جارثا. ماعدا الحـبر الأسود الذي لم يكن هناك داعٍ لصنعه فـقد تبقى كم كافٍ من الذي أعد لزفـاف بيدرو وروساورا. كان حبـراً جافاً في حاجـة فقـط لإضافـة قليل من الماء فأصـبح كأنه جـديد. ويمكن الحصول على هذا بإضافة ٨ أوقـيات من الصمغ العربي و خمس أوقيـات ونصف الأوقية من العفـص وأربع أوقيات من كبـريتات الحـديد وأوقيـتين ونصف الأوقـيـة من البقم ونـصف أوقيـة من كبـريتات النحـاس. ومن أجل الصبـغة الذهبيـة التي توضع على حـواف الأظرف، تؤخذ أوقـيـة من الرهج الأصـفر وأخـرى من

الصخر البلوري المسحوق جيداً. توضع هذه المساحيق في بياض خمس أو ست بيضات مخفوق جيداً حتى يصبح مثل الماء. أما الحمرة فإنها تُعد بإذابة رطل من صمغ أللك ونصف رطل من لبان جاوه ونصف رطل من الجِلَف ورطل من الزنجفر

عند تفريغ هذا السائل فوق مائدة مدهونة بزيت اللوز الحلو وقبل أن يبرد تشكل العيدان أو القوالب.

كان كل من اسبرانثا وأليكس قد أمضيا أمسيات كثيرة وهما ينفذان حرفياً هذه الوصفات حتى يستطيعا عمل بطاقات مميزة. وقد حققا ذلك. وكانت كل بطاقة تحفة فنية. جاءت نتاج عمل يدوي كان للأسف في طريقه لأن يصبح موضة قديمة بجانب الملابس الطويلة والرسائل الغرامية والفالس. لكن بالنسبة لتيتا وبيدرو لن يكون بالمرة موضة قديمة فالس "عيون شابة" الذي كانت تعزفه في تلك اللحظة الفرقة الموسيقية بناءً على طلب صريح من بيدرو. كان كلاهما ينزلق فوق حلبة الرقص وهما يشعان ظرفاً. كانت تيتا في أوج روعتها. وكأن الاثنين والعشرين عاماً التي مضت منذ زواج بيدرو وروسارا لم تنل منها البتة. ففي التاسعة والثلاثين من العمر كانت لاتزال نضرة وممشوقة القوام مثل خيارة مقطوفة لتوها.

كانت عينا جون تتبعهما وهما يرقصان ويبديان حناناً مشوباً باستسلام للمقادير. كان بيدرو يلمس بلطف خد تيتا بخده وكانت

هي تشعر بأن يد بيدرو حول خصرها تكويها بشكل لم يسبق له مثيل

- هل تتذكرين عندما سمعنا لأول مرة تلك القطعة الموسيقية؟

- لن أنسى ذلك قط.

- لم أنم تلك الليلة وأنا أفكر في طلب يدك مباشرة. لم أكن أعلم لماذا انتظرنا مرور ٢٢ عاماً لأعود وأسألك إذا كنت ترغبين في أن تكوني زوجتي.

- هل أنت جاد فيما تقول ؟

- بالطبع! لا أريد أن أموت قبل أن تكوني كذلك. كنت أحلم دائماً بأنني أدخل معك كنيسة مليئة بالزهور البيضاء وأنت أجمل زهرة وسطها.

- مرتدية ملابس بيضاء ؟

- بالطبع! لاشيء يمنعك من ذلك. أتعرفين ماذا أيضاً؟ عندما نصبح زوجين، أريد أن أنجب منك ابناً. مازال الوقت أمامنا، أليس كذلك؟ فالآن، بعد أن تتركنا اسبرانثا، نكون في حاجة إلى صحبة.

لم تستطع تيتا أن تجيب بيدرو. منعتها غصة في حلقها.

انسابت بعض الدمــوع ببطء على خديهــا. إنها أول دموع سـعادة لها.

- وأريد أن تعلمي أنكِ لن تقنعيني بعكس ذلك. لا يهمني ما يمكن أن تعــتقده ابنتي أو أيَ أحــد غيرها. لقــد أضعنا سنوات طويلة في حرص مما سيقــولون، ولكن منذ الليلة لن يستطيع أحد أن يبعدني عنك.

والحقيقة أنه في هذا الوقت لم يكن يهم تيتا مطلقاً ما يمكن أن يظنه الناس بالإعلان عن العلاقة العاطفية التي كانت بين بيدرو وبينها.

لقد احــترمت لمدة عشــرين عامــاً الاتفاق الذي عقــداه هما الاثنان مع روساورا وهاقد تعبت.

كان الاتفاق ينــص على أنه - أخذاً في الاعتبار أنه بــالنسبة لروساورا - كــان أمراً حيوياً الاســتمرار في التظاهر بأن زواجــها يسير بشكل رائع وأن أهم شيء بالنسبة لها أن تنشأ ابنتها في إطار النظام المقدس لعائلتــها فهو الوحيد، عندها، الذي يمنحــها تنشئة أخلاقــية قوية وقــد تعهــد بيدرو وتيتــا بأن يكونا أكثــر تحفظاً في لقاءاتهما والمحــافظة على كتمان حبهــما. وأنه أمام أعين الآخرين سيكونون دائماً عائلة سوية جداً. لهذا كان على تيتا أن ترفض أن يكون لها ابــن غير شــرعي. ولتعويضــها، كــانت روساورا على

استعداد؛ لأن تتقاسم معها إسـبرانثا على النحو التالي: تتولى تيتا تغذية الطفلة وروساورا تربيتها.

من جانبـها، كانت روسـاورا مضطرة إلى التـعايش معـها بطريقة ودية متفادية الغيرة والاعتراض.

احتـرم الجميع الاتفـاق بشكل عام ماعـدا ما يتعلق بتـربية إسبرانثا. فقد كانت تيتا تريد لإسبرانثا تربية مختلفة جداً عن التي كانت روساورا تخططها لها. هكذا، وبالرغم من أن ذلك لم يكن يخصها، كانت تستغل اللحظات التي تكون فيـها إسبرانثا بجانبها لمنح الطفلة نوعاً آخر من المعارف مختلفاً عما تعطيه لها أمها.

كانت هذه اللحظات تمثل الجزء الأكبـر من اليوم، فقد كان المطبخ هو المكان المفـضل لإسبرانـثا. كانت تيـتا أفـضل أمين سر وصديق.

وكان بالتـحديد في إحدى الأمـسيات التي كـانتا تمضيـانها سوياً في المطبخ عنـدما علمت تيتـا أن أليكس، ابن جون براون، يخطب ود إسبرانثا. كانت تيتا أول من علم بذلك. فقد التقيا مرة أخرى، بعد سنوات طويلة، في حفل المدرسة التدريبية التي كانت إسبـرانثا تدرس فيهـا. وكان أليكس في طريقه إلى الانتـهاء من دراسته كطـبيب. ومنذ اللحظة الأولى انجذب كل منهمـا للآخر. علمت تيتا عندما قالت لها اسبرانثا إنها شعرت عندما وقعت نظرة

أليكس على جسدها، بأنها مثل عجين البونيويلو[٣٣] وهي تسقط في الزيت المغلي، أن أليكس واسبرانثا سوف يرتبطان لا محالة.

حاولت روساورا بكل السبل منع ذلك. فقد عارضت منذ البداية صراحة وبشكل قاطع. تشفّع بيدرو وتيتا لاسبرانثا وبهذا الشكل بدأت بينهم معركة موت حقيقية. كانت روساورا تطالب بأعلى صوتها بحقوقها: إن بيدرو وتيتا يخلان بالاتفاق ولم يكن ذلك عادلاً.

لم تكن المرة الأولى التى يتشاجرون فيها بسبب إسبرانثا. كانت المرات الأولى لأن روساورا كانت تصّر على عدم ذهاب ابنتها إلى المدرسة، فقد كانت تعتبر ذلك مضيعة للوقت. فإذا كان دور إسبرانثا فى هذه الحياة هو فقط رعايتها هى، أمها، للأبد. فأنها ليست فى حاجة إلى زيادة معارفها. كان الأفضل أن تدرس العزف على البيانو والغناء والرقص. فبإتقانها هذه الأنشطة ستستفيد كثيراً فى الحياة. أولاً، لأن بذلك يمكن لإسبرانثا أن توفر لروساورا أمسيات من التسلية واللهو وثانياً، لأن مشاركتها فى الاحتفالات الاجتماعية ستكون من الأبرز والأجدر بالاعتبار. بهذا الشكل تستأثر باهتمام الجميع، وستستقبل دائماً بالترحاب داخل الأوساط الراقية. بعد مجهود كبير، استطاعا اقناع روساورا

(٣٣) نوع من العجائن الحلوة يشبه بلح الشام أو الزلابى.

بعد مناقشات طويلة أن المهم لإسبرانثا، بجانب الغناء والرقص والعزف على البيانو ببراعة، الحديث فى أشياء مهمة عندما يتقربون منها، ولهذا كان أمراً حيوياً أن تذهب إلى المدرسة، قبلت روساورا، مكرهة، إرسال ابنتها إلى المدرسة، ولكن فقط لأنها قد اقتنعت بأن إسبرانثا، بالإضافة إلى أنها ستستطيع التحدث بطريقة لطيفة وممتعة، فإنها بشكل أساسي سوف تتعايش مع النخبة من أبناء بيدراس نجراس. عندئذ انتظمت إسبرانثا في أحسن المدارس بهدف صقل مداركها. وتولت تيتا، بدورها، تعليمها شيئاً على نفس الدرجة من القيمة: أسرار الحياة والحب عن طريق المطبخ.

كان الانتصار الذي تحقق على روساورا كافياً بالقدر الذي لم يسمح بشجار آخر قوى حتى الآن، وعندما تقدم أليكس بإمكانية خطوبة. ثارت روساورا عندما رأت أن بيدرو وتيتا يساندان بلا شرط إسبرانثا. حاربت بكل السبل التى باستطاعتها مثل لبؤة للدفاع عن ما ينتمى إليها عبر التقاليد: ابنة تسهر عليها حتى وفاتها. صاحت، ضربت برجليها، صرخت، بصقت، تقيأت وهددت بلا أمل. وانتهكت الاتفاق لأول مرة وصبّت اللعنات ضد بيدرو وتيتا إضافة إلى تحميلهما ذنب كل العذاب الذى تعانيه.

تحول البيت إلى ميدان معركة. كان إغلاق الباب بعنف ضمن الجدول اليومى. لحسن الحظ، لم تمتد هذه النزاعات وقتًا

طويلاً، فبعد ثـلاثة أيام من أعنف وأصلف المعارك بين الفريقين، ماتت روسـاورا بسبب مشـاكل هضميـة ضخمـة. ماتت بـ... الطريقة التى ماتت بها.

إن أكـبـر انتصـار لتـيـتـا هو التوصـل إلى تزويج أليكس وإسبـرانثا. كم كانت تشـعر بالفخـر وهى ترى إسبرانثـا فى غاية الثقة فى نفسها، فى غاية الذكاء والإعداد والسعادة والكفاءة، وفى نفس الوقت فى غاية الأنوثة والحيوية كامرأة بمعنى الكلمة. كانت تبدو فى غاية الجمال وهى بفستان العرس وهى ترقص مع اليكس فالس "عيون شابة".

عندما انتهت الموسـيقى اقترب كل من باكيتـا وخورخيه من عائلة لوبو، لتهنئة بيدرو وتيتا.

- تهانينا يابيدرو، لم تكن ابنتك تجد على وجه الأرض من هو أفضل من إليكس حظوة.

- نعم، إن اليكس براون شـاب رائع. أسـوأ شىء أنهـمـا سوف يتـركاننا. لقـد حصل إليكس على مـنحة للحصـول على الدكتوراه مـن جامعة هارفارد، واليـوم بعد الزفاف يتـوجهان إلى هناك.

- يا للقسوة ياتيتا! وماذا ستفعلين ؟ علقت باكيتا وهى تبث سمـومها - فبـدون إسبرانثـا فى البيت لن يكون بمقدورك البـقاء

بجانب بيدرو. أى، قبل أن تذهبى للعيش فى مكان آخر، اعطينى وصفة الفلفل فى صلصة الجوز. يبدو لذيذاً!

لم يكن الفلفل فى صلصة الجوز طيباً فقط، بل كان بالفعل لذيذاً. لم تخرج من يد تيتا من قبل هذه الأكلة بتلك اللذة. كان الفلفل يُظهر بزهو ألوان راية البلاد: الفلفل الأخضر، صلصة الجوز أبيض، و الرمان الأحمر.

لم تبق الأطباق ثلاثية الألوان طويلاً: فبين غمضة عين وومضتها اختفى الفلفل من الصحون الكبيرة... كم كان بعيداً اليوم الذى شعرت فيه تيتا بأنها مثل حبة الفلفل فى صلصلة الجوز التى تُترك حياءً لعدم إظهار النهم.

كانت تيتا تتساءل هل سبب انه لم يتبق ولا فلفلة واحدة كان اشارة إلى أن التقاليد الطيبة فى طريقها إلى النسيان أم لأن طعمه كان بالفعل رائعاً.

كان الندماء يبدون مسرورين. ياللفرق بين هذا الزفاف وزفاف بيدرو و روساورا الذى كان نحساً، عندما انتهى بتسمم كل المدعوين. أما الآن، فعلى العكس، عند تذوق الفلفل فى صلصة الجوز، بدلاً من الشعور بحنين شديد وإحباط، شعر الجميع باحساس يشبه ما أحسته خيرتروديس عندما أكلت السمان ببتلات الورد. وللتغيير كانت خيرتروديس أول من شعر من جديد

بالأعـراض. كـانت فى وسط فناء البـيت ترقص مع خـوان على إنغام "قائدى المعشوق" وكانت تغنى قرار الأغنية وهى ترقص كأنما لم ترقص من قبل. كل مرة كانت تنطق فيها الـ "أى، أى، أى، أى، قائدى المعـشوق"، كـانت تتذكر العـهد الماضى عندمـا كان خوان مـا يزال قائداً، وكـانت معـه فى قلب الميدان عـارية تماماً. شعـرت مباشـرة بحرارة فى ساقـيهـا، ودغدغة داخل جـسدها، والأفكار الآثمة، وقررت الانسـحاب هى وزوجها قـبل أن تتفاقم الأمـور. كانت خـيـرترودیس أول من بدأ التـفـرّق. اعتـذر كل المدعوين أيضاً، بحجة أو بأخرى وبنظرات شـهوانية، وانسحبوا. شكر لهما الـعروسان ذلك حتى يكونا فى حريـة لأخذ أمتعـتـهما والسفـر فى أسرع وقت ممكن. فقـد كانا فى عـجلة للوصول إلى الفندق.

عندما تنبـه كل من تيتا وبيدرو، لم يكن فى المـزرعة سوى جون وتشينتشا وهما فحسب. والآخـرون جميعاً، بما فيهم عمال المزرعة، كـانو فى أبعد مكان يمكنهم الوصول اليـه يمارسون الحب بخلاعة. بعضهم أسفل جسر بيدراس نجراس وايجل باس والاكثر محـافظة داخل سيـارتهم الراكنة بغيـر نظام فى طريق السـيارات والأغلبية حيث استطاعوا. أى مكان كان صالحاً: فى النهر، على الدرج، فى الحوض الخـشبى، فى المدفأة، فى موقـد المدفأة، فى فترينة الصيدليـة، فى الدولاب، فى أعلى الأشجار. إن الحاجة أم

الاختراعـات والمواقف كلها: فقد ظهـرت فى ذلك اليوم إبداعات لم تظهر بالمرة فى تاريخ الإنسانية.

كانت تيتا وبيدرو يقومان من جانبهما بمجهود جبار حتى لا يطلقا لجام اندفاعاتهمـا الجنسية، ولكن هذه كانت على درجة من القوة ؛بحيث تخطت حاجز جلدهما وخرجت مندفعة على شكل حرارة ورائحـة فريدة. لاحظ جـون ذلك وعندما رأى أنـه ضيف ثقيل، استأذن وذهب. تألمت تيتا لرؤيته يذهب وحيداً. كان يجب على جـون أن يتـزوج من غيـرها عندمـا رفـضت هى أن تكون زوجته. ولكنه لم يفعل ذلك بالمرة.

عندما ذهب جون، طلبت تشيتشا السماح لها بالذهاب إلى قريتها: فمنذ أيام ذهب زوجها ليـعمل كبنَّاء طوب وفجأة شعرت برغبة قوية فى رؤيته.

لو كان بيدرو وتيتا قد خططا للبقاء وحدهما لشهر العسل لما استطاعا ذلك وبأقل مجـهود. فلأول مرة فى حياتهـما يمكنهما أن يتحـابا بحرية. فـلسنوات عديدة كـان عليهـما اتخاذ سلـسة من الإحتياطات حتى لا يرونهما، حتى لا يشك أحد فيهما، حتى لا تحمل تيتا، حتى لا يصرخان من اللذة وأحدهما داخل الآخر. من الآن فإن كل ذلك ينتمى للماضى.

دون الحاجة إلى كـلام أمسك كل منهما يد الآخـر وتوجها إلى الحجـرة المظلمة. وقبل أن يدخـلا حملها بيدرو بين ذراعـيه،

فتح البـاب ببطء وبدت الحجـرة المظلمة أمام عـينيه وقـد تحولت تماماً. اختفت كل الكراكيب. لم يـكن بها سوى السرير النحاسى ممتـداً بعظمة فى وسط الحـجـرة. كانت الملاءات الحـريرية وغطاء السرير بيضـاء اللون مثل السجادة ذات الأزهار التـى كانت تفرش الأرض والـ٢٥٠ شـمعـة التى كانـت تضئ ما يسـمى خطأ الآن بالحجـرة المظلمة. تأثرت تيـتا وهى تفكر فى المجـهود الذى بذله بيدرو لتزينها بهذا الشكل، وكذلك بيدرو، فكر فى كيف وجدت تيتا سبيلاً لعمل ذلك فى الخفاء.

كانا مفـعمين باللذة إلى درجة عدم انتباههـما إلى أن ناتشا كانت فـى ركن من الحجرة تشـعل آخر شـمعـة ثم وهى صامـته تلاشت.

وضع بيـدرو تيتـا على السرير وبـدأ يخلع لها ببطء قطعـة قطعة الثـياب التى كانت تغطيـها. بعد تبادل المداعـبات والنظرات بحنان مطلق، اطلقا عنان العاطفة المكبوتة لسنوات طويلة.

امتزج صوت خبطات رأس الســرير النحاسي نحو الحائط و الأصوات الحلقيـة التى أطلقاها مع صوت آلاف الحمـام وهو يطير فوقـهمـا متبـدداً. فقـد أومأت الحاسـة السادسـة التى تتمـتع بها الحيوانات للحمام انه يجب عليـه الهرب بسرعة من المزرعة. نفس الشئ فعلتـه كل الحيوانـات الأخرى، البقـر، الخنازير، الدجاج، السِّمان، الحملان و الأحصنة.

لم تستطع تيتا الإنتباه لأى شئ. كانت تشعر بأنها تقترب من الذروة بشدة إلى درجة أن عينيها كانتا تريان وهما مغلقتان وظهر أمامها نفق ساطع.

تذكرت فى تلك اللحظة الكلمات التى قالها لها جون يوماً ما: إذا ما تم بسبب إنفعال قوى جداً اشتعال كل الثقاب التى نحملها فى داخلنا مرة واحدة، تنشأ اشراقة قوية للغاية تضئ إلى أبعد ما يمكننا رؤيته عادة وعندئذ يظهر أمام أعيننا نفق ساطع ينير لنا الطريق الذى نسيناه لحظة مولدنا، والذى ينادينا لنلتقى من جديد مع أصلنا المقدس الضائع. تتوق الروح إلى العودة من جديد إلى مكان نشأتها، تاركة الجسد ساكناً. "... احتوت تيتا انفعالها.

لم تكن تريد أن تموت. كانت تريد تجربة تفجُّر المشاعر هذا نفسه عدة مرات أكثر. فقد كانت هذه هى البداية فقط.

حاولت أن تعيد تنفسها إلى طبيعته، ولم تنتبه إلا الآن إلى صوت رفرفة آخر سرب حمام اثناء رحيله. لم تكن تسمع بجانب هذا الصوت، إلا صوت قلبيهما. كانت النبضات قوية إلى درجة أنهاكانت تستطيع بما فى ذلك أن تشعر بقلب بيدرو وهو يصطدم بجلد صدرها. فجأة توقفت هذه الضربات بغتة. ساد صمت مميت بكل الحجرة. ولم تستغرق وقتاً طويلاً في إدراك أن بيدرو قد مات.

ماتت مع بيدرو امكانية العودة إلى إشعال نيرانها الداخلية، ذهبت معه كل اعواد الثقاب وكانت تعرف أن الحرارة الطبيعية التى تشعر بها الآن سوف تبدأ فى الخمود شيئاً فشيئاً، ملتهمة جوهرها الذاتى مالم تجد غذاء يبقى عليها.

مؤكد أن بيدرو قد مات لحظة النشوة عندما نفذ فى النفق المضئ. ندمت لأنها لم تفعل نفس الشئ. يستحيل عليها الآن العودة إلى رؤية ذلك الضوء مرة أخرى فلم تعد قادرة على الشعور بشئ. ستظل تهيم فى الظلمات إلى الأبد، وحيدة، وحيدة للغاية. كان عليها أن تجد وسيلة، حتى لو كانت صناعية، لجلب نار يمكنها أن تضئ طريق العودة إلى الأصل وإلى بيدرو. ولكن كان يلزم الحد من البرد القارس الذى بدأ يشلها. نهضت، أسرعت إلى غطاء السرير الهائل الذى كانت قد غزلته ليلة بعد ليلة من ليالى الوحدة والسهاد ووضعته فوقها. كست به الثلاثة هكتارات التى كانت تمثل مساحة المزرعة بأكملها. أخرجت من درج مكتبها علبة أعواد الثقاب التى اهداها لها جون. كانت تحتاج إلى فسفور كثيرفى جسدها. بدأت تأكل أعواد الثقاب التى كانت بالعلبة واحداً تلو الآخر. كانت عند مضغ كل عود تغلق عينيها بقوة وتحاول إعادة نسج الذكريات الأكثر انفعالاً بينها هى وبيدرو. اول قبلة، أول مداعبة، أول علاقة جنسية. وتوصلت إلى ما كانت تلتمسه. فعند تلامس الفوسفور الذى كانت تمضغه

بالصورة المضيئة التى تستدعيها، كان الثقاب يشتعل. بدأت رؤيتها تتبصَّر شيئاً فشيئاً حتى ظهر أمام عينيها من جديد النفق. هنالك، عند المدخل، كانت صورة بيدرو المضيئة، تنتظرها. لم تتردد تيتا. تركت نفسها تذهب للقائه وذاب كلاهما فى عناق طويل وهما يمارسان من جديد ذروة العاطفة رحلا سوياً نحو الجنة المفقودة. لن ينفصلا بعد ذلك بالمرة.

فى تلك اللحظة بدأ جسدا بيدرو وتيتا المتقدان فى إطلاق شرر. أشعل الشرر غطاء السرير الذى أشعل بدوره المزرعة كلها. كم كان الوقت مناسباً الذى هاجرت فيه الحيوانات، لتنجو من الحريق! تحولت الحجرة المظلمة إلى بركان شره. كان يطلق حمماً ورماداً فى كل اتجاه. كانت الحمم عندما تصل إلى أعلى ارتفاع لها تنفجر متحولة ألى أضواء بكل الألوان. كان سكان المناطق القريبة يشاهدون المنظر على بعد عدة كيلو مترات معتقدين أنها الألعاب النارية الخاصة بحفل زفاف اليكس وإسبرانثا. ولكن عندما استمرت هذه النيران لمدة اسبوع اقتربوا حباً للإستطلاع.

كانت طبقة من الرماد بارتفاع عدة أمتار تغطى المزرعة كلها. وعندما عادت إسبرانثا، أمى، من رحلة الزواج، وجدت فقط اسفل بقايا ماكانت مزرعة هذا الكتاب الخاص بالمطبخ الذى أورثتنى إياه عند موتها، والذى تحكى كل وصفة من وصفاته قصة الحب المدفونة هذه.

يقولون إنه قـد نبتت أسفل الرمـاد كل أنواع الحياة مـحولة تلك الأرض إلى أكثر أراضى الإقليم خصوبة.

كان من حسن حظى خلال طفولتى التمتع بالفاكهة والخضار الذى كان ينتج هناك. مع الوقت أمرت أمى ببناء مـبنى صغير فى تلك الأرض به شـقق. مازال يعـيش فى إحـداها أبى، إليكس. وسوف يأتى اليـوم إلى بيتى للاحتفـال بعيد ميـلادى. لذلك فأنا أعد كـعك عيد الميـلاد، طبقى المفضل. كـانت أمى تعده لى كل عام. أمى!... كم أشتاق لطعم أكلها، رائحة مطبخها، أحاديثها وهى تعد الطعـام، كعكة عيد الميلاد! لست أدرى لمـاذا لا أصنعها كما كانت تصنعهـا هى، ولا أدرى أيضاً لماذا أذرف كماً من الدمع وأنا أعده، ربما لأننى حـساسة للبـصل مثل تيتـا، خالتى، والتى ستظل حية طالما يكون هناك من يطهو وصفاتها.

المشروع القومى للترجمة

١- اللغة العليا (طبعة ثانية)	جون كوين	ت أحمد درويش
٢- الوثنية والإسلام	ك. مادهو بانيكار	ت أحمد فؤاد بلبع
٣- التراث المسروق	جورج جيمس	ت شوقى جلال
٤- كيف تتم كتابة السيناريو	انجا كاريتنكوفا	ت أحمد الحضرى
٥- ثريا فى غيبوبة	إسماعيل فصيح	ت محمد علاء الدين منصور
٦- اتجاهات البحث اللسانى	ميلكا إفيتش	ت سعد مصلوح / وفاء كامل فايد
٧- العلوم الإنسانية والفلسفة	لوسيان غولدمان	ت يوسف الأنطكى
٨- مشعلو الحرائق	ماكس فريش	ت مصطفى ماهر
٩- التغيرات البيئية	أندرو س. جودى	ت محمود محمد عاشور
١٠- خطاب الحكاية	جيرار جينيت	ت محمد معتصم وعبد الجليل الأزدى وعمر حلى
١١- مختارات	فيسوافا شيمبوريسكا	ت هناء عبد الفتاح
١٢- طريق الحرير	ديفيد براونيستون وايرين فرانك	ت أحمد محمود
١٣- ديانة الساميين	روبرتسن سميث	ت عبد الوهاب علوب
١٤- التحليل النفسى والأدب	جان بيلمان نويل	ت حسن المودن
١٥- الحركات الفنية	إدوارد لوسى سميث	ت أشرف رفيق عفيفى
١٦- أثينة السوداء	مارتن برنال	ت بإشراف أحمد عتمان
١٧- مختارات	فيليب لاركين	ت محمد مصطفى بدوى
١٨- الشعر النسائى فى أمريكا اللاتينية	مختارات	ت طلعت شاهين
١٩- الأعمال الشعرية الكاملة	چورج سفيريس	ت نعيم عطية
٢٠- قصة العلم	ج. ج. كراوثر	ت يمنى طريف الخولى / بدوى عبد الفتاح
٢١- خوخة وألف خوخة	صمد بهرنجى	ت ماجدة العنانى
٢٢- مذكرات رحالة عن المصريين	جون أنتيس	ت سيد أحمد على الناصرى
٢٣- تجلى الجميل	هانز جيورج جادامر	ت سعيد توفيق
٢٤- ظلال المستقبل	باتريك بارندر	ت بكر عباس
٢٥- مثنوى	مولانا جلال الدين الرومى	ت إبراهيم الدسوقى شتا
٢٦- دين مصر العام	محمد حسين هيكل	ت أحمد محمد حسين هيكل
٢٧- التنوع البشرى الخلاق	مقالات	ت نخبة
٢٨- رسالة فى التسامح	جون لوك	ت منى أبو سنه
٢٩- الموت والوجود	جيمس ب. كارس	ت بدر الديب
٣٠- الوثنية والإسلام (ط٢)	ك. مادهو بانيكار	ت أحمد فؤاد بلبع
٣١- مصادر دراسة التاريخ الإسلامى	جان سوفاجيه - كلود كاين	ت عبد الستار الحلوجى / عبد الوهاب علوب
٣٢- الانقراض	ديفيد روس	ت مصطفى إبراهيم فهمى
٣٣- التاريخ الاقتصادى لإفريقيا الغربية	أ. ج. هوبكنز	ت أحمد فؤاد بلبع
٣٤- الرواية العربية	روجر آلن	ت حصة إبراهيم المنيف
٣٥- الأسطورة والحداثة	بول . ب. ديكسون	ت خليل كلفت

٣٦- نظريات السرد الحديثة	والاس مارتن	ت حياة جاسم محمد
٣٧- واحة سيوة وموسيقاها	بريجيت شيفر	ت جمال عبد الرحيم
٣٨- نقد الحداثة	آلن تورين	ت أنور مغيث
٣٩- الإغريق والحسد	بيتر والكوت	ت منيرة كروان
٤٠- قصائد حب	آن سكستون	ت محمد عيد إبراهيم
٤١- ما بعد المركزية الأوربية	بيتر جران	ت عاطف أحمد / إبراهيم فتحى / محمود ماجد
٤٢- عالم ماك	بنجامين باربر	ت أحمد محمود
٤٢- اللهب المزدوج	أوكتافيو باث	ت المهدى أخريف
٤٤- بعد عدة أصياف	ألدوس هكسلى	ت مارلين تادرس
٤٥- التراث المغدور	روبرت ج دنيا - جون ف أ فاين	ت أحمد محمود
٤٦- عشرون قصيدة حب	بابلو نيرودا	ت محمود السيد على
٤٧- تاريخ النقد الأدبى الحديث (١)	رينيه ويليك	ت مجاهد عبد المنعم مجاهد
٤٨- حضارة مصر الفرعونية	فرانسوا دوما	ت ماهر جويجاتى
٤٩- الإسلام فى البلقان	هـ . ت . نوريس	ت عبد الوهاب علوب
٥٠- ألف ليلة وليلة أو القول الأسير	جمال الدين بن الشيخ	ت محمد برادة وعثمانى الميلود ويوسف الأنطكى
٥١- مسار الرواية الإسبانو أمريكية	داريو بيانويبا وخ. م بينياليستى	ت محمد أبو العطا
٥٢- العلاج النفسى التدعيمى	بيتر . ن . نوفاليس وستيفن . ج . روجسيفيتز وروجر بيل	ت لطفى فطيم وعادل دمرداش
٥٢- الدراما والتعليم	أ . ف . ألنجتون	ت مرسى سعد الدين
٥٤- المفهوم الإغريقى للمسرح	ج . مايكل والتون	ت محسن مصيلحى
٥٥- ما وراء العلم	چون بولكنجهوم	ت على يوسف على
٥٦- الأعمال الشعرية الكاملة (١)	فديريكو غرسية لوركا	ت محمود على مكى
٥٧- الأعمال الشعرية الكاملة (٢)	فديريكو غرسية لوركا	ت محمود السيد ، ماهر البطوطى
٥٨- مسرحيتان	فديريكو غرسية لوركا	ت محمد أبو العطا
٥٩- المحبرة	كارلوس مونييث	ت السيد السيد سهيم
٦٠- التصميم والشكل	جوهانز ايتين	ت صبرى محمد عبد الغنى
٦١- موسوعة علم الإنسان	شارلوت سيمور - سميث	مراجعة وإشراف محمد الجوهرى
٦٢- لذّة النّص	رولان بارت	ت محمد خير البقاعى
٦٣- تاريخ النقد الأدبى الحديث (٢)	رينيه ويليك	ت مجاهد عبد المنعم مجاهد
٦٤- برتراند راسل (سيرة حياة)	آلان وود	ت رمسيس عوض .
٦٥- فى مدح الكسل ومقالات أخرى	برتراند راسل	ت رمسيس عوض
٦٦- خمس مسرحيات أندلسية	أنطونيو جالا	ت عبد اللطيف عبد الحليم
٦٧- مختارات	فرناندو بيسوا	ت المهدى أخريف
٦٨- نتاشا العجوز وقصص أخرى	فالنتين راسبوتين	ت أشرف الصباغ
٦٩- العالم الإسلامى فى أوائل القرن العشرين	عبد الرشيد إبراهيم	ت أحمد فؤاد متولى وهويدا محمد فهمى
٧- ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية	أوخينيو تشانج رودريجث	ت عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد
٧١- السيدة لا تصلح إلا للرمى	داريو فو	ت حسين محمود

٧٢- السياسى العجوز	ت. س. إليوت	ت فؤاد مجلى
٧٣- نقد استجابة القارئ	چين. ب. تومبكنز	ت: حسن ناظم وعلى حاكم
٧٤- صلاح الدين والمماليك فى مصر	ل. ا. سيميوفا	ت حسن بيومى
٧٥- فن التراجم والسير الذاتية	أندريه موروا	ت أحمد درويش
٧٦- چاك لاكان وإغواء التحليل النفسى	مجموعة من الكتاب	ت عبد المقصود عبد الكريم
٧٧- تاريخ النقد الأدبى الحديث ج ٢	رينيه ويليك	ت مجاهد عبد المنعم مجاهد
٧٨- العولمة: النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية	رونالد روبرتسون	ت أحمد محمود ونورا أمين
٧٩- شعرية التأليف	بوريس أوسبنسكى	ت سعيد الغانمى وناصر حلاوى
٨٠- بوشكين عند «نافورة الدموع»	ألكسندر بوشكين	ت مكارم الغمرى
٨١- الجماعات المتخيلة	بندكت أندرسن	ت محمد طارق الشرقاوى
٨٢- مسرح ميجيل	ميجيل دى أونامونو	ت محمود السيد على
٨٣- مختارات	غوتفريد بن	ت خالد المعالى
٨٤- موسوعة الأدب والنقد	مجموعة من الكتاب	ت عبد الحميد شيحة
٨٥- منصور الحلاج (مسرحية)	صلاح زكى أقطاى	ت عبد الرازق بركات
٨٦- طول الليل	جمال مير صادقى	ت. أحمد فتحى يوسف شتا
٨٧- نون والقلم	جلال آل أحمد	ت ماجدة العنانى
٨٨- الابتلاء بالتغرب	جلال آل أحمد	ت إبراهيم الدسوقى شتا
٨٩- الطريق الثالث	أنتونى جيدنز	ت أحمد زايد ومحمد محيى الدين
٩٠- وسم السيف	ميجل دى ثربانتس	ت محمد إبراهيم مبروك
٩١- المسرح والتجريب بين النظرية والتطبيق	باربر الاسوستكا	ت: محمد هناء عبد الفتاح
٩٢- أساليب ومضامين المسرح الإسبانوأمريكى المعاصر	كارلوس ميجل	ت نادية جمال الدين
٩٣- محدثات العولمة	مايك فيدرستون وسكوت لاش	ت عبد الوهاب علوب
٩٤- الحب الأول والصحبة	صمويل بيكيت	ت فوزية العشماوى
٩٥- مختارات من المسرح الإسبانى	أنطونيو بويرو باييخو	ت سرى محمد محمد عبد اللطيف
٩٦- ثلاث زنبقات ووردة	قصص مختارة	ت إدوار الخراط
٩٧- هوية فرنسا مج ١	فرنان برودل	ت بشير السباعى
٩٨- الهم الإنسانى والابتزاز الصهيونى	نماذج ومقالات	ت أشرف الصباغ
٩٩- تاريخ السينما العالمية	ديفيد روبنسون	ت إبراهيم قنديل
١٠٠- مساءلة العولمة	بول هيرست وجراهام تومبسون	ت إبراهيم فتحى
١٠١- النص الروائى (تقنيات ومناهج)	بيرنار فاليط	ت رشيد بنحدو
١٠٢- السياسة والتسامح	عبد الكريم الخطيبى	ت عز الدين الكتانى الإدريسى
١٠٣- قبر ابن عربى يليه آياء	عبد الوهاب المؤدب	ت: محمد بنيس
١٠٤- أوبرا ماهوجنى	برتولت بريشت	ت عبد الغفار مكاوى
١٠٥- مدخل إلى النص الجامع	چيرار چينيت	ت عبد العزيز شبيل
١٠٦- الأدب الأندلسى	د. ماريا خيسوس روبييرامتى	ت د. أشرف على دعدور
١٠٧- صورة الفدائى فى الشعر الأمريكى المعاصر	نخبة	ت. محمد عبد الله الجعيدى

١٠٨- ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسى	مجموعة من النقاد	ت محمود على مكى
١٠٩- حروب المياه	چون بولوك وعادل درويش	ت هاشم أحمد محمد
١١٠- النساء فى العالم النامى	حسنة بيجوم	ت منى قطان
١١١- المرأة والجريمة	فرانسيس هيدسون	ت ريهام حسين إبراهيم
١١٢- الاحتجاج الهادئ	أرلين علوى ماكليود	ت إكرام يوسف
١١٣- راية التمرد	سادى بلانت	ت أحمد حسان
١١٤- مسرحيتا حصاد كونجى وسكان المستنقع	وول شوينكا	ت نسيم مجلى
١١٥- غرفة تخص المرء وحده	فرچينيا وولف	ت سمية رمضان
١١٦- امرأة مختلفة (درية شفيق)	سينثيا نلسون	ت نهاد أحمد سالم
١١٧- المرأة والجنوسة فى الإسلام	ليلى أحمد	ت منى إبراهيم ، وهالة كمال
١١٨- النهضة النسائية فى مصر	بث بارون	ت لميس النقاش
١١٩- النساء والأسرة وقوانين الطلاق	أميرة الأزهرى سنبل	ت بإشراف/ رؤوف عباس
١٢٠- الحركة النسائية والتطور فى الشرق الأوسط	ليلى أبو لغد	ت نخبة من المترجمين
١٢١- الدليل الصغير فى كتابة المرأة العربية	فاطمة موسى	ت محمد الجندى ، وإيزابيل كمال
١٢٢- نظام العبودية القديم ونموذج الإنسان	جوزيف فوجت	ت منيرة كروان
١٢٣- الإمبراطورية العثمانية وعلاقاتها الدولية	نيل الكسندر فنادولينا	ت أنور محمد إبراهيم
١٢٤- الفجر الكاذب	چون جراى	ت أحمد فؤاد بلبع
١٢٥- التحليل الموسيقى	سيدريك ثورپ ديفى	ت سمحه الخولى
١٢٦- فعل القراءة	فولفانج إيسر	ت عبد الوهاب علوب
١٢٧- إرهاب	صفاء فتحى	ت بشير السباعى
١٢٨- الأدب المقارن	سوزان باسنيت	ت أميرة حسن نويرة
١٢٩- الرواية الاسبانية المعاصرة	ماريا دولورس أسيس جاروته	ت محمد أبو العطا وآخرون
١٣٠- الشرق يصعد ثانية	أندريه جوندر فرانك	ت شوقى جلال
١٣١- مصر القديمة (التاريخ الاجتماعى)	مجموعة من المؤلفين	ت لويس بقطر
١٣٢- ثقافة العولمة	مايك فيذرستون	ت عبد الوهاب علوب
١٣٣- الخوف من المرايا	طارق على	ت طلعت الشايب
١٣٤- تشريح حضارة	بارى ج. كيمب	ت أحمد محمود
١٣٥- المختار من نقد ت. س. إليوت	ت. س. إليوت	ت ماهر شفيق فريد
١٣٦- فلاحو الباشا	كينيث كونو	ت سحر توفيق
١٣٧- مذكرات ضابط فى الحملة الفرنسية	چوزيف مارى مواريه	ت كاميليا صبحى
١٣٨- عالم التليفزيون بين الجمال والعنف	إيڤلينا تارونى	ت وجيه سمعان عبد المسيح
١٣٩- النظرية الشعرية عند إليوت وأدونيس	عاطف فضول	ت أسامة إسبر
١٤- حيث تلتقى الأنهار	هربرت ميسن	ت أمل الجبورى
١٤١- اثنتا عشرة مسرحية يونانية	مجموعة من المؤلفين	ت نعيم عطية
١٤٢- الإسكندرية تاريخ ودليل	أ. م. فورستر	ت حسن بيومى
١٤٣- قضايا التنظير فى البحث الاجتماعى	ديريك لايدار	ت عدلى السمرى
١٤٤- صاحبة اللوكاندة	كارلو جولدونى	ت سلامة محمد سليمان

١٤٥- موت أرتيميو كروث	كارلوس فوينتس	ت أحمد حسان
١٤٦- الورقة الحمراء	ميجيل دى ليبس	ت : على عبدالرؤوف البمبى
١٤٧- خطبة الإدانة الطويلة	تانكريد دورست	ت . عبدالغفار مكاوى
١٤٨- القصة القصيرة (النظرية والتقنية)	إنريكى أندرسون إمبرت	ت على إبراهيم على منوفى
١٤٩- النظرية الشعرية عند إليوت وأدونيس	عاطف فضول	ت أسامة إسبر
١٥٠- التجربة الإغريقية	روبرت ج. ليتمان	ت منيرة كروان
١٥١- هوية فرنسا مج ٢ ، ج١	فرنان برودل	ت بشير السباعى
١٥٢- عدالة الهنود وقصص أخرى	نخبة من الكتاب	ت محمد محمد الخطابى
١٥٣- غرام الفراعنة	فيولين فانويك	ت فاطمة عبدالله محمود
١٥٤- مدرسة فرانكفورت	فيل سليتر	ت خليل كلفت
١٥٥- الشعر الأمريكي المعاصر	نخبة من الشعراء	ت أحمد مرسى
١٥٦- المدارس الجمالية الكبرى	جى أنبال وآلان وأوديت فيرمو	ت مى التلمسانى
١٥٧- خسرو وشيرين	النظامى الكنجوى	ت عبدالعزيز بقوش
١٥٨- هوية فرنسا مج ٢ ، ج٢	فرنان برودل	ت بشير السباعى
١٥٩- الإيديولوجية	ديفيد هوكس	ت: إبراهيم فتحى
١٦٠- آلة الطبيعة	بول إيرليش	ت: حسين بيومى
١٦١- من المسرح الإسبانى	اليخاندرو كاسونا وأنطونيو جالا	ت زيدان عبدالحليم زيدان
١٦٢- تاريخ الكنيسة	يوحنا الأسيوى	ت: صلاح عبدالعزيز محجوب
١٦٣- موسوعة علم الاجتماع	جوردن مارشال	ت مجموعة من المترجمين
١٦٤- شامبوليون (حياة من نور)	چان لاكوتير	ت نبيل سعد
١٦٥- حكايات الثعلب	أ ن أفانا سيفا	ت سهير المصادفة
١٦٦- العلاقات بين المتدينين والعلمانيين فى إسرائيل	يشعياهو ليڤمان	ت محمد محمود أبو غدير
١٦٧- فى عالم طاغور	رابندرانات طاغور	ت شكرى محمد عياد
١٦٨- دراسات فى الأدب والثقافة	مجموعة من المؤلفين	ت شكرى محمد عياد
١٦٩- إبداعات أدبية	مجموعة من المبدعين	ت شكرى محمد عياد
١٧٠- الطريق	ميجيل دليبيس	ت بسام ياسين رشيد
١٧١- وضع حد	فرانك بيجو	ت هدى حسين
١٧٢- حجر الشمس	مختارات	ت محمد محمد الخطابى
١٧٣- معنى الجمال	ولتر ت. ستيس	ت إمام عبد الفتاح إمام
١٧٤- صناعة الثقافة السوداء	ايليس كاشمور	ت أحمد محمود
١٧٥- التليفزيون فى الحياة اليومية	لورينزو فيلشس	ت. وجيه سمعان عبد المسيح
١٧٦- نحو مفهوم للاقتصاديات البيئية	توم تيتنبرج	ت جلال البنا
١٧٧- أنطون تشيخوف	هنرى ترويا	ت حصة إبراهيم المنيف
١٧٨- مختارات من الشعر اليونانى الحديث	نخبة من الشعراء	ت محمد حمدى إبراهيم
١٧٩- حكايات أيسوب	أيسوب	ت إمام عبد الفتاح إمام
١٨٠- قصة جاويد	إسماعيل فصيح	ت سليم عبد الأمير حمدان
١٨١- النقد الأدبى الأمريكى	فنسنت ب. ليتش	ت محمد يحيى
١٨٢- العنف والنبوءة	و.ب. ييتس	ت ياسين طه حافظ
١٨٣- چان كوكتو على شاشة السينما	رينيه چيلسون	ت فتحى العشرى

١٨٤- القاهرة... حالمة لا تنام	هابر إستورفر	ت دسوقى سعيد
١٨٥- أسفار العهد القديم	توماس تومسن	ت عبد الوهاب علوب
١٨٦- معجم مصطلحات هيجل	ميخائيل أنوود	ت إمام عبد الفتاح إمام
١٨٧- الأرضة	بُزُرج علوى	ت علاء منصور
١٨٨- موت الأدب	ألفين كرنان	ت بدر الديب
١٨٩- العمى والبصيرة	بول دى مان	ت سعيد الغانمى
١٩٠- محاورات كونفوشيوس	كونفوشيوس	ت محسن سيد فرجانى
١٩١- الكلام رأسمال	الحاج أبو بكر إمام	ت مصطفى حجازى السيد
١٩٢- سياحت نامه إبراهيم بيك جـ١	زين العابدين المراغى	ت محمود سلامة علاوى
١٩٣- عامل المنجم	بيتر أبراهامز	ت محمد عبد الواحد محمد
١٩٤- مختارات من النقد الأنجلو-أمريكى	مجموعة من النقاد	ت ماهر شفيق فريد
١٩٥- شتاء ٨٤	إسماعيل فصيح	ت محمد علاء الدين منصور
١٩٦- المهلة الأخيرة	فالنتين راسبوتين	ت أشرف الصباغ
١٩٧- الفاروق	شمس العلماء شبلى النعمانى	ت جلال السعيد الحفناوى
١٩٨- الاتصال الجماهيرى	ادوين إمرى وآخرون	ت إبراهيم سلامة إبراهيم
١٩٩- تاريخ يهود مصر فى الفترة العثمانية	يعقوب لانداوى	ت جمال أحمد الرفاعى وأحمد عبد اللطيف حماد
٢٠٠- ضحايا التنمية	جيرمى سيبروك	ت فخرى لبيب
٢٠١- الجانب الدينى للفلسفة	جوزايا رويس	ت أحمد الأنصارى
٢٠٢- تاريخ النقد الأدبى الحديث جـ٤	رينيه ويليك	ت مجاهد عبد المنعم مجاهد
٢٠٣- الشعر والشاعرية	ألطاف حسين حالى	ت جلال السعيد الحفناوى
٢٠٤- تاريخ نقد العهد القديم	زالمان شازار	ت أحمد محمود هويدى
٢٠٥- الجينات والشعوب واللغات	لويجى لوقا كافاللى- سفورزا	ت أحمد مستجير
٢٠٦- الهيولية تصنع علما جديدا	جيمس جلايك	ت على يوسف على
٢٠٧- ليل إفريقى	رامون خوتاسندير	ت محمد أبو العطا عبد الرؤوف
٢٠٨- شخصية العربى فى المسرح الإسرائيلى	دان أوريان	ت محمد أحمد صالح
٢٠٩- السرد والمسرح	مجموعة من المؤلفين	ت أشرف الصباغ
٢١٠- مثنويات حكيم سنائى	سنائى الغزنوى	ت يوسف عبد الفتاح فرج
٢١١- فرديناند دوسوسير	جوناثان كللر	ت محمود حمدى عبد الغنى
٢١٢- قصص الأمير مرزبان	مرزبان بن رستم بن شروين	ت يوسف عبد الفتاح فرج
٢١٣- مصر منذ قدوم نابليون حتى رحيل عبدالناصر	ريمون فلاور	ت سيد أحمد على الناصرى
٢١٤- قواعد جديدة للمنهج فى علم الاجتماع	أنتونى جيدنز	ت محمد محمود محى الدين
٢١٥- سياحت نامه إبراهيم بيك جـ٢	زين العابدين المراغى	ت محمود سلامة علاوى
٢١٦- جوانب أخرى من حياتهم	مجموعة من المؤلفين	ت أشرف الصباغ
٢١٧- عولمة السياسة العالمية	جون بايلس و ستيث سميث	ت وجيه سمعان عبد المسيح
٢١٨- رايولا	خوليو كورتازار	ت على إبراهيم على منوفى
٢١٩- بقايا اليوم	كازو ايشجورو	ت طلعت الشايب
٢٢٠- الهيولية فى الكون	بارى باركر	ت على يوسف على
٢٢١- شعرية كفافى	جريجورى جوزدانيس	ت رفعت سلام

٢٢٢- مرايا كافكا	رونالد جراى	ت: نسيم مجلى
٢٢٣- العلم فى مجتمع حر	بول فيرابند	ت: السيد محمد نفادى
٢٢٤- دمار يوغسلافيا	برانكا ماجاس	ت: منى عبدالظاهر إبراهيم السيد
٢٢٥- حكاية غريق	جابرييل جارثيا ماركث	ت: السيد عبدالظاهر السيد
٢٢٦- أرض المساء وقصائد أخرى	ديفيد هربرت لورانس	ت: طاهر محمد على البربرى
٢٢٧- المسرح الإسبانى فى القرن السابع عشر	خوسيه ماريا ديث بوركى	ت: السيد عبدالظاهر عبدالله
٢٢٨- علم الجمالية وعلم اجتماع الفن	جانيت وولف	ت: مارى تيريز عبدالمسيح وخالد حسن
٢٢٩- مأزق البطل الوحيد	نورمان كيجان	ت: أمير إبراهيم العمرى
٢٣٠- عن الذباب والفئران والبشر	فرانسوا جاكوب	ت: مصطفى إبراهيم فهمى
٢٣١- الدرافيل	خايمى سالوم بيدال	ت: جمال أحمد عبدالرحمن
٢٣٢- ما بعد المعلومات	توم ستينر	ت: مصطفى إبراهيم فهمى
٢٣٣- فكرة الاضمحلال	آرثر هرمان	ت: طلعت الشايب
٢٣٤- الإسلام فى السودان	ج. سبنسر تريمنجهام	ت: فؤاد محمد عكود
٢٣٥- ديوان شمس التبريزى	جلال الدين مولوى رومى	ت: إبراهيم الدسوقى شتا
٢٣٦- الولاية	ميشيل تود	ت: أحمد الطيب
٢٣٧- مصر أرض الوادى	روبين فيدين	ت: عنايات حسين طلعت
٢٣٨- العولمة والتحرير	الانكتاد	ت: ياسر محمد جادالله وعربى مدبولى أحمد
٢٣٩- العربى فى الأدب الإسرائيلى	جيلارامراز – رايوخ	ت: نادية سليمان حافظ وإيهاب صلاح فايق
٢٤٠- الإسلام والغرب وإمكانية الحوار	كامى حافظ	ت: صلاح عبدالعزيز محجوب
٢٤١- فى انتظار البرابرة	ج. م. كويتزى	ت: ابتسام عبدالله سعيد
٢٤٢- سبعة أنماط من الغموض	وليام إمبسون	ت: صبرى محمد حسن عبدالنبى
٢٤٣- تاريخ إسبانيا الإسلامية جـ١	ليفى بروفنسال	ت: على عبدالرؤوف البمبى
٢٤٤- الغليان	لاورا إسكيبيل	ت: نادية جمال الدين محمد

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رقم الإيداع ١٦٠٧٢ / ٢٠٠٠

المجلس الأعلى للثقافة

Estudio Critico de como agua para chocolate

تدور الرواية حول «تيتا» الابنة الصغرى التى تتحمل بخضوع ونقمة عدم استطاعة الزواج ممن أحبت امتثالاً لتقليد عائلى يقضى بضرورة قيام الابنة الصغرى فى الأسرة برعاية أمها حتى وفاتها ، وهو ما يترتب عليه عدم زواجها طوال تلك الفترة .

وهكذا تتحول «تيتا» ، شيئًا فشيئًا ، إلى رمز المجتمع المكسيكى الجديد الذى تشكل عبر القوى الخارجية للثورة المكسيكية : مجتمع مغلوب على أمره وخاضع .

تنسج عقدة القصة عبر مجموعة من وصفات الطعام التى تؤدى عناصرها الغذائية أحيانًا إلى تأثيرات سحرية وهزلية . هذه الوصفات موزعة على اثنى عشر شهراً من يناير إلى ديسمبر ، يمثل كل منها فصلاً من فصول الرواية ، تصاحبنا خلال أحداثها مشاعر البطلة وهى إحساس بالغضب لزواج شقيقتها الكبرى من حبيبها الذى رفضت أمها أن تزوجه لها وزوّجته من شقيقتها الكبرى ، ورغبة جنسية مكبوتة يصاحبها شعور ووضع جاهز للانفجار والافتضاح لا يجد أمامه من متنفس إلا الطهى .

من هنا نكتشف أن الطهى وتأثيراته هو العنصر الأساسى الرواية . فاللذة التى يؤدى إليها الطعام ، سواء فى طريقة إعداده أو مذاقه ، هو قاعدة المضمون والشكل فى رواية «الغليان» .

Laura Esquivel